يشترك فى التحرير
عباس محمود العقاد
سكرتير التحرير
محمود البشرقاوى
بدل الاشتراك ٤٠

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر فى أول كل شهر عربى

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة المجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٠١٤

الجزء السادس — جمادى الآخرة سنة ١٣٨٠هـ — نوفمبر ١٩٦٠م — المجلد الثانى والثلاثون

الفهرس

صفحة

٥٣٤ الشعب الذى تحدى القدر وقدر !
للأستاذ أحمد حسن الزيات

٥٣٧ نداء من الأستاذ الأكبر إلى العالم الإسلامى فى أسبوع الجزائر

٥٤١ تيسير على قاعدة — للأستاذ عباس محمود العقاد

٥٤٤ جامعة القرويين وإسهامها فى حفظ التراث الإسلامى — للأستاذ الدكتور محمد البهى

٥٥٢ مقوماتنا الروحية أمام المادية العالمية — ٣ —
للأستاذ محمد محمد المدنى

٥٥٦ عاملوا الخلق بما أمر به الله
للأستاذ عبد الجليل عيسى

٥٥٩ نفحات القرآن : عداوة الأغنياء للمصلحين من آفات المجتمع — للأستاذ عبد اللطيف السبكى

٥٦٤ الثورة الرابعة ضرورة محتومة
للأستاذ محمود الشرقاوى

٥٦٩ تطوير الفقه الإسلامى
للدكتور محمد يوسف موسى

٥٧٦ صاحب الألفية : محمد بن مالك
للأستاذ الدكتور أحمد أحمد بدوى

٥٨٣ كتابة المصحف بالإملاء الحديث
للأستاذ محمد رجب البيومى

٥٩٠ نهج البردة — للأستاذ على العمارى

٥٩٦ الإسلام فى الكونغو — للأستاذ عطية صقر

٦٠١ هدنة البقط — للأستاذ عبد المنعم محمد الشيخ

٦٠٤ جامعة النجف الأشرف للأستاذ محمد رضا المظفر

٦٠٨ القرآن والقومية العربية
للأستاذ عبد الرحيم فودة

صفحة

٦١٣ النظرية العامة للإثبات فى الحدود
للأستاذ محمد عطية راغب

٦١٧ العدالة الاجتماعية فى الإسلام
للأستاذ أحمد على منصور

٦١٩ أدب الجنس جريمة فى حق الدين والمجتمع
للأستاذ إبراهيم محمد نجا

٦٢٣ العاطفة الدينية وأثرها فى الأدب العربى
للأستاذ محمد إبراهيم الجوشى

٦٢٧ لغويات — للأستاذ محمد على النجار

٦٣١ الإسلام فى تركيا للدكتور جمال الدين الرمادى

٦٣٥ رسالة الدين وأثرها فى الروح البشرية
للأستاذ عباس طه

٦٣٩ مايقال عن الإسلام : ديانات العالم السبع العظمى
للأستاذ عباس محمود العقاد

٦٤٣ تحية الضيف العظيم رئيس جمهورية باكستان « قصيدة » — للأستاذ على الجندى

٦٤٦ الكتب : للأستاذ محمد عبد الله السمان : الدم - صيد الخاطر — دعوة الإسلام — نظرية الإسلام الاقتصادية — لماذا أسلمت — دراسات فى اللغة العربية

٦٥١ أنباء الثقافة

٦٥٣ بريد المجلة : من الأستاذ الأكبر إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر — من الأستاذ الأكبر إلى فخامة الرئيس محمد أيوب خان — الأستاذ الأكبر يستقبل الواعظ الخاص للرئيس أيزنهاور — محمد الأزهرى الأمريكى — لفتة كريمة من الرئيس الباكستانى — حول معنى « فصالا » — تصويب لوبيا .

بسم الله الرحمن الرحيم

الشعب الذى تحدّى القدر وقدر!

" كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله "

بقلم : أحمد حسن الزيات

دلنى إن استطعت بالعيان أو بالخبر ، فيمن بقى أو فيمن غبر ، على شعب غير الشعب الجزائرى الباسل الحر ألح عليه الاستعمار الفرنسى الكافر الفاجر الأهوج بالقهر والفقر والعذاب والخراب ، وسلب الاستقلال . وسوء الاستغلال . وفساد التعليم . ونسخ اللغة ومسخ العقيدة ، طوال ثلاثين ومائة عام ، ثم لا تزال فى رأسه نخوة العروبة ، وفى نفسه حمية الإسلام ، وفى يده سيف الفتوح يذكر ولا ينسى أن له وطنا يحتله الغريب ويستغله المستعمر ، على ظهره الولد والبلد والرزق والأمل وفى بطنه الآباء والأجداد والأمجاد والذكرى ، فجاهد بالسيف ، وصابر بالعزم ، ورابط بالقوة ثم ابتلاه العدو فى ماله وفى نفسه بالتقتيل والتنكيل والأذى ، فما وهن لما أصابه فى سبيل وطنه ودينه وما ضعف وما استكان !

فلما أراد الله لمأساة الجزائر أن تبلغ فصلها الأخير سول الحمق والطيش لرئيس الحكومة الفرنسية (جى موليه) أن يختطف من الجو زعماء الثورة الجزائرية أحمد بن بيلا ورفاقه وهم فى طريقهم إلى تونس ، فهب الجزائريون هبة الإعصار العاتى فزلزلوا الأرض الطيبة تحت أقدام الغزاة والغوازى فطاشوا طيش الفراش وألقوا بأنفسهم فى نار الثورة . فلما أكلتهم أمدهم (جى موليه) ومن بعده (ديجول) بثلاثة أرباع المليون من جنود فرنسا ، يشد أزرهم حلف شمال الأطلسى بالسلاح والعتاد والمال ، ويقوى أمرهم خمسمائة مليون من الناس بالتعصب والهوى والرأى . كل هذا العدد وتلك العدد لقتال عشرة ملايين من الجزائريين لم يلق (لاكوست) منهم غير عشرة آلاف من الثوار العزل . فماذا كان مصير الجيش الجرار . المسلح بالحديد والنار ؟ . تخطفته المنايا من كل جانب ، وأدركته الهزائم فى كل مكان . حتى قال قائلوهم : لا يمكن أن يكون هؤلاء الشياطين هم الآدميين الذين عرفناهم هنا منذ قرن وثلث ، فربيناهم على الاستكانة ، ودربناهم على الطاعة ، وقتلنا

فى نفوسهم الإسلام ، وأمتنا على ألسنتهم العربية ، وجهدنا بالظهير البربرى أن نجنسهم بالبربرية ، وأن نبشرهم بالمسيحية ، وأن نفصل بينهم وبين العرب فى الأقطار الأخرى ، فنعنا دخول الكتب والصحف والمجلات ، وقطعنا أسباب المواصلات والمعاملات ، وأردنا أن نجعلهم قلة مستضعفة فى البلاد ، فسهلنا الهجرة للفرنسيين ، وأسكناهم أطيب البـــلاد ، وأقطعناهم أخصب الأرض ، وملكناهم مقاليد الأمور ، حتى أصبح الجزائريون فى رأينا مسوخا من غير جنس ولا لغة ولا دين ولا تاريخ ولا تقاليد ، لابد أن يكون هؤلاء المردة من جنس غير الجنس ومن بلد غير البلد ، واتجهت وساوسهم نحو جمال عبد الناصر ، ثم أداروا عيونهم الزائغة فى البحر وفى الجو فرأوا سفينة تحمل السلاح إلى الجزائر فصادروها ، وأبصروا طائرة تقل الأبطال فاقتنصوها ، ثم فركوا أكفهم من السرور وصاحـــوا : لقد كسبنا المعركة ! عرفنا من أين يأتى السلاح ، وقبضنا على من يضربون به ! لا سلاح ولا ضرب بعد اليوم ! ثم بالغوا فى الحيطة وغالوا فى الحذر ، فنقلوا ابن بيلا وإخوانه الأربعة إلى فرنسا فى حراسة خمسة آلاف من الجنود الشداد كل رجل يحرسه ألف . وحملقت فرنسا فى وجوه المخطوفين المخوفين الذين أصلوها النار والعار وهى تحسبهم من أرض غير الأرض فإذا هم حفدة الأبطال الذين قهروا جيوشها سبعة عشر عاما بقيادة الأمير عبد القادر ، وأربعة عشر عاما أخرى بقيادة من خلفوه ، لا يزالون يجرون على أعراقهم من البطولة والصبر والتضحية لم تستطع أن تقتل فيهم الروح العربية بالتعليم المسموم والإبادة المنظمة والفتنة الشديدة والعزلة التامة والاحتلال الطويل ، ولم تستطع أن تفصلهم عن قوميتهم العامة بالحواجز المادية والمعنوية ، ولا أن تخفت فى دمائهم أصوات القرون الأربعة عشر من التاريخ المشرق بأضواء النبوة الهادية والخلافة العادلة والفتوح المحررة والحضارة المعمرة . فما هو إلا أن فعلت فعلتها الحمقاء باختطافها الزعماء حتى ثارت فى نفوسهم حمية الجنس وطغت فى رءوسهم حفيظة الدم ، فغضبوا وغضب لهم خمسة وثمانون مليونا من بنى عمومتهم من مراكش إلى الكويت . وكان مظهر هذه الغضبة إضرابا عاماً شل الحركة فى جميع البلاد العربية يوما من الأيام ! ولم نعلم فيما وعاه التاريخ انتفاضة إجماعية كهذه الانتفاضة من أمة زعم الاستعمار أنه مزقها دولا وأوطانا ، لكل دولة رسوم ، ولكل وطن نجوم .

إن ثورة الجزائر التى ظلت ست سنين

مستعرة الأوار تأكل الأرض وما عليها من إنسان وحيوان وعمران وزرع ، هى كما ذكرت الفصل الختامى لمأساة ظلت تمثلها فرنسا على مشهد من العالم أربعة أجيال كوامل . وعما قريب سينسدل الستار على أشلاء الاستعمار وأطلاله وأوزاره فى أرض الفاتح العربى عقبة بن نافع ، وسيرى الجزائريون أن وطنهم بفضل مابذلوا فى سبيله من أنفس وأموال قد تطهر من المحتلين المتطفلين الذين رتعوا فى مرعاه الخصيب ثلاثين ومائة عام يخضمون أرزاقهم خضم الخنازير ، ويحتلون بلادهم احتلال الصراصير ، ويفسدون أخلاقهم إفساد الجراثيم ، على أن النفوس التى قتلت ستعوضها الولادة ، والديار التى هدمت ستجددها العمارة ، والزروع التى أهلكت سيعيدها الغراس ؛ ولكن قتيلين من قتلى هذه الحرب الطحون لن يعوضا لا بالولادة ولا بالعمارة ولا بالغرس ، هما شرف فرنسا وضمير العالم ! أما شرف فرنسا فإنه لو كان باقياً لما استجاز بنوها الذين يزعمون أن آباءهم كانوا أول من ثار على الطغيان وأعلن حقوق الإنسان أن يغيروا بسبعمائة وخمسين ألفاً منهم مسلحين بأفتك الأسلحة وأحدث العتاد على عشرة آلاف منا لا يملكون سلاحا غير الإيمان . ولا عتاداً غير الصبر ، ولا زاداً غير لقيمات لا تكاد تمسك الرمق . فلما أعياهم النصر على هذه الفئة الصابرة المتفرقة على شعاف الجبال ومخارم الأودية ومكامن الطرق ، عادوا إلى الشيوخ والنساء والأطفال فسحقوهم بالقنابل ومزقوهم بالرصاص ، ولا ذنب لهؤلاء وأولئك إلا أن لهم كيانا متميزا يحافظون عليه ، ووطناً خاصاً يدافعون عنه .

وأما ضمير العالم فإنه لو كان حيا لما سكن سكون الجماد وقر قرار الحجر فى رجفة من الصراع الحيوى الدموى دام ست سنين بين دولة كبيرة تريد أن تسمن وتطيش ، وأمة صغيرة تريد أن تأمن وتعيش ! .

لقد قتل الفرنسيون فيها مليونا من شباب العرب الأبرار على حين ظل العالم الغربى يتفرج بمشاهد الدماء والأشلاء فى ساحة الجزائر ، كما يتفرج الأطفال بصراع الدمى على مسرح العرائس ! .

ولكن قل لى بربك : هل كان الضمير العالمى حيا يوم رضى أن يخرج الاستعمار مليون عربى من ديارهم وأموالهم ليمنحها عدوة الله وعدوة الناس اسرائيل ؟ .

إن ضمير العالم احتضر فى فلسطين ثم قبر فى الجزائر ، فلم يبق للمجاهدين الجاهدين إلا روح الله وعون الأحرار ونخوة العرب !.

أحمد حسن الزيات

جهاد الجزائريين فى سبيل الله

نداء من الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت

إلى العالم الإسلامى فى أسبوع الجزائر

إخوانى فى الإنسانية :

السلام على من اتبع الهدى، وسلك مسلك السلم، وهدى إلى صراط مستقيم.

وبعد : فما أحوج البشرية إلى آذان صاغية وقلوب واعية تعى الدعوة إلى السلم والسلام والأمن والاستقرار ، حتى تسود المحبة بين الناس أجمعين ، وينتشر فى الأرض نور يضىء لساكنيها طريقهم ، فيخلصوا إلى العمل المنتج والفكرة المثمرة وتقوى روابط الود والإخاء بينهم . ويومئذ لا ترى بغضا ولكن محبة تسود المجتمع الإنسانى ، ولا ترى فرقة ولكن وحدة واتحادا . ما أحوجنا نحن البشر - إلى ذلك كله ، ولكن الداهية التى تضرم الأحزان فى الأفئدة وتقضى على النفس القوية، إنما هى فى استمرار الطاغين فى طغيانهم والباغين فى بغيهم ، يلغون فى دماء البشرية التى خلفتها أسلحة الإثم والعدوان بما تقشعر لهوله الأبدان ، بل تجمد لها القلوب ، فراحوا يقصون أصحاب الأرض عن أراضيهم يرملون النساء ويقتلون الشيوخ ويشردون الأبرياء ، وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد . الذى له ملك السموات والأرض ، والله على كل شىء شهيد » . فهم بهذا لا يؤمنون بدين ولا يحترمون أخوة ولا يتجاوبون فى المبادئ .

إن ست سنوات مضت ، وها هو ذا العام السابع يبدأ مسجلا صراع الحق للباطل، ونضال الإيمان فى سبيل الحق وفى سبيل الحرية ،التى خلق الله الناس عليها ،هذا الصراع إنما هو صراع الجزائر المجاهدة صاحبة الحق فى العيش والحياة ، صراعها لطغمة من البشر ادعوا أنهم حماة مبادئ ودعاة حقوق ، وأن حقوق الإنسان أولى برعايتهم مع أن هذه الحقوق قد يئست منهم ، فلوت رأسها وأعرضت عنهم ، وتبرأت منهم ، ولو صدق منهم العزم وصحت الإرادة لكانوا مصادر نزعات طيبة .

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيراً ونساء » . « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً

وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم.

فكيف يسوغ لإنسان أن يعتدى على أخيه الإنسان. وأن ينسى ما بينهما من هذه الأخوة التى تربط بين كل الناس وتوثق علاقتهم، ولكنه الاستعمار الغاشم الذى تفيض نفسه بالأحقاد وتمتلئ قلوب أصحابه بالأطماع: يحرص دائما — وعلى الأخص فى البلاد الإسلامية — على أن يفسد الضمائر، وأن يضلل العقول وأن يهدم الأفكار حتى إذا عجز عن ذلك لقوة المبادئ والمثل فى نفوس أصحابها قام يمزق الأوصال ويأتى على الأخضر واليابس غير مبق على مبدأ ولا راع لمثل.

وبذا أصبحنا اليوم، ونحن فى بداية السنة السابعة لكفاح الجزائر التى عاشت فى حرب هوجاء عمياء ذات همجية مأفونة وعقلية مجنونة، لا تريد أن تقف عند حد، وإنما تحرص على طحن الأجسام والأرواح، بل تريد أن تقضى على ما للإنسانية من نور وما منح الله الإنسان من حرية ومن حق فى الحياة وحق فى العيش.

وأمثال هؤلاء المعتدين لا يؤمنون بدين، فدينهم السطو على الأنفس والأموال والأعراض، كما لا يعرفون مبادئ فمبادئهم فتنة يشيعونها بين الناس أو تخريب بما يسخرون من أدوات وآلات وصلوا إليها عن طريق ما علمهم الله وأنعم عليهم فلم يشكروا نعمة الله ولا تيقظ الوعى فى نفوسهم.

وبذا كله جعل هؤلاء مستقبل العالم مظلما يكتنفه الشر ويحيط به الشؤم من كل جانب ما لم يشد كل على يد دعاة السلم، حتى إذا ما ترابطوا جميعا وتذكروا معالم الإنسانية الصحيحة ومبادئها السليمة، وعاد الأمن إلى الأرض ورحم الله البشرية مما نزل وينزل بها من نيران الاختراع الذى وجهه هؤلاء جميعاً إلى الشر وقد كان فى مكنتهم أن يجعلوا من ناره نورا، ومن شره خيرا. إننا لا نؤمن بالقوة التى تجانب الحق فإنه لا قيمة لها ولا خير فيها، ذلكم أن قوتنا إنما هى قوة الحق الذى تنشده البشرية فهو الحق الطبعى والطريق السوى، إنه الحق الذى نريد أن نتكاتف به ونتضامن مع محبى السلام فى الأرض، فنضع أسسا سليمة ونرسى به قواعد حضارة نطمئن إليها وتسعد البشرية بها. فإلى الضمير العالمى الإنسانى نتجه مخاطبين أولئك الذين كثر حديثهم عن الرحمة وهم لا يطبقون ما يقولون، إلى رجال الأديان على مختلف ألوانها ومذاهبها، إلى الساسة جميعا نحرك فيهم معانى الإنسانية، فيتخذون الطريق الإيجابى لعمل حازم يكف ظلم الظالمين ويمنع قطع الطريق على الإنسانية،

فتظفر الجزائر بحقها فى الحياة والحرية ، ويعود اللاجئون إلى أرضهم فى فلسطين . فلحساب من يقتل فى الجزائر هذا العدد الكبير وهيئة الأمم تقف مكتوفة اليدين لا تحرك ساكنا ولا تكشف عن حق ، ولحساب من يظل مشردو فلسطين تتربص بهم الأيام . وتمر عليهم الأعوام وهم شرود عن أوطانهم وأراضيهم التى خلقها الله لهم .

إلى كل مسلم يملأ قلبه الإيمان بالله ويحس بإحساس أخيه ويشعر بشعوره ويدرك أن الأمة الإسلامية جسم واحد ، وأن المسلمين أمة واحدة - إلى هؤلاء وهؤلاء أوجه القول فإنه لامنطق ينبغى أن يسمع إلامنطق السلام والأمن والاستقرار ، ومنطق يحق الحق ويبطل الباطل ، وتحرر به رقاب الأمم المستعبدة انتهض نهضتها ، وتعيش فى أمنها وسلامتها والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » ومظهر هذا التواد أن نكون من وراء إخواننا المجاهدين فى سبيل الله بأموالنا وأنفسنا نسترخص فى سبيل الحق كل غال ، ونستعذب الموت فى سبيل نصرة الحق ، فإنه لا بد للحق من قوى تسانده وتؤازره : « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين » ، « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

أما أنتم يإخواننا المجاهدين اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون . والله مؤيدكم وناصركم : « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ، واعلموا أن عون الله معكم ورعايته تحوطكم « إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان » .

إن الجزائر المسلمة ستكون مصدر قوة للمسلمين بما يقدم أبناؤها للإسلام وما يضحون به من أجل حقهم وحياتهم .

إخوانى المجاهدين إن النصر والغلب ليس عن كثرة فى العدد ولا قوة فى العدد فحسب ، إنما هما بالصبر والتقوى - والصبر والتقوى معولان إلهيان أودعهما الله قلوب المؤمنين بهما يذيبون الحديد ويطفئون النيران « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين » . واعلموا أن عدوكم لمعاند ، وأن

قوتكم المعنوية وروحكم الفتية وإيمانكم بالله كل ذلك هو القوة التى ينصر الله بها عباده ، فاشتدوا عليهم ولا تهنوا ولا تضعفوا ، فإن حقنا قوى ونحن من ورائه والله من ورائهم محيط : « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين . ويذهب غيظ قلوبهم » .

وإنه لمن يمن الطالع أن تقبل الذكرى السابعة لبداية جهادكم ، وقد عاد زعيم العروبة والبطل الإسلامى « جمال عبد الناصر » من الولايات المتحدة منصوراً ، أرسى قواعد السلام . وأنار معالم الطريق للذين ينشدون الحق ويبغون الخير ، ويحرصون على أن يسعدوا البشرية ، ويحققوا للإنسانية ما تريد من صلاح وسداد .

فليستبشر كل مجاهد ممن وضعوا رءوسهم على أكفهم مجاهدين فى سبيل الله بأن الباطل مهما طال أمده واشتدت وطأته فهو أمام الحق والعزم والإيمان بالله خائر القوى ، واهى العزيمة مهدم البنيان . فاللهم أحص أعداءنا عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم أحـــدا .

ونحن إذ نذكر بيومنا هذا - وهو اليوم الثانى عشر من جمادى الأولى ، والأول من نوفمبر - عمر الجهاد الجزائرى فى سبيل الله فإنا نذكر باليوم التالى غدا فلسطين المجاهدة وإخواننا اللاجئين الذين شردوا من بلادهم وتركوا أموالهم وتأيمت نساؤهم ويتمت أطفالهم فكم لنا من هذا وذاك من عبر تحفزنا إلى ربط القلوب وإلى جمع الكلمة وإلى التعاون فى السراء والضراء ، وأن نضرب جميعا على يد عدونا بيد من حديد حتى يعود اللاجئون إلى أوطانهم هنا وهناك ، وحتى تعود الحرية إلى أهلها وتخلص البلاد من شر الطغاة البغاة الذين أفسدوا فى الأرض بعد صلاحها يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين - كتلوا البشرية على بغاة البشرية .

كتلوا أعوان الحق ضد الباطل ، كونوا مع الحق يكن الله معكم ، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، جمع الله قلوبنا على الحق وأيدكم بروح منه .

محمود شلتوت

شيخ الجامع الأزهر

تيسير على قاعدة

للأستاذ عباس محمود العقاد

من مقاصد اللغة التى يشتغل بها دعاة الإصلاح ، ودعاة التجديد ، تيسيرات كثيرة نذكر منها تيسير الكتابة ، وتيسير النحو ، وتيسير العروض ، وتيسير التعريب .

والتيسير مطلوب لذاته حيثما تيسر ، فلا يحسن بنا أن نستصعب وبين أيدينا باب من أبواب اليسر نطرقه على أمل ، قل أو كثر ، فيما هو أيسر وأقرب إلى الإمكان . وإنه على حب الأنفس له لأدب من آداب الإسلام فى أمور الدنيا والدين ، ويحق لنا أن نذكر أن الكتابة والنحو والعروض والتعريب إنما هى جميعا فى اصل وضعها تيسير لمطلب لم يكن باليسير ، وربما كان عمل الأقدمين فى تيسير الكتابة بالنقط تارة ، والشكل تارة أخرى ، وتقسيم الخطوط وقواعد الرسم تارات متتابعات ، أعظم كلفة وأبعد أمداً مما نتكلفه الآن لتيسير الرسم والهجاء . أو تيسير أشكال الكتابة والطباعة ، أو تيسير كل ما يستصعب من بقايا المشكلة القديمة إلى العصر الحديث .

أما النحو فهو فى أساسه صناعة تيسر كسب السليقة ، ونجاحه فى هذا المركب الصعب أمر لايختلف فيه من يطلبون له اليوم مزيداً من النجاح .

والعروض كالنحو فى تيسير الملكة المطبوعة بوسائل الصناعة ، ويلحق بهما التعريب فى إجرائه للكلام الأعجمى مجرى الكلام العربى بلفظه أو بمعناه .

فلا مشاحة فى التيسير ، ولا يعذر قادر على التيسير يتركه لغير ضرورة ليتجشم الصعب العسير وهو مكتوف اليدين .

لكن التيسير فى هذه المطالب الواسعة لن يتيسر على غير قاعدة ، وإنما هو جهد ضائع أوطريق مضلة لاتعرف لها حدود ولا تتضح لها غاية . إذا أخطأ الوجهة من فاتحة الطريق .

ومن علامات الانحراف البعيد عن الوجهة أن يحسب المجددون أنهم ينتهون يوما إلى كتابة لاتحتاج إلى التعليم أو كتابة تكفى وحدها لتيسير القراءة الصحيحة بمعزل عن اللغة ، أو بلغة خالية من القواعد والأصول التى يجتهد فيها المعلم والمتعلم فى كل مرحلة من مراحل التدريس .

وقد تجسمت علامات هذا الانحراف فى أقوال فريقين من طلاب التجديد أو طلاب التبديل :

فريق يقول : إنه يتمنى للغة العربية أن تصبح كاللغات الغربية يقرؤها الطالب المبتدئ كما تكتب بغير حاجة إلى الحفظ والاستذكار .

وفريق يقول على مذهب بعض فلاسفة التربية فى العصر الحديث: إن العلم كله ، سواء علم اللغة أو علم الطبيعة أو سائر العلوم الإنسانية ، ينبغى أن يساق إلى التلميذ كأنه تجربة يتلقاها من وحى البيئة المدرسية ومن جهوده المكتسبة ، ليختفى أثر المعلم ويختفى تكليف التعلم وتأتى المعرفة إليه طواعية فى مرحلة بعد مرحلة من معاهد التعليم

والفريق الأول ينظر إلى صعوبات اللغة العربية فلا يراها فى اللغات الأجنبية فيحسب أن هذه اللغات خلو من جميع الصعوبات ، وهو غير الواقع كما نرى من أقرب نظرة إلى « الأبجديات » الأوربية ، وهى ثلاث على الإجمال : لاتينية يكتب بها سكان أوربة الغربية على الأكثر ، وغوطية يكتب بها الجرمان على الأكثر . وكيرلية يكتب بها مشارقة القارة على الأكثر ، ولا يتفق فيها نطق الكلمة المكتوبة على ألسنة أمتين ولو كانت بأبجدية واحدة من هذه الأبجديات الثلاث .

أظهر مايظهر ذلك فى كتابة الأعلام . فإن اسم جيمينز Jimenez مثلا ينطق بالخاء فى الأسبانية وبالياء فى الألمانية وبالجيم المعطشة فى الانجليزية .

واسم Franklin ينطق فرنكلن بالانجليزية وينطق (فرانكلا) بالفرنسية .

واسم Guilliam ينطق جليوم بالألمانية وجيوم بالفرنسية ووليام بالانجليزية .

أما الحروف فمنها ما يلفظ على خمسة أصوات كحرف (T) الذى ينطق (تاء) كما فى كلمة to وثاء كما فى كلمة Think وذالا كما فى كلمة this وشينا كما فى كلمة Mention وسينا كما فى هذه الكلمة نفسها بالفرنسية .

وكذلك حرف الـ (S) ينطق زايا فى is وصادا فى Salt وشينا فى sure وجيما معطشة فى pleasure .

وكذلك حرف (g) ينطق جيما قاهرية كما فى God وجيما فرشية كما فى gem وجيما معطشة كما فى Religion وقد يكتب ولا ينطق كما فى right .

وبعض حروف العلة تقترن فتنطق على أربعة أصوات كما فى هذه الكلمات food moon و blood door .

أما قواعد النحو والصرف فالطالب مضطر إلى حفظ مئات الأفعال لشذوذها فى التصريف بين المضارع والماضى واسم المفعول وإلى حفظ مئات الأسماء لشذوذها عن قواعد الجمع ، وإلى حفظ مئات الصفات والظروف ؛ لأنها لا تجرى على قاعدة مطردة فى اشتقاق الصفة والظرف من الاسم أو من الفعل أو من صفة أخرى .

ولا حيلة للطالب فى التفرقة بين صيغ الكلمات المنقولة إلى الانجليزية من اللاتينية أو من الإغريقية أو من السكسونية أو من سائر اللغات القديمة أو الحديثة ، والغربية أو الشرقية فإن طريقة الانجليز فى (نجلزة) الأعلام والكلمات أصعب من طريقتنا فى التعريب .

فمن ضياع الجهد إذن أن تحاول التيسير بمحاكاة الأبجديات الأوربية . أو بمحاكاة قواعدها فى التركيب والاشتقاق والإعراب .

ولابد أن نسلم أولا وآخرا ، أن معرفة الحروف وقواعد الإملاء لا تغنى الطالب عن الحفظ والاستذكار .

أما طريقة التربويين فى تيسير التعليم بإخفاء عمل المعلم أو إسقاط الشعور بواجب التعلم فهى فى الواقع تجاهل لحقائق الحياة وهدم لمعنى الواجب فى أول الواجبات المقدسة التى تصادف الطفل منذ نشأته الأولى .

فمن وقائع الحياة التى لا سبيل إلى محوها أن التعلم ضرورة لازمة من ضرورات الحياة لكل فرد ينشأ بين أبناء نوعه ولا يستطيع - مهما يبلغ من جهده - أن يستوعب محصول المعارف النوعية خلال الأجيال المتعاقبة . وليست له مصلحة فى جهل هذه الحقيقة وهو يتوجه إلى المدرسة لينفى عنه الجهل بما هو أبسط من هذه الحقيقة ويدرك عمل العقل والفهم وحدود الفكر الإنسانى بين الفرد الواحد والنوع الكامل من ماضيه البعيد إلى مستقبله البعيد .

وشر زاد يتزوده الطالب الناشئ من معاهد التعليم أن يتعلم منها الاستخفاف بواجب التعلم وهو أول واجب يصادفه فى حياة الطفولة ، ولن يستقر عنده رأى هو أسوأ أثرا فى تربيته وتكوين أخلاقه من أن يستكثر الجهد على المعرفة ، وأن يسقط عن كاهله تذليل الصعاب أو يخطر له أن تذليلها مطلوب فى كل مقصد غير تثقيف العقل والاعتراف بالفضل لمن يتولى تثقيفه ومعونته على تنمية عقله وهو أحوج ما يكون إلى تلك المعونة .

وإلى أمثال هذا الرأى الوخيم يرجع اللوم فى مقال من يسأل مثل هذا السؤال : هل يتعلم الإنسان ليتكلم ؟ هل يتعلم لينطق ؟ هل يتعلم ليقرأ ما هو مكتوب أمام عينيه ؟ .

فإن السائل الذى يفوه بهذا السؤال يخيل إليه أنه سؤال غنى عن الجواب ، وأن جوابه إذا تكلف أحد أن يجيبه هو : كلا . بكل توكيد ! .

ومن سخرية المفارقات أن يفوت سائلا أن الإنسان لا يطلب منه أن يتعلم شيئاً قط كما يطلب منه أن يتعلم ليتكلم ، وأن يتعلم ليحسن الكتابة فيحسن القراءة بغير عناء ، وأن يؤمن بواجب التعليم على « الحيوان الناطق » ليكون حقاً حيوانا ناطقاً يحسن النطق بجميع معانيه .

وسيضيع كل جهد يبذله طلاب الإصلاح والتجديد إن لم يكن معلوما من خطواته الأولى أن التيسير مطلوب حيثما استطاعه المستطيع ، ولكنه لا يستطيع بعد طول العناء أن يسقط واجب الاجتهاد فى تعلم اللغة ، وأن يحسب الجهد فيها أكثر مما تستحقه من المعلمين والمتعلمين . ؟

عباس محمود العقاد

جامعة القرويين وإسهامها في حفظ التراث الإسلامي

للأستاذ الدكتور محمد البهي

تمهيد :

إن المقومات الثقافية لأى مجتمع ، أو لأى شعب ، تتمثل فى اللغة وفى الدين السائد ، وفى المعارف الإنسانية الموروثة المشتركة . فاللغة تحمل بألفاظها وعباراتها القيم العليا التى يعنى بها دين المجتمع أو دين الوطن ، كما تحمل قضايا المعرفة الإنسانية التى يتوارثها أفراد هذا المجتمع أبناء عن آباء ، وآباء عن أجداد والقيم العليا التى لدين المجتمع أو الوطن هى التى تحدد توجيه أفراده . وتحدد العلاقات بين الأفراد بعضهم مع بعض ، كما تحدد أخيراً الهدف العام الذى يهدف إليه أفراد المجتمع فى سعيهم ، وفى نضالهم فى هذا السعى فى الحياة .

وبغير لغة ، وبغير دين ، وبغير معرفة متوارثة لايقوم مجتمع ، ولا يتميز مجتمع عن مجتمع ، ولا تتحدد معالم وطن ويتميز بهذه المعالم عن وطن آخر . فالمجتمع الذى نعنيه هنا هو مجتمع الإنسان ، والوطن الذى نريده هو وطن الإنسان . وبهذا الاعتبار لابد أن يضفى الإنسان من خصائصه على المجتمع وعلى الوطن معا . وليست هناك خصائص للإنسان يتميز بها عن إنسان آخر إلا فيما يتصل بلغته وبتفكيره ، ومنطقه ، وقلبه وعقيدته وسلوكه فى الحياة .

جامع القرويين وصلته بالمقومات الثقافية للمجتمع العربى فى المغرب :

ونحن إذا انتقلنا - بعد الآن - إلى تحديد الرسالة التى وكلت إلى جامع القرويين منذ إنشائه فى سنة ٢٤٥ هـ بفاس وقام بها أجيالا عديدة متعاقبة ، وحمل عبئها منذ النصف الأول من القرن الرابع الهجرى حتى الآن ، وأثقلت كاهله مرة فأبطأ السير بها ، وخفت عليه مرة أخرى فسار بها قدما إلى الأمام - إذا انتقلنا إلى تحديد رسالة جامع القرويين وجدنا أنها ترتبط باللغة العربية ، وبالإسلام وبالمعرفة العربية الإسلامية المتوارثة ، وعلى العموم بما يسمى بالتراث العربى والإسلامى وإذا انتقلنا إلى المغرب كوطن وجدنا أنه وطن عربى ، وأن لغة سكانه هى العربية ، وأن دينهم هو الإسلام ، وأن تاريخهم الثقافى ، وتاريخهم فى المعرفة يتصل

كوهم فى هذا التراث سواء بأسلافهم الذين شارك ، فى هذه الرقعة ، أو فى أكانوا فى هذا الوطن العربى والإسلامى . رقعة أخرى من الو ى أن جامع القرويين

وإذن ، من هذا ت الثقافة للمجتمع العربى فى رسالته حمل مقوما لمغرب . وهو من أجل والوطن العربى فى أ التراث القومى أو مركز ذلك يعد مركز هذا الذى تدور على أساسه هذا التراث الأصلى يهم وفى سعيهم فى الحياة حياة العرب فى توج فى المغرب .

مع القرويين بهذه الرسالة فإذا ما اضطلع جا م الضياع ، فقد أدى وحفظها على الأقل طن العربى ، وفى الوقت خدمة جليلة لهذا الو جليلة للتراث الإسلامى نفسه أدى خدمة لا يعيب جامع القرويين والعربى بوجه عام . تعثر فى السير ، أو يكون بعد ئذ أن يكون قد ة من الزمن ، أو يكون قد جمد فى مكانه فتر ، أو أزمات وغالبها ، قد اصطدم بعقبات عليها أحيانا ـ لا يعيبه فغلبته حينا وانتصر حال ما أبطأ فى سيره ، ذلك لأنه على كل . وما انهزم فى مغالبته وما جمد فى حركته وطن العربى . ومن أجل إلا من أجل هذا الن ى . لا يضير رجاله أن هذا التراث الإسلا لنقد وكثير من النقائص وجهت إليهم سهام ا القوة لجامع القرويين والمعايب ، فإنهم كانو ينتصر ، وكانوا الحافظين يغالب بها فيغلب أو ل هذا التراث ، وكانوا فى صدورهم لأصوا المدافعين بمنطقهم وتفكيرهم عن قيمه ، وكانوا الملقنين بألسنتهم للأجيال الجديدة هذا التراث ـ وبذلك كانوا هم العمد الذين قامت عليهم حياة هذا التراث ، واتصل بوجودهم وجوده وبقاؤه فمن مقال كتبه Lévi - Provençal Imtiation au Maroc فى كتاب (١) .

وقد وجهت الأنظار إلى فاس بعد أن أصبحت مركزاً هاما من مراكز الثقافة منذ بدء القرن الرابع عشر على وجه الخصوص أى بعد أن هاجر إلى مراكش كثير من العلماء الذين يحملون علم الثقافه الإسلامية بعد أن وقعت شبه جزيرة أيبريا (أسبانيا والبرتغال) فى أحضان المسيحية من جديد ، وذلك تقريبا فى القرن الرابع عشر ـ فأضفى ذلك عليها ثوبا علميا يرجع الفضل فيه إلى تلك الجامعة العريقة : جامع القرويين » .

الأزمات والعقبات :

وجامع القرويين فى تاريخه الطويل . أشبه بكائن حى قد يكون سبب تعويق نموه فى عهد من العهود أمر داخلى يتصل بكيانه نفسه ، وقد يكون سبب تعويقه أيضا أمر خارج عن كيانه ، طارئ وقادم عليه مع دخيل أجنبى يتحداه ويقاومه إن أراد أن يعبر عن حياته ووجوده . وقد تعرض جامع

(١) ٢٢ .

القرويين للأمرين معا : تعرض للضعف الذاتى وتعرض للهجوم الخارجى الأجنبى . وإذا كان للمجتمع العربى فى المغرب الذى عاش فيه جامع القرويين بوجه عام فى فترة من الفترات دخل فى ضعفه الذاتى . فإن الأمر فى هذا الشأن يرتبط أكثر بالقرويين أنفسهم من العلماء والموجهين فيه ، وضعف تأثرهم بأحداث الحياة ، وإيثارهم العزلة عما يدور فى المجتمع الصغير وهو المجتمع العربى فى المغرب أو المجتمع الكبير وهو المجتمع العالمى من أحداث وثورات اجتماعية أو فكرية .

فنحن نعرف أنه بعد القرن الرابع عشر الميلادى وبعد سقوط الأندلس فى أحضان المسيحية هاجر إلى جامع القرويين عدد كبير من مشاهير العلماء الإسلاميين فى شتى العلوم وأنواع المعرفة وفى مقدمتهم الفليسوف ابن باجة والأطباء : لسان الدين بن الخطيب الوزير المعروف ، وأبو العلاء زهير ، وأبو محمد القاسم بن محمد الغسانى ، والجغرافى النباتى الشريف الإدريسى (١) . وإنه بسبب لقاء هؤلاء العلماء الوافدين بالعلماء والطلاب فى جامع القرويين ، تزايدت حيوية الحركة العلمية فى التراث الإسلامى ، وتناولت تقريباً جميع جوانبه التى عرفت للسابقين من علماء المسلمين من علوم دينية وكونية ، طبيعية وفلسفية ورياضية فضلا عن اللغة وعلومها ، وما يتصل بها من دراسات . وبذلك عدت هذه الفترة فى تاريخ جامع القرويين فترة ذهبية . دلت من جانب على قوة الحياة العلمية ، ومن جانب آخر على سعة الفهم فيما يسمى بالتراث الإسلامى ، وفى مسائل حفظه والإبقاء عليه .

ولكن جد على جامع القرويين قبل الاحتلال الفرنسى فى سنة ١٩١٢ م ما أصاب هذه الحياة العلمية من ركود وضيق فى فهمها ولم يكن السبب فى هذا هو ضعف المجتمع العربى الإسلامى فى المغرب وحده ، وإنما كان السبب الأول - كما أشرنا - هو عزلة علماء القرويين عن الحياة وأحداثها . وربما كان لهم العذر فى ذلك بحكم ما لوظيفتهم العلمية وما لرسالتهم الفكرية من صلة وثيقة بخصائص طبيعة الدين .

فمبادئ الدين كمبادئ نظام للحياة - من شأنها أن يكون لها طابع الثبات . إذ أن المبدأ - كمبدأ - لم يكن مبدأ إلا لأنه انتهى إلى وضع معين عد بذلك نموذجا من جانب وهدفا يسعى الإنسان فى حياته لتطبيقه والاقتراب منه من جانب آخر . ولذا فالعلماء الذين تدور رسالتهم العلمية والفكرية فى إطار المبادئ الهامة الثابتة التى لها قداسة يكون

(1) Lévi - Provonçal Initiation au Maroc.

تأثرهم بالحياة التى تحيط بهم وبأحداثها التى تقع فيها ليس على نحو تأثر الذى يعيش فى ذات الأحداث أو يقف ليرصدها ويعبر عنها أو يحكم عليها .

ولذا لو وجدنا علماء القرويين قد لفظوا الجوانب الرياضية والفلسفية والطبيعية من محيط التراث العربى الإسلامى ، خارجا عن إطار تفكيرهم ومدارستهم ومناقشاتهم فإن ذلك ربما يعود إلى فهمهم الخاص فى ذلك الوقت للحياة وللدين ، كما يعود إلى إيثارهم البقاء فى دائرة المعرفة الدينية وحدها، توفيرا للوقت فى سبيل العناية بها ، وحفظها من الضعف أو الضياع .

ومع ذلك ، فلولا قداسة الدين ،ولوطبيعة الإيمان به لما بقيت العناية بعلوم الفقه والحديث والتفسير ،وما يتصل بشرح الدين، ولما بقيت عناية كذلك بعلوم اللغة العربية التى هى وسائل فهم نصوص الدين . وإذا كانت طبيعة الدين توحى بثبات المبادئ ، ومن ثم قد يتأثر بثباتها هذا بعض المشتغلين بها فلا يتأثرون فى فترة من الفترات كثيرا بالتطورات والتغيرات الخارجية فى المجتمع الخاص أو العام ـ فإن طبيعة الدين نفسها وما تقوم عليه من قداسة وإيمان هما السبب فى الإبقاء على العلوم التى تتصل به ، وعلى علوم اللغة التى تعد وسيلة له . وإذن جامع القرويين ـ لأنه مسجد ، ولأن فروع المعرفة المختلفة التى كانت تدرس فيه لها صلة بالدين ـ كان العامل القوى فى حفظ التراث الإسلامى والعربى ،وإن ابتعد رجاله فى عهد من عهوده عن التأثر بالأحداث الخارجية ، ومن ثم لم يجاروا العالم الخارجى فى تطوراته الفكرية وفى أساليب التأليف وفى مناهج البحث ، وفى صور العرض ، لحفظ التراث الإسلامى والعربى لازم وخصيصة لطبيعة جامع القرويين فى كل ما مر عليه من عهود وعصور، وإن اختلفت صور هذا الحفظ أو اختلف تركين العناية فيما يحفظ منه .

بعد الاحتلال الفرنسى سنة ١٩١٢ :

إن الاستعمار منذ القرن التاسع عشر ، إن اعتمد مبدئياً على أن يخلق فوضى اقتصادية فى البلد الذى يريد احتلاله كتمهيد للتدخل فى الشئون الداخلية — وإن اعتمد على إنزال قوات برية يحتل بها المواقع الاستراتيجية فى البلد المحتل ، ثم على مباشرة تصريف الأمور فى المراكز والقطاعات الحساسة فى جهاز حكومة البلد المحتل باختيار بعض رجاله . وكذا بعض أعوانه من أهل الوطن المحتل — فإنه يعتمد فى استمرار الاحتلال ، وفى تيسير استغلال موارد البلد المحتل الاقتصادية واستخدام الطاقات البشرية لسكانه ، على قطع الصلات بين الماضى

والحاضر : بين الأجيال التى تنشأ فى الوطن المحتل ، وبين ما لأسلافهم من قبل من تراث عقلى وروحى ، وأمجاد فى تاريخهم الماضى وما كان سائداً بينهم من قيم ومثل عليا فى الحياة

ويتخذ المستعمِر لقطع هذه الصلات بين الماضى والحاضر وسائل عديدة :

(ا) يعمد أولا إلى إضعاف اللغة القومية بإهمال تنقيتها وتدريسها للناشئة وبالاستخفاف بخصائصها وبازدراء أولئكم الذين يتحمسون لها فى الحديث والنطق ، وفى الكتابة والتأليف .

ب) ويعمد ثانيا إلى تتبع الأخطاء أو نقاط الضعف فى تفكير السابقين ، ويتخذ من ذلك وسيلة إلى الغض من شأن التراث كله .

ج) ويعمد ثالثاً إلى إعادة كتابة تاريخ هؤلاء الأسلاف ويسقط منه قصص البطولة ، وما هو موضع فخر واعتزاز بالإضافة إلى ما يضيفه إليه من أحداث مختلفة ، أو تفسيرات مشوهة لبعض الأحداث التى وقعت .

د) وفى الوقت نفسه يعمد إلى تقديم ما له من لغة وتراث عقلى ، ومنهج فى التفكير وتاريخ ، فى صورة تشجع على الاحتفاء به والعناية بأمره ، والارتباط بقيمه ونتائجه . ويخطط مناهج التعليم فى المدارس التى ينشئها بعد احتلال البلاد على أساس دفع ماله من قيم ومثل ، وسلوك فى الحياة دفعا قويا فى حياة الناشئة . وبذلك تتجه الأجيال التى تنشأ بعد الاحتلال إلى قبول التبعية للمستعمر المحتل ولأنها تجهل ما لها من ماض لا تجد لها عندئذ سندا تستند إليه إذا ما أرادت أن تخفف من هذه التبعية ، أو إذا ما رغبت أن تعود إلى الاستقلال فى الشخصية والتوجيه وقتا من الأوقات .

وهذا الذى يصنعه المستعمر منذ القرن التاسع عشر لا يفترق فيه مستعمر عن مستعمر إلا بمقدار ما يغلو أحدهما فى الأمر ، أو يسرع فى تنفيذه . فالذى وقع فى المغرب بعد احتلال فرنسا فى سنة ١٩١٢ وفى تونس سنة ١٨٨١ يشبه الذى وقع فى ليبيا بعد الاحتلال الإيطالى فى سنة ١٩١٢ ويشبه ذلك الذى وقع فى مصر بعد الاحتلال الانجليزى فى سنة ١٨٨٢ م . فلم تعد بعد الاحتلال هنا وهناك عناية باللغة العربية ، ولا بمقومات الثقافة الإسلامية والعربية ولا بتلك المثل والقيم التى سادت حياة المسلمين والعرب ، وتميز بها مجتمعهم عن المجتمعات الأخرى .

وإنما كان هناك إهمال لكل ذلك فى الوقت الذى بدأت العناية باللغة الانجليزية أو الفرنسية أو الإيطالية ، وبدأت العناية كذلك بقيم الحياة الغربية ومثلها . وبالتفكير الأوربى ومنهجه تزداد يوما بعد يوم ، حتى كاد العربى هنا وهناك ينسى ماضيه ويركز الفخر بحاضره

ولم يكن هناك إهمال فحسب للغة العربية والتراث العربى والإسلامى الروحى والعقلى وإنما كانت هناك سخرية واستخفاف بها ، وسخرية واستخفاف بالقائمين على أمرها . وسخرية واستخفاف ـ إن همسا ولمزا وإن علانية ـ بمن يردد قيمها كما هى فى واقع أمرها ، أو يعتز بالانتساب إليها والتمسك بها .

وهنا كان على جامع القرويين فى المغرب ، وجامع الزيتونة فى تونس ، والزاوية السنوسية فى ليبيا ، وجامع الأزهر بالقاهرة ، أن تواجه هذا التحدى المقنع حينا والسافر أحيانا ، وكان عليها أن تقاوم هذا التخريب الموجه إلى أعز ما تملكه الأمة العربية والذى عليه وحده تقوم نهضتها يوم تواتيها الظروف للنهضة ، وهو الذى يمثل تراثها الروحى والعقلى ، وقيمها ومثلها فى الحياة ، ويمثل لغتها وتاريخها الحافل بالأمجاد والبطولات والملىء بأسباب الفخر والإعزاز .

وكان على رجال القرويين والزيتونة والزاوية السنوسية والأزهر أن يحملوا عبء الكفاح وأن يتحملوا مرارة الاحتقار والسخرية التى توجه إليهم باسم التقدم حينا ، وباسم المدنية والحضارة الغربية حينا آخر ، وكان عليهم أيضا أن يتحملوا فيما بعد عبء الطائفية التى حدثت وقويت ، والتى خلقها المستعمر باسم الجديد فى مقابل ما هو قديم ينتسبون هم إليه ويعيشون فى ظله .

ولكن الذى واجهه جامع القرويين من تحدى المستعمر ومحاربة القيم الممثلة فى التراث العربى الإسلامى الذى كان يعنى به ويقوم على صيانته ، كان أعنف وأشد مما واجهه غيره من نظائره فى بقية أجزاء الوطن العربى:

وكذلك الذى واجهه علماء القرويين وطلابه من مرارة السخرية بهم واحتقار ما ينتسبون إليه ، وواجهه أولئكم أيضا من مرارة الطائفية التى خلقها المستعمر باسم الجديد فى مقابل القديم ـ كان أوضح وأعمق فى مرارته ، مما واجهه إخوانهم فى بقعة أخرى من بقاع الوطن العربى . فالمسيو كوليز مندوب الحماية الفرنسية يصف بنفسه تلك الخطة التى اختطها المستعمر للتحدى الذى أشرنا إليه ولتخريب القيم والسخرية بحامليها أو المعتزين بها فى قوله : « عند إمضاء عقد الحماية وجدنا أنفسنا أمام حالة واقعة إذ وجدنا أمامنا بفاس جامعة القرويين التى زودت دول الإسلام الإفريقية طوال عشرة قرون بقادة الفكر كما وجدنا أيضا فى الحواضر والبوادى عددا كبيراً من الكتاتيب القرآنية يمدها السلطان أو الأوقاف أو مطلق الناس بما تحتاج إليه . نعم وجدنا أنفسنا أمام مجموعة زاهرة بديعة من المدارس كبرى وصغرى تعمل تحت ظل الأحياء الحضرية أو تحت خيام المداشر . لقد سلطت الحماية حربها على هذه المنظمات الثقافية المغربية

فأغلقت عدداً كبيراً من المدارس التى بقيت من آثار هذا التعليم القـــديم ، كما نصبت عداءها المستمر على جامعة القرويين وفروعها فى مراكش ومكناس ، والرباط وطنجة ، ووجدة . وعلى كل المؤدبين القرآنيين »[1].

أما ما يتصل بأهداف المدارس التى ينشئها المستعمر وبالأخص الفرنسى ، فيقـول الأستاذان الدكتوران عمر فروخ ومصطفى الخالدى ما يلى : إن المدارس الفرنسية تتبع سياسة واحدة دائمة وقيادة واحدة فى الأكثر هذه المدارس الفرنسية لا تسعى إلى استغلال النشاط القومى فى تعليم أهل البلاد ، ولا هى تسعى إلى إبراز الخصائص الوطنيـة حيث تفتح أبوابها لأبناء البلاد التى تكون فيها ، ولكنها تجتهد فى أن تجعل من أبناء البـلاد الذين تعلمهم سواء أكانت تلك البلاد مراكش أو مصر أو إيران أو الهند الصينية أشباها لأبناء فرنسا نفسها فى المظهر واللغة وأسلوب التفكير والتعلق بفرنسا المستعمرة (٢) .

والسيد عبد المجيد بن جلون فى كتابه : « هذه هى مراكش » ، يصف خطة المستعمر بشقيها فيما ننقله هنا من نص ، وعبارته :

« إن الفرنسيين والأسبان مالبثوا أن أخضعوا إدارة التعليم الأهلى للإدارة الاستعمارية بحيث أصبح أداة من الأدوات السياسية ، ولذلك أصبح محدوداً مراقباً ، مستغلا ، لأن السلطة الجديدة أصبحت ترى فى انتشار التعليم تهديداً لها فى الصميم ، وبذلك بات التعليم فى البلاد يسير طبقاً لمبادىء استعمارية تهدف إلى :

١ - خلق طبقة من الموظفين محدودة العقلية يصلحون لأن يكونوا أدوات لا للتفكير .

٢ - يجب أن يتلقى الطلاب فى المدارس ثقافة محدودة لكى لا ينقلب من يتلقاها إلى مخلوق مفكر يحسن فهم الحياة المدنية على حقيقتها .

٣ - يجب أن يخلو من اللغة العربية إلا بمقدار ضئيل لا يشترط أى حد لضآلته ، ومن كل ما من شأنه أن يخلق العزة القومية أو يبعث على التفكير فيها من تاريخ وأدب ولكن يجب أن يترع بأمجاد الفرنسيين ، والأسبان ، بصفة تثير الدهشة .

٤ - إنشاء المدارس الفرنسية والأسبانية.

٥ - تقوية اللغة البربرية وجعلها إداة صالحة للكتابة .

٦ - منع الاتصال بمصر وقطع الاتصال الثقافى بين البلدين (١) .

---

[١] المغرب العربى منذ الحرب العالمية الأولى علال الفاسى ص ٦٩ ، ٧٠ .

[٢] التبشير والاستعمار فى البلاد العربية : للدكتورين عمر فروخ ومصطفى الخالدى ص ١١٤ .

[١] هذه هى مراكش : عبد المجيد بن جلون ص ١٤١ ، ١٤٢ .

وإذا اختلف الفرنسيون عن غيرهم من قوى الاستعمار الغربى فى محيط الدول العربية فى أنهم أوسع وأسرع خطى فى تنفيذ خطة الاستعمار المشتركة ـ فربما ذلك يرجع إلى كثير من الأحقاد التى خلقتها الحروب الصليبية . والشيخ محمد عبده إذ يقول: « إنه لا توجد أمة تبغض المسلم لأنه مسلم لا لأمر آخر إلا فرنسا إننى لما كنت أجتمع مع أحد الفرنساويين للمذاكرة فى أحوال الشرق امتعض وينتفض أو يرتعد جسدى كله » ، « إن الفرنسارى إذا مدح الإسلام وذكر شيئا عن مزاياه فلا بدأن يكون غرضه من ذلك منعفة فرنسية . « إذ يقول ذلك فإنما يصف العقلية الفرنسية التى تأثرت أكثر من أية عقلية غربية أخرى بالهزائم التى منى بها الصليبيون فى الشرق طوال القرون الثلاثة على يد المسلمين .

وجامع القرويين لذلك إذا وقف فى وجه التحدى الاستعمارى وفى وجـــه التحدى الاستعمارى الفرنسى على وجـــه خاص ، وحافظ طوال هذا التحدى على وجوده ، وبالتالى حافظ على ما عنى به طـــوال تاريخه من رعاية التراث الإسلامى والعربى ــ فإنه يعتبر فى واقع الأمر قلعة تحطمت على صخورها الصلدة محاولات الاستعمار الفرنسى فى الفصل بين ماضى المجتمع العربى فى المغرب وحاضره وفى حمل الأجيال الناشئة فى ظله على نسيان مقومات مجتمعهم الأصيل . كما يعتبر مصدرا صان عوامل البعث العربى الإسلامى ، ودفع بها اليقظة العربية فى وقتنا الحاضر إلى أن تسعى لسيادة العرب على أنفسهم وسيادة القيم الإسلامية فى مجتمعهم وبذلك تحقق استقلال المغرب كما تحقق استقلال مصر وليبيا وتونس وستستقل الجزائر اليوم أو غدا ؛ لأنها جزء من الوطن العربى ؛ ولأن مقومات مجتمعها اللغة العربية والإسلام ، والتاريخ العربى المشترك ، وهذه هى عوامل النصر والتحرر من سلطة المستعمر وتحديه التى استعان بها العرب المسلمون فى نصرهم وتحررهم .

إن جامع القرويين لم يصن التراث الروحى والعقلى للعرب والمسلمين ، ولم يحفظ اللغة العربية من الضياع فحسب وإنما حفظ الأمة العربية نفسها فى المغرب من الذوبان والتبعية والتلاشى .

إن علماء القرويين لهم الفخر ــ مهما سخر بهم الساخر واستخف بهم المستخف ، ومهما رماهم الرامى بالجمود أو الرجعية أو التأخر فى وقت ما ــ فإنهم الجنود البواسل الذين حرموا ترف العيش ، ومتعة الحياة الرخية فى سبيل عزة الوطن العربى وبقاء الرسالة الإسلامية خالصة خالدة ؟

الدكتور محمد البرهى
المدير العام للثقافة الإسلامية

مقوماتنا الروحية أمام المادية العالمية

للأستاذ محمد محمد المدنى

— ٣ —

الإيمان بالمثل :

يأتى بعد هذين المقومين من مقوماتنا الروحية ، أمر ثالث له أهميته القصوى فى حياة الأمم والأفراد ، ذلك هو الإيمان بالمثل ، والقرآن الكريم يسمى ذلك بالتصديق بالحسنى ، حيث يقول : « فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى. فسنيسره لليسرى» ويسمى مقابله وهو الكفر بالمثل التكذيب بالحسنى ، وذلك حيث يقول : « وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى » .

وللوجوديين صلة بهذا الجحود فى جانب المثل ، كصلتهم بالجحود فى الجانب العقيدى فهم يقولون : لا داعى لأن نعتبر شيئا من الأشياء فضيلة ومقابله رذيلة ، فإن كلا من الفضيلة والرذيلة ، أو مما نسميه بهذا وذاك إنما هو حقائق اعتبارية أوجدناها نحن واصطلحنا عليها ، ولو أننا اصطلحنا فى شأنها اصطلاحا آخر لكان لنا هذا ، ولأصبح ما نستحسنه قبيحا ، أو ما نستقبحه حسنا ، ويمثلون لذلك بالزواج والمخادنة فيقولون : ما الفرق فى واقع الأمر بين رجل وامرأة اتفقا على الزواج ، ورجل وامرأة اتفقا على أن يفعلا ما يفعله الأزواج ، بدون عقد زواج ؟ إننا نحن الذين اصطلحنا على أن الأول فضيلة ، والآخر رذيلة ، دون مسوغ لهذه التفرقة ، ولو أن مجتمعا انقلب فيه الوضع واستمر زمانا حتى ألفه الناس لما كان هذا المجتمع بمنأى عن الفضيلة ؛ لأن له اعتباره واصطلاحه ، وبعضهم يمثل بالرقص ، فيقول : إن بعض المجتمعات ينظر إلى مراقصة الرجل والمرأة على أنه رقى ومدنية ، ويتخذ منه دلالة على علو الذوق ، وتهذب النفس ، مع أن مجتمعات أخرى تراه خروجا على الآداب ، وهتكا لصيانة المرأة واعتداء على الفضيلة ، فهذا شىء واحد تختلف الفطرة إليه هذا الاختلاف ، فنفهم من ذلك أنه لا صلة له بالفضيلة والرذيلة فى واقع الأمر ، وإنما هو مجرد اصطلاح جماعى أو اجتماعى .

ويقولون مثل ذلك حتى فى العفاف والحصانة فليس على المرأة ولا على الرجل من بأس فى إطلاق العنان للشهوات الطبيعية الجنسية ، ولا لزوم للتمسك بما يسمونه للطهارة أو البكارة أو الحصانة أو نحو ذلك ، فقد خلق الذكر والأنثى على حالة لا بد لها من هذا الاتصال المعروف ، وهى مسألة طبيعية لاصلة لها بالمجتمع ، بل هى تخص أصحابها فقط ، كتلبية داعى الفطرة بالتغذى عند الإحساس بالجوع ، وبالتدثر عند الإحساس بالبرد ، وبالتبرز عند الإحساس بالحاجة إلى التخلى وهكذا ...

ويقولون مثل ذلك فى الصدق والكذب والوفاء والغدر ، والشجاعة والجبن ... إلخ فكلها حقائق اعتبرناها ، وليس لها وجود ذاتى ، ولو عكسنا الاصطلاح فيها لانعكس أفلا يكذب بعضنا على بعض باسم المجاملة فيحسن الكذب ، أفلا ينافق بعضنا بعضا لمثل ذلك فنسمى هذا كياسة ولباقة ولا تعطيه اسم النفاق ؟ .

هكذا يقول الوجوديون أو - كما يسميهم القرآن الكريم - المكذبون بالحسنى ، أى الذين لا يؤمنون بأن هناك مثلا عليا وفضائل تحمد ، ورذائل تذم .

والواقع أن هذا كله ما هو إلا سفسطة ومغالطة :

فإننا نقول لهم : إن الذى يحاول إنكار الخير والشر ، والفساد والصلاح ، والحسن والقبح ، وزعم أن هذه كلها أمور اعتبارية لا وجود لها فى الواقع ، ولا حقيقة لها بالذات ، إنما يكابر فيما تحس به الفطر ، وتلحقه بالبدهيات التى لا تحتاج إلى دليل .

وقديما وجد قوم عرفوا باسم «السوفسطائية» مذهبهم أنه لا حقائق للأشياء ، ولم يقفوا فى هذا الإنكار عند حد المعانى والأشياء المعقولة ، ولكنهم أطلقوا إنكارهم حتى فى الأشخاص المحسوسة ، وقد ذكر - كطرفة من الطرف - أن الإمام أبا حنيفة تجادل مع أحدهم فى المسجد طويلا ، فكان يلتزم جانب المكابرة واللجاج بالباطل ، فأوعز أبو حنيفة إلى أحد تلاميذه بأن يخفى دابة هذا السوفسطائى ، فلما خرج من المسجد ولم يجدها ، سأل : أين دابتى ؟ فقال له أبو حنيفة : وما دابتك ؟ وهل هناك حقيقة لشىء يسمى الدابة ؟ وبهذا سخر منه وأضحك منه الناس .

وهذا الشعور الفطرى المركوز فى الطباع الذى يؤمن بأن فى الوجود الخير والشر ، والحسن والقبيح ، والصالح والفاسد ، هو الشعور الذى يعتمد عليه القرآن الكريم فى تقريع الجاحدين للبعث والجزاء ، فإن القرآن الكريم يحتج لهذه القضية التى هى من

عقائد الإيمان الأساسية بأنه لا يجوز فى منطق العقول التسوية بين الخير والشر، وبين ما هو حسن وما هو قبيح ، وأن انتفاء البعث والجزاء يؤدى إلى التسوية بينهما ، وحكمة الله تعالى تتنافى مع هذا .

يقول الله عز وجل :

« إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ، ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير ، وما يستوى الأعمى والبصير . ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل ولا الحرور ، وما يستوى الأحياء ولا الأموات » .

فهذه الآية الكريمة تقرر أولا : أن الذين تنفع فيهم نذارة الرسول إنما هم المؤمنون بالله ، وإن غابوا عنه فلم يروه بأبصارهم ، وهم الذين يقيمون الصلاة التى هى فرع عن الإيمان بوجود الله، وتقرر ثانيا: أن من تزكى بعمل الخير والصالحات فإنما يتزكى لنفسه حيث يفوز بجزائها عند الله الذى آمن به ، وتقرر ثالثا : أن المصير والمرجع إنما هو إلى الله وبذلك تقرر الألوهية وتقرر المثل التى يتزكى بها من يتزكى قاصداً نفع نفسه ونجاتها ، وتقرر المصير بالرجوع إلى الله ، ثم تأتى بعد ذلك بقضية تسوقها مساق الحقائق التى يسلم بها جميع أرباب العقول ، إذ تنفى المساواة بين الأعمى والبصير ، وبين الظلمات والنور ، وبين الظل والحرور ، وبين الأحياء والأموات ، فكأنها بذلك كله تقول : إن الجزاء على الأعمال بعد المصير إلى الله ، أمر تقتضيه الحكمة والعدل وإلا كان ذلك تسوية بين ما لا يستويان .

ويقول الله تعالى :

« وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ، ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار، أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض ، أم نجعل المتقين كالفجار ؟ » .

فالذى يسوى بين المؤمنين والمفسدين ، أو بين المتقين والفجار ، مخالف لقضية الفطرة والعقل السليم ، والذى ينسب إلى الله التسوية بين هؤلاء وهؤلاء ؛ عمليا بترك الحساب والجزاء ، يكون ناسبا إليه جل وعلا ما ينافى حكمته وعدله ، أو جاهلا به سبحانه .

قال صاحب الكشاف فى تفسيره لهذه الآية : « لما كان إنكارهم للبعث والحساب ، والثواب والعقاب ، مؤديا إلى أن خلق السماء والأرض وما بينهما عبث وباطل ؛ جعلوا كأنهم يظنون ذلك ويقولونه ؛ لأن الجزاء هو الذى سبقت إليه الحكمة فى خلق العالم ، فمن جحده فقد جحد الحكمة من أصلها ، ومن جحد فى خلق العالم فقد سفه الخالق ، وظهر بذلك أنه لا يعرفه ولا

يقدره حق قدره ، فكان إقراره لكونه خالقا كلا إقرار ، و (أم) منقطعة ومعنى الاستفهام فيها الإنكار ، والمراد أنه لو بطل الجزاء كما يقول الكافرون لاستوت عند الله أحوال من أصلح ومن أفسد . ومن اتقى ومن فجر ، ومن سوّى بينهم كان سفيها ولم يكن حكيما » .

وبهذا يتبين أن منطق القرآن الذى يخاطب به العقول ، إنما هو منطق الذى يتحدث عن التفاوت بين الأفعال ، كحقيقة ثابتة نعرفها العقول وتخاطب بها دون احتياج إلى إقامة الدليل عليها ، وهل يقام الدليل على الوجدانيات التى نحسها ! هل أنا بحاجة إلى أن أقيم الدليل لنفسى على أنى جوعان أو ظمآن ؟

وأبو حنيفة رضى الله عنه قد رسم الطريق للرد على هؤلاء ، أو إلزامهم بحكم منطقهم الأعوج فى أنفسهم ؛ فمن حقنا أن نقول لهم بأسلوب أبى حنيفة : أيرضى الواحد منكم أن تنطلق زوجته أو أخته أو ابنته تفعل الخنا ، وترتكب الزنا ، وتأتى بولد من الحرام فتنسبه إلى غير أبيه ؟ أيرضى أحدكم أن يأتمن على أعماله أحد الخائنين ، أو أن يكون له صديق من الغادرين ، أو رئيس من الظالمين ؟

* * *

والله تعالى قد تسمى بالأسماء الحسنى ، وهو رب الناس ، ملك الناس ، إله الناس ، وكل اسم من أسمائه الحسنى مؤذن بحبه لمعناه ، فهو الرحمن الرحيم ، الذى يحب الرحمة ويعامل بها عباده ويحب منهم أن يتعاملوا بها ، وهو المؤمن ، وهو الغيور ، وهو الغفور الودود وهو الصبور ، وهو الحكم العدل . . إلى غير ذلك من أسماء الجمال التى توحى إلى الناس بالمثل العليا وترغبهم فى أن يتمثلوها ويتعشقوها ويتخلقوا بأخلاق الله فيها ، فمن سوغ لعقله أن يسوى بعد هذا بين الجمال والقبح ، فقد سوى بين صفات الله الحسنى وغيرها من صفات السوء ، والنقصان ، وأجدر به أن يكون مطرودا من فضل الله ، محروما من توفيق الله ! « ولله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » .

محمد محمد المدنى
عميد كلية الشريعة

الجرائم ترويعا للناس وشعلا لجهاز الأمن فى الدولة .

لعل أكثر من نصف القضايا التى تنظرها المحاكم الجنائية هى قضايا السرقة . وأن قطع يد واحدة لكفيل أن يريح الناس من هذا الشر المستطير . فهذه أرض الحجاز التى كانت فى يوم من الأيام مباءة للصوص وقطاع الطرق ، وقد ذاع بين ربوعها السلب والنهب. ما أن نفذت فيها حدود الله ، وقطعت فيها يد السارق ، حتى عم الأمن وأصبحت تمضى الشهور بل والسنون دون أن نسمع بحادث واحد من حوادث السرقة ، وانتهى هناك عهد قطاع الطرق .

ورب قائل يقول : إنها لقسوة أن تقطع يد آدمى ... ولكنى أقول هل من القسوة أن نقتص من الظالم الباغى ... ؟ وهل من الرحمة أن نرفق بوحش كاسر شرير يعدو على الأبرياء من الرجال والنساء، من الشيوخ والأطفال ، يروعهم ، وينتهك حرماتهم ، ويسطو على أموالهم ، بل وعلى أرواحهم يزهق منهامن يعترض طريقه ... ؟ .

وهل من القسوة أن نقطع يدا ؛ لنرحم مئات من بطشها ... ؟ وهل من الرحمة أن نصون هذه اليد لتسفك دماء وتعيث فى الأرض فسادا ... ؟ .

ورب قائل يقول: إن الأمم الراقية تعمل على تخفيف ويلات المصابين من أبنائها فى بعض الحوادث ، فتعمل له رجلا أو يدا صناعية ... فكيف نقدم نحن على تشويه الناس . . . ؟ وأنا أقول : إن هذا علاج لا تشويه . كالعملية الجراحية التى يبتر بها الطبيب رجلا أويدا مصابة بالسرطان ، فالمجتمع جسم واحد والعضو الفاسد منه يجب أن يجرى عليه مبضع الجراح ، وكم يسر المجتمع أن يتخلص من أمراضه حتى لا تفتك به ، ومن علله حتى لا تقضى عليه . . .

وقد يقول قائل : إن الأمم تعمل على تقليل عدد المتعطلين من أبنائها . كما تعمل جاهدة أن يكون كل فرد منها منتجا فكيف نزيد نحن عدد المتعطلين من أبنائها . كما نمنع أبناء الأمة من الإنتاج بقطع الأيدى : وستضطر الدولة للإنفاق على من قطعت يده دون أن يقوم بعمل أو ينتج شيئا . رب قائل يقول ذلك فنقول له : إن السارق الذى تقطع يده لم يكن منتجا ولكنه كان معول هدم فى الأمة يروع المنتجين. ويقلق العاملين . وأما ماتنفقه الدولة على هؤلاء ، فلا يعدو أن يكون نوعا مما تنفقه على الوعظ لإرشاد الناس. أو شيئا مما تنفقه فى سبيل الإعلان والدعاية لشىء يفيد الناس ويوجههم لما ينفعهم ماديا أو أدبيا أو اجتماعيا. وهل قطع يد السارق والإعلان عن ذلك بين الناس وإذاعته عليهم ومشاهدتهم

له مقطوع اليد ، إلا نوع من الدعاية للأمانة والبعد عن السرقة وإيذاء الناس فى أموالهم بل هو أعظم رادع ، وأقوى زاجر لمن تحدثه نفسه أن يمتهن السلب أو يفكر فى العدوان على الآمنين .

ولا ريب أنه إذا اطمأنت النفـــوس فسينصرف الناس إلى أعمالهم آمنين مجدين لا يشغلهم شاغل ولا يلهيهم آثم وتتوفر على الدولة أموال طائلة مما تنفقه على جهاز الأمن ويمتنع قطع اليد كما قال العربى الأول « القتل أنفى للقتل » وكما قال الله عز وجل بأبلغ من ذلك : « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب » .

ورب قائل يقول : ولم لا نعالج المجرم بالإصلاح والتهذيب . والواقع أن هذا كلام فى جملته نظرى أقرب إلى الخيال منه إلى الحقيقة . ولست أنسى ما ذكرته الصحف منذ بضع ســـنين عن ولد بلغت سنه أربع عشرة سنة ولما اطلع مأمور قسم السيدة على صحيفة سوابقه هاله أن وجد له أكثر من ١٥ سابقة ، فما كان من الولد إلا أن قال ببراءة الفطرة : « لا يمكننى أن أمتنع عن السرقة . فإن يدى تمتـــد ولا أستطيع أن أمنعها ، إن شئت يا سيدى ألا أسرق فاقطع يدى » .

ولم نذهب بعيدا وهذه السجون منذ أنشئت وأنشئ بها الوعظ ، هل أصلحت من اللصوص أحداً . . . ؟ ـ كما قال الأستاذ جريشه ـ إن صحف السوابق تشهد أنه يندر أن نجد لصا ليس له عدد عديد من السوابق ومعنى ذلك أنه كلما أطلق سراحه عاد لما كان عليه فلم ينفعه وعظ ولا إرشاد . صدق الله العظيم حيث قال فى أمثالهم : « ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه » .

وهذا هو النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطع محمد يدها » وهناك علاج آخر جاء فى القرآن الكريم نضعه تحت أنظار المسئولين من رجال الأمة لعلهم يجدون فيه غوثا ينقذ الأمة من هذا الشر.

ذلك هو قوله تعالى : (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) آية ٣٣ من سورة المائدة .

فإذا علمنا أن هذا هو تشريع العليم الخبير بطبائع الناس وما يصلحهم نعلم فساد رأى القائلين : إن الأمم تتجه إلى إلغاء بعض العقوبات الشديدة . فكيف بنا نشدد العقوبة .

ولا شك أننا يجب أن نعمل ما يصلح به

(البقية على ص ٥٦٣)

نفحات القرآن

عداوة الاغنياء للمصلحين من آفات المجتمع

للأستاذ عبد اللطيف السبكى

نوح عليه السلام «قال الملأ من قومه إنا لنراك فى ضلال مبين» .
وكذلك قيل لبقية المرسلين من بعده .

١ ــ كما تشابهت دعوة الأنبياء لأممهم فى مقاصدها الخيرة ، ومناهجها البين : تشابهت خصومات الأمم فى المكابرة بالباطل ، والتطاول فى غير حياء ولا وعى .

فحينما يتبلج الحق ، وتنهض حجته لا يعدم خصومة تثار فى وجهه ، ويتشبث بها غبى حاقد زاعما أنه على فطنة ورشد ، وما هو إلا غبا . يسد منافذ الدعوة إلى عقله ويحجب نور الهداية عن قلبه .

وكم من عائب قولا صحيحا
وآفته من الفهم السقيم

٢ ــ وهذا نوح عليه السلام ، دعا قومه إلى الهدى فلم يكفهم أن تغاضوا عن إجابته ، بل عارضوه ورموه بالضلال المبين .

وكذلك قيل لهود من بعده وقيل لصالح ولشعيب ، ونحوهم من الأنبياء إلى خاتمهم محمد بن عبد الله ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وما كان الأنبياء ، ولا واحد منهم ليتهم بالضلال ، أو يرمى بالسفه وهم المبعوثون للهداية ، أو ليوصفوا بالكذب أو غيره من معابة وهم أرشد الراشدين المرشدين .

٣ ــ وحينما يتحدث القرآن عن الرسالات وتطورها ، وما لقيته دعوته من شطط فى الخصومة والعنت يبدأ بذكر نوح عليه السلام ، كما فى آيات الأعراف التى سقناها فى المقال السابق ، والتى اقتطفنا أولاها فى مطلع حديثنا اليوم .

فسياق الكتاب العزيز فى هذا الشأن يفيد جانبين ــ أحدهما ــ أن دعوة نوح هى نفسها دعوة الرسل من بعده فى أصولها ، ومقتضياتها حتى كانت خاتم الرسالات بالنبى محمد خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم جميعا .

« إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ـ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا » .

الجانب الثانى أن رسالة نوح كانت فى قومه الذين ينتمى إليهم ، ويعيش فيهم ، وهم العارفون لشخصيته ، والشاهدون بكريم سمعته كما هو الشأن فى كل نبى يبعث « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم » الآية .

وطبعى أن يكون الاختيار لمن لا تعلق به نقيضة ، ولا تحوم حوله شبهة ، حتى يؤتمن على التوجيه ، ويصلح للقدوة . . فالمفروض أن يلاقى إقبالا ويواجه تأييدا ، وخاصة إذا بعث بعد أن عاش بينهم أمدا طويلا وناهيك بنوح الذى بعث بعد زمن قيل إنه مائتان وخمسون عاما قبل الرسالة .

٤ — وهل كان نوح أول من أرسل حتى يعتبره القرآن مضرب المثل فى الوحى إلى محمد والنبيين من بعد نوح ؟؟ .

قال أولوا العلم كان من قبله آدم ، وشيث ، وأوريس ، ولكنهم ما بين نبى فقط كآدم وما بين رسول لم يشاققه ويكفر به قومه كما فعل قوم نوح معه .

فنوح أول رسول اختلف عليه أغبياء قومه فكانت ذكراه فى قصص القرآن مطلع الذكريات ، وكانت العبرة بما جرى معه أول العبر ، وليس لمن سبقه اتصال بالحديث عن الكافرين حتى يسبقوه فى الحكاية عنهم كما سبقوه فى التاريخ ثم : ماذا حصل ؟ ؟ .

قال : يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، قالوا « إنا لنراك فى ضلال مبين » .

ناداهم بالقومية ، والنداء بالقومية ينبه عاطفة الإخاء القريب أو يثير مشاعر الود ويجذب إلى الوحدة والتضامن ، ويطمئن إلى الإخلاص وتوثيق الروابط .

والناس بحاجة إلى كل هذا التجمع فى حياتهم الخاصة والعامة إذا قدروا معنى الحياة ، ولم يفتهم أنها فى أول مراتب الاعتبار بالنسبة للإنسان .

ولذلك الذى نقوله : ترى خطاب النبيين ـ لأنهم فيما عهدناه من قصصهم ـ كان دائما بيا قوم أو ما هو بمعنى هذا . . عدا النبى محمدا صلوات الله عليه وسلامه فقد قال (يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً) .

وقد ظل نوح يكرر عليهم نداءه هذا ، ويتدفق عليه جيلا بعد جيل ، وما يسمع منهم إلا تقريعاً له واستهجانا لدعوته « يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا » .

وهو يلاطفهم فمرة يقول « يا قوم ليس بى ضلالة ، ولكنى رسول من رب العالمين » . ويقول : « أبلغكم رسالات ربى وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون ، فالله يوحى إلى بأمر

الغيب ، وأنا لكم مخلص وأمين ، والأمانة والإخلاص من مقتضيات الأخوة الصادقة والقومية الأكيدة ، فضلا عما تقتضيه رسالتى إليكم من ربى . . . فإن لم يكن بكم وفاء ، ولا ولاء فخافوا عذاب ربكم فى يوم عظيم الهول ، شديد الهوان على من خالف .

تصدى له فى دعوته الملأ من قومه ، والملأ هم أصحاب المكانة فيهم ، ودأبوا على مقاومته وصد الغير عنه من أتباعهم والمستضعفين فيهم .

والملأ فى كل جماعة يغيظهم أن يظهر عليهم من يخشون سيادته ، ويكبر فى نفسهم أن يسيروا وراء غيرهم ، ويتخلفوا عن الصدارة ليتابعوا سواهم ولو كان مرسلا إليهم من رب العالمين .

فلم تكن شغلة نوح بأمر التبليغ فقط ، بل شغلوه بالمناوأة والاتهام بالضلال حتى كان يحاول الدفاع ، ويترفق ثم يترفق . . . حتى أخذ منه الغضب مأخذه ، وساوره اليأس منهم ، وعرف أكيدا أن أذاهم له ولمن آمن به غير مقطوع عنهم ، ولكنه لم يكن ليفتر عن نشاطه فيهم حتى صارحه الوحى بقطع الرجاء منهم ، وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ، وهنا أيقن أن تركهم على ضلالهم بعد مطاولته لهم عشرة قرون إلا قليلا سيمكن لهم فى الفساد أكثر، وأن من الخير للإنسانية أن يجتاح الله أولئك الكافرين ، لتطهر الأرض من مآثمهم ، وتستقبل الدنيا عهدا قد يكون خيرا من عهدهم.

فكان بعد المصابرة يعلن شكواه إلى الله « رب إنى دعوت قومى ليلا ونهارا . فلم يزدهم دعائى إلا فرارا . وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم، واستغشوا ثيابهم، وأصروا واستكبروا استكبارا . ثم إنى دعوتهم جهارا ، ثم إنى أعلنت لهم، وأسررت لهم إسرارا . رب إنهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا ، وأخيرا ، وبعد أن جأر بالشكوى من متبوعيهم وتابعيهم نفث ما بنفسه من سخط ، وقال « رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ـ أحدا ـ إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ، ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا » .

وهذه دعوات نبى مستجاب الرجاء ، ومكروب من ظلم قومه له ، وتحديهم بالكفر لرسالة الله إليهم فكانت لحياتهم الطويلة عاقبة وخيمة ، وكان لدعائه عليهم مغبة مشئومه ، حيث أذن الله لنوح أن يصنع السفينة لينجو بها من غرق ماحق ، وأذن له أن يحمل فى السفينة من آمن به ، ويحمل أزواجا من الحيوان والطير ثم أنفذ الله أمره فيهم ، وبغتهم بالطوفان العارم ، يهطل عليهم من السماء ، ويتدفق تحتهم من الأرض ، ونوح ومن معه فى السفينة تجرى بهم فى موج

كالجبال ، حتى استأصل الغرق من كفروا جميعا ، ولم ينج منه إلا نوح مع المؤمنين به « وما آمن معه إلا قليل » .

فهذه قصة واقعية ، كانت الفصل الأخير للمرحلة الأولى من مراحل الحياة الدنيا .

وهكذا انتهت ثورة الملأ على نوح وانتهت بدنياهم سورة الجهل الذى زين لهم خصومته، وعاقهم عن الأخذ برسالته، وكذلك تكون العاقبة للمفترين على الحق ، كما كانت عاقبة أسلافهم فى كل أمة خلت بعد نوح ولهم عند ربك فى الآخرة مواقف أنكى وأشد ، وسيتنكر الطغاة بعضهم لبعض ، ويتبرأ المتبوع من التابع ، ويلقى كل منهما وزره على صاحبه، وأخيرا يقول قائلهم فى وهج النار وبعد اليأس من رحمة الله : « إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد » .

فهل تحققت عبرة لمن ورثوا الدنيا بعد قوم نوح ، ذهب الطوفان ، وعمرت الأرض ثانيا بنوح ومن معه ، ومكث فيها نوح أمدا طويلا ، ثم تطورت الحياة وتغيرت الوجوه ونشأ فى الدنيا قبيلة عاد التى وصفها الله بما وصفها من بأس ، وقوة ، ومال ، وتعمير . فكانوا شر خلف لشر سلف وأخذهم الله بالريح العاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام ، بحرها وبردها ، حتى تركتهم أخيرا كأعجاز نخل خاوية .

وهكذا تحقق وعد الله فى قوله لنوح عليه السلام حين نجاته من الغرق : « وقلنا يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك ، وعلى أمم ممن معك ، وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم » .

وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا، وللكلام بقية عن ذلك فى مناسبة آتية .

وبعد : فهذه مقتطفات أجملناها من قصص القرآن ، وهى تمثل ألوانا من حياة المجتمع فى قديمه ، وتعرض لنا صوراً من عقليات كانت تسيطر على أتباع وكانت لها جولات فى توجيه أقوامهم ، ولكنها توجيهات الغباء ، والجهالة ، والجمود ، حتى ذهبت المشأمة الناجمة عن تخبطهم بالمجتمع كله ، وحتى ذهبت أمجادهم التى غرتهم ، وانطمست النعم التى أبطرتهم ، وأصبحوا حديثا تتقزز منه الإنسانية ويتوارى من ذكرها التاريخ .

هذه مقتطفات تسوق لنا العبرة فيما جرى لأولئك الأسلاف لنستفيد منها ، ولا نتأسى بهم ، ولنعرف عنهم ، ولا نخطئ خطأهم ، وقد أتيحت لهم الفرص فى نعمة سابغة ، وحياة طويلة ، وتذكير حق من رسل الله ، ولكن الغواية تمكنت منهم . والحقد على الأنبياء استحوذ عليهم ، وتعثروا فى غرورهم حتى كان من أمر الله فيهم ما كان .

نعم : تعب الأنبياء ، وكم تعبوا . وتعب من

بعدهم مصلحون آخرون فى أقوامهم وكم تعبوا وماذا يعمل الداعى إلى الخير سوى إبداء النصح فى إخلاص ، وسوى التحذير من سوء العاقبة فى هدى الدين ، وهدى البصيرة ، والإخلاص ، والأمانة .

وماذا يساعد الداعى فى دعوته أكثر من الوحى إن كان نبيا ، وسوى الاعتماد على الأفهام فى تقدير ما يطلب إليهم الأخذ به ؟

الأهداف الطيبة تبدو عادة فى منهاج المصلحين ، ويعززها دائما ما يقترن بها من شواهد الصدق فى مسلكهم ، وما يعرف من خصوصياتهم .

والعقول من وراء ذلك تحكم بالحق ، وتستجيب للصدق ، وعند ذلك تلتقى وجهات على الخير ، النظر فإن الحق بطبعه ناهض وناطق ، وإن الباطل بطبعه خافت وزاهق .

وتلك أو هذه إحدى الغايتين اللتين ينتهى إليهما الأمر بين الداعين والمدعوين .

وكانت غاية الأنبياء خيرا لولا الملأ ونفوذهم فى الضعفاء ، فإن تكن الدنيا حافلة بهذا النوع من المستكبرين فإن شؤمهم سيحيق بهم ، وبمن يرضى عنهم وهذه سنة الله ، والله غالب على كل شىء وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون ؟ .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

بقية المنشور على صحيفة ٥٥٨

أمرنا ويأمر به ديننا لا يعنينا من أمر سوانا ما لا غناء لنا فيه . (١)

هذا ما رأيناه تأييداً لكلمة الأستاذ جريشه . أما كلمة الأستاذ ميخائيل فإنها لا تستحق تعليقا لأنها أقرب إلى النظريات الخيالية منها إلى الحقائق العلمية .

عبد الجليل عيسى

---

(١) ومن عجيب تصاريف القدر أن يقدم لنا برهانا على صدق خطورة إهمال اللصوص ذلك أن ثلاثة لصوص من الخطرين حاولوا نقب جدار خانوت فاتورة تحت المسكن الذى أسكنه بشارع العباسية رقم ٩٢ فى الساعة الثانية بعد منتصف ليلة السبت ٢٢ أكتوبر ١٩٦٠ ولولا يقظة رجال الشرطة لقتل البواب وتمت الجريمة .

ومكان العبرة فى هذا الحادث أنه تبين بعد القبض = على هؤلاء اللصوص أنهم لم يمض على إخراجهم من معتقل الطور سوى بضعة أيام .

ألا يكفى كل هذا أن يكون حافزاً على البحث عن علاج ناجع بعد أن فشلت كل هذه المحاولات المجلوبة من الخارج .

الثورة الرابعة ضرورة محتومة

للأستاذ محمود الشرقاوى

كان المقال الافتتاحى فى العدد السابق من هذه المجلة مقالا موجها ، ملهما ، منيراً .

ودعوة الإصلاح والتجديد للفكر الدينى دعوة طالما صحنا بها ، بل صرخنا ، منذ ثلاثين سنة ، فى كتبنا[1] وعلى صفحات «الأهرام» و «الرسالة» ، ومن قبلها «البلاغ» ومن قبلها «السياسة الأسبوعية» . وكان كثير من ذلك قبل الثورة . فإذا جاء الأستاذ الكبير «الزيات» اليوم يجدد دعوته ودعوتنا هذه . ويقول إن : (ثوراتنا الثلاث تعوزهن رابعة) فحق لنا أن نغتبط ، وأن نلبى وأن نساند .

هذه الثورة الرابعة ضرورة محتومة . ولكننا نريدها ثورة بناءة لا هادمة ، مخلصة حكيمة ، قائمة على الشجاعة لا على الثور ، على الفهم لا على المتابعة ، على الإخلاص والصدق لا على التهييج والمباهاة ، على البصيرة المهتدية الهادية لا على الاندفاع الطائش المخرب .

نريدها ثورة لتقويم الفكر الدينى نفسه . ثورة من الدين لا على الدين . له وليست ضده . هـ فهما وغايتها أن تعود بالعقيدة إلى ما أراد الله لها من الصفاء والنقاء . وأن ترجع بالشريعة إلى حيث وضعها الله من الطهر واليسر .

والثورة إلى جانب الدين ـ كما قال أستاذنا الزيات ـ إضافة قد تنكرها بعض النفوس ولكنها ، بعد التأمل ، ستسكن إليها وترضى عنها فتألفها ولا تأنفها . والدين نفسه ثورة على الأوضاع الفاسدة والأفهام الضالة التى كانت قائمة ، وكتاب الله الكريم ذم المشركين وعابهم لأنهم كانوا يقولون : «إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون[1]» .

* * *

فى الفكر الدينى : عقيدة وشريعة ، أشياء كثيرة تحتاج إلى تقويم ، بل إلى ثورة ، و «النص» فى الدستور على أن الإسلام دين الدولة لا يحقق معناه إلا إذا كان للدين الأثر الفعال فى التربية والتعليم والتشريع والسلوك كما جاء فى مقال الأستاذ الزيات . وهذه

---

[١] انظر على وجه الخصوص فصلى : «تاريخ له دلالة» و: «المسايرة والمكابرة» من كتابنا الأخير تقويم الفكر الدينى وصلته بالقومية العربية .

[١] الآية : ٢٢ من سورة الزخرف .

أمور ، كما ترى بعضها يمكن أن يمكن الأزهر من القيام به - بوصفه المهيمن على الفكر الدينى والتوجيه العقيدى بين المسلمين - وبعضها تقوم به الدولة الحريصة على تقويم هذا الفكر الدينى حرصها على تقويم كل أمر آخر .

وعندما أتحدث عن الفكر الدينى لا أنظر له نظرة ضيقة تحدها حدود الجمهورية العربية المتحدة . بل أنظر له نظرة شاملة كاشفة محيطة تشمل ألوانه وأنماطه فى البلاد الإسلامية كلها فهى تشترك فى كثير ، وتفترق فى كثير . وكثير من هذا وذاك منحرف عن الفهم الصحيح للدين . ومن ثم يحتاج إلى التقويم. كثير من الكتب التى يطالعها الناس ويتلقون مافيها على أنه من « الدين » كثير مما فى هذه الكتب لم يجئ به الدين ، بل لعله يجافيه وينكره ، كما ينكره العقل . وينكره العلم . فى بعض هذه الكتب أن نوحاً سفينته من عظام حيوان يبلغ طوله مسافة ما بين السماء والأرض ، ويبلغ عرضه مسيرة عام كامل .

وفى بعض هذه الكتب أن عيسى عليه السلام مر ذات يوم على جبل وبه صخرة فى بياض اللبن الحليب ، ولما ضربها ، انفلقت وخرج منها عبد صالح وبجانبه عنقود من العنب ، فسأله عيسى ما هذا ؟ فقال : هذا رزق يرسله الله جزاء عبادتى السنين الطوال فيقول له من أنت ؟ فيقول : أنا فلان الذى فعلت فى العبادة كذا وكذا وصليت كذا وصمت كذا . فيقول الله لعيسى : أرأيت ثواب هذا العبد؟ . فيقول نعم ، فيقول الله : إن ثوابه لا يعدل ثواب رجل من أمة محمد يصلى فى ليلة النصف من شعبان ركعتين .

وقد تحدث بهذا الحديث رجل من الذين يحدثون الناس باسم الدين فى مسجد من مساجد القاهرة [1] .

ونجد فى بعض هذه الكتب أن راعيا كان يرعى غنمه فرأى ذئبا يثب على شاة ليأكلها ، فحال الراعى بينه وبين الشاة ، فأقعى الذئب على ذنبه وقال : يا عبد الله تحول بينى وبين رزق ساقه الله إلىّ ؟ ! [2] .

ونجد فيها أن حديثا يروى عن النبى عليه السلام يقول : أدخلت الجنة فرأيت فيها ذئباً فقلت : أذئب فى الجنة . . ؟ فقال أكلت ابن شرطى . . ! ثم يزيد القائل إن ابن عباس علق على ذلك فقال : أكل الذئب ابن الشرطى ، فلو أكل الشرطى نفسه لرفع إلى عليين [3] .

ويقول من كتب هذا بعد ذلك : إن هذا الحديث موضوع ، ومع ذلك يرويه ويكتبه

---

[1] انظر جريدة «الأخبار» فى ٢٠ مايو سنة ٩٥٥

[2] و [3] ص ٣٣١ من كتاب « حياة الحيوان الكبرى للدميرى » ج - ١ - الشرفية ١٣٠٦ و «حياة الحيوان» ليس من كتب الدين ولكن ألوان الثقافة العربية القديمة كانت متشابكة مختلطة . وهذا الكلام يذكر على أنه من الدين فيلصق به .

ويتداوله الناس على أنه من « الدين » .
ولايدنا كاتبه على الوزر الذى استحق به ذلك الولد البرئ أن يأكله الذئب ، ثم يثاب الذئب على أكله الطفل فيدخل الجنة . وما ذنب ذلك الطفل فى أن يكون أبوه شرطيا .؟
وهل كل شرطى يستحق أن يغتال ابنه ذئب فيدخل الجنة . أو يأكله الذئب نفسه فيرفعه الله ، كما يقول المؤلف ، إلى عليين فى جنة الأبرار . ؟
فأى شىء أكثر من ذلك يدعو إلى الثورة ويجعلها ضرورة محتومة . . . ؟ .
وكان الرهبان ، فى القرون الوسطى ، يعكفون على أبحاث عجيبة يظنونها مقدسة .
كانوا يبحثون عن قيمة رقم (٧) فى الدنيا والآخرة ، وعن عدد الملائكة التى يمكن أن تقف على رأس الإبرة ، وعن مكان الروح من الجسد ، هل هو الرأس أم القلب .
وكان أمثالهم من قبلهم ، يبحثون ويتجادلون فى إثبات أن المرأة لها روح كما للرجل روح أو ليس لها . ويعقدون المؤتمرات لذلك .
كان هؤلاء وهؤلاء يشغلون أذهانهم ، ويجهدون عقولهم ، ويصرفون أوقاتهم وأوقات معاصريهم فى مثل هذه الأمور وهم يزعمون أنهم يشتغلون بمباحث مقدسة لها أعظم الخطر فى حياة الناس : حياتهم فى الدنيا وحياتهم فى الآخرة .
كان الرهبان يفعلون ذلك فى القرون الوسطى حين كان المسلمون يشتغلون بالطب ويعرفون التشريح ، وينشرون ، بالفهم والفلسفة ، دعوة العقل والإدراك والتأمل ، ويبشرون بفهم جديد هو الذى ساد الحياة الإنسانية فيما بعد ، ويسودها فى العالم الحديث ، يقوم على البحث والعلم والمطالبة بالدليل .
وما يزال بعض من القوم ، البون بين الحياة المحيطة بهم وبين ما يشغلون به عقولهم وتفكيرهم ، شبيه بما كان من البون بين رهبان القرون الوسطى ورواد البحث العقلى من المسلمين ، من أمثال ابن رشد وابن الطفيل والرازى وابن سينا وابن حزم وأمثالهم .
ما يزال بعض من هؤلاء يقضى عاما كاملا يتناقشون فى « حملة العرش » ، وما صفتهم وهل هم أوعال أو غير أوعال ! (١) .
وقد يكون هذا الوضع قد انتهى من الأزهر ومن جمهوريتنا العربية أو هو يوشك أن ينتهى ، ولكنه ما يزال باقيا فى بعض البلاد الإسلامية والعربية وفى بعض بيئاتها الدينية .
فأى شىء أكثر من ذلك يدعو إلى الثورة ويجعلها ضرورة محتومة ؟ .

* * *

فإذا انتقلنا إلى كثير من الكتب التى وضعت فى الشريعة أو « الفقه » نجدها كذلك تجعل الثورة الرابعة ضرورة محتومة : وذلك

---

(١) العدد : ٣٥ من مجلة الرسالة : مقال الأستاذ الشيخ محمد محمد المدنى .

شيء واضح بين يعرفه الدارسون والقارئون لهذه الكتب ، ويعرفه أكثر من ذلك أمثالنا الذين درسوا «الفقه» فيها أيام الطلب فى الأزهر ولكنى أذكر طرفاً يسيراً منها لمن لا يعرف.

أذكر من ذلك هذا السؤال الذى يقول : « ما رأيكم فى إمام صلى بالناس صلاة العيد ، ثم ضحى به الناس بعد الصلاة ؟ » .

قالوا فى الجواب : يكون هذا الإمام أبوه رجل وأمه نعجة ، فخرج لأمه .!

نجد هذا السؤال وهذا الجواب ، بينما نجد فى سيرة الإمام مالك أنه سئل عن أمر ليس مستحيلا كهذا الإمام الذى ولد من رجل و « نعجة » بل كان أمرا ممكنا ولكنه لم يقع ، فقال مالك : هل وقع ذلك . . ؟ قال السائل : كلا . لم يقع . فقال له مالك إذا وقع فاسأل .

وأذكر لهم مثل ذلك السؤال الذى يريد صاحبه أن يعرف حكم الجنابة على الرجل إذا دخل ، فى رحم امرأة . !

ومثل ذلك القول الفقهى الذى يفتى بأن رجم البهيمة إذا زنى بها زان ، ويروى فى ذلك حديثا عن النبى عليه السلام يقول : « اقتلوا البهيمة ومن أتاها » [1] .

وأذكر لهم مثلا من أمثله الصياغة والتأليف فى هذه الكتب هو هذه الفقرة « .. أو ثوب موصوف بصفات السلم فهو بيع للمدعاة من المدعى لغريمه ، أو إجارة لها بغيرها منه لغريمه ، أو لغريمه ، أو لغيرها بها من غريمه له » [2] .

ومثل ذلك الذى جاء فى كتب : « نحن مع الدراهم قلة وكثرة » [3] وتأمل ما فى هذا القول من إيحاء ومن دلالة ومن « جرأة » .

ونجد فى مقالة من مقالات هذا العدد [4] بعض هذه الكتب يدرس فى جامعة النجف الأشرف بالعراق ، كما يدرس فى جامعة القرويين بالمغرب ، وقد درسناه نحن فى الأزهر ، فهو محنة تحتوى طلاب الثقافة الدينية فى بلاد الشرق العربى كله .

فأى شيء أكثر من ذلك يدعو إلى الثورة ويجعلها ضرورة محتومة ؟ .

ونحن لا ندعو لإعدام هذه الكتب أو إلغاء دراستها ، ولا نريد أن نناقش أولئك الذين يقولون إن فيها فوائد من شحذ الذهن ومران الفكر وتنمية الملكة العقلية للاستنباط والجدل .

---

[١] ص : ٣٦ من - الأحكام السلطانية - للماوردى ، - طبع دار السعادة سنة ١٩٠٩ -

[١] ص ٤ من الجزء الثالث من حاشية البجيرمى على شرح المنهج فى فقه الإمام الشافعى باب الصلح - الأميرية سنة ١٣٠٩ - .

[٢] حاشية المدابغى على الخطيب فى فقه الشافعية - باب الطلاق - .

[٣] مقال : - جامعه الأشرف - للسيد الأستاذ محمد رضا المظفر عميد كلية الفقه بالنجف .

فكتب الشريعة والفقه لم تخلق لمثل ذلك بل يراد منها معرفة الأحكام الشرعية بالدليل من كتاب الله وسنة رسوله . وشتان بين ما تجد فى موطأ مالك مثلا أو الأم والرسالة للشافعى أو الموافقات للشاطبى أو المحلى لابن حزم وأمثالها .

لا ندعو لإعدام هذه الكتب أو إلغاء دراستها . بل يجب أن تدرس دراسة تاريخية على أنها نمط من أنماط التأليف فى عصور خاصة تأثرت بمؤثرات خاصة . ولهذه الدراسة رجالها وموطنها ، وليس من هؤلاء طلاب الفقه ، ولا من هذه دراسات الشريعة .

السبيل ، أو بعض السبل ، لتحقيق هذه الثورة الرابعة بعد إصلاح النفوس والقلوب والضمائر ـ أجده فى مشروع بحث ودرس قبل عشرين سنة [1] . تقدم به يوم ذاك كبير من شيوخ الأزهر إلى شيخه الأكبر ، وهو :

أن تقوم جماعة من كبار العلماء بما يأتى :

أولا :

(ا) إيضاح ماقد يخفى من أصول الدين.

(ب) بيان ما هو بدعة وما ليس بدعة .

(ج) بيان أحكام الشريعة فى المعاملات التى جدت وتجد .

ثانيا :

(ا) بوضع مؤلفين يجمع أحدهما تفسير القرآن تفسيراً سهل التناول يوافق أصول الدين وقواعد اللغة العربية مع التنبيه على ما فى كتب التفسير المتداولة من الإسرائيليات والآراء التى لا تتفق وأصول الدين العامة وقواعد اللغة . ويجمع الآخر الأحاديث التى تصلح للاحتجاج والتى لا تصلح مع بيان درجاتها المختلفة .

(ب) التنقيب عن الكتب الإسلامية التى يعظم نفعها فى مختلف العلوم والعمل على إخراجها إخراجا صحيحا متقنا .

هذه خلاصة مشروع تقدم به ، قبل عشرين سنة ، كبير من شيوخ الأزهر ولعل ما لم يمكن الأزهر منه من قبل ، يمكن الآن منه فى عهد الثورة التى قامت لتصلح الفاسد وتقيم المائل وتقوم المعوج .

واحدة من اثنتين : إما أن يكون الدين أمراً لا بد منه لتنظيم مجتمعنا والهيمنة على سلوكنا وتنوير بصائرنا وتهذيب ضمائرنا فنى هذه الحالة نجد أن هذه الثورة « الرابعة » ضرورة محتومة ، وإما أن يكون الأمر على غير ذلك . فنحن عندئذ لا نملك إلا أن نردد قول الله تعالى : « والأمر يومئذ لله » ؟

محمود الشرقاوى
سكرتير التحرير

---

[١] محضر جلسة - جماعة كبار العلماء ـ المنعقدة يوم ١٥ من شوال سنة ١٣٦٠ ـ ٤ نوفمبر ١٩٤١.

تطوير الفقه الإسلامى

للدكتور محمد يوسف موسى

الإســـلام هو خاتم الأديان السماوية بلا ريب ، وقد جاءنا بالعقيدة الحقة بعد أن اشتد الخلاف فيها ، وبالشريعة الأصيلة العادلة الصالحة لكل زمان ومكان حتى آخر الدهر، وبالنظم التى تقوم عليها الأمة وتكون حقا خير أمة أخرجت للناس ، ومن هذا وذاك ما نعرفه اليوم باسم « الفقه الإسلامى » .

فليس لنا أن ننتظر عقيدة أخرى تتفتح بها السماء ، ولا شريعة يتنزل بها الوحى الإلهى غير ما جاء به القرآن الكريم وسنة الرسول الصحيحة صلى الله عليه وسلم ، ولا « فقها » آخر غير ما يرجع إلى هذين المصدرين الرئيسيين المقدسين ؛ ففيهما الأساس الصالح المتين لكل ما يحتاج إليه هذا العصر، وكل عصر آخر يأتى بعده ، من تشريعات عادلة حكيمة .

والفقه، كما يذكر الغزالى فى كتابه المستصفى من علم الأصول ، وابن خلدون فى مقدمته : هو معرفة أحكام الله تعالى فى أفعال المكلفين، بالوجوب والحظر والندب والكراهة والإباحة ، وهى متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة .

ولذلك نجد فقهاءنا الأئمة الأعلام ، ومن جاء بعدهم من المجتهدين فى القرون الأولى ، كانوا حريين حقا بهذا الوصف الجليل ، وصف «الفقهاء» فكانوا يعيشون فى أزمانهم، وفى خضم الحياة ، لا على هامشها كما هو دأب الكثير منا هذه الأيام ، وكانوا يتعرفون مشاكل العصر ومسائلة التى تجد وتتغير من زمن إلى آخر ، ويعملون لمعرفة حكم الله فى كل منها ، وبهذا أدى كل منهم رسالته — باعتباره فقيها — كاملة غير منقوصة .

إنهم درسوا الكتاب والسنة الصحيحة دراسة جادة عميقة، وأيقنوا أن الله لا يشرع أمراً عبثاً ، بل لعلة اقتضته ، فبحثوا عن علل ما جاء فى هذين المصدرين من أحكام تشريعية ، وقاسوا ما لم يرد له حكم على ما ورد حكمه إذا اتحدت العلة .

وكذلك عرفوا أن الحكم يتبع العلة وجودا وعدما ؛ ولهذا لم يجدوا بأسا فى تغيير حكم الأمر الواحد فى زمن عنه فى زمن آخر إذا انعدمت العلة التى استوجبت الحكم الأول ، وكان قدوتهم فى هذا فقه الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم جميعا .

ومن ثم . نجد هذا التراث الضخم المجيد فى الفقه والتشريع ، هذا التراث الذى لانجدما يقاربه فى أمة أخرى فى هذه الناحية ، والذى تناوله من جاء بعدهم بالشرح والتحشية والتقرير ، دون أن يضيفوا إليه شيئا كثيرا ، وكان ذلك أمارة التقليد والجمود . والجمود أمارة الموت كما نعلم كما أن الحركة أمارة الحياة.

* * *

إن الزمان يا قوم لا يعرف الوقوف ، والفلك دائم الدوران. وأنماط الحياة تغيرت إلى حد كبير ، وجدت نظم لم تكن معروفة من قبل فى المعاملات ، على اختلاف ضروبها وأنواعها ، وفى طرق تنمية المال واستغلاله بواسطة الأفراد أو المؤسسات والشركات العديدة .

ذلك كله وما إليه. فضلا عن أعمال المصارف المختلفة ، كان يقتضى منا منذ زمن طويل أن نعمل من أجل « تطوير الفقه الإسلامى » ؛ لنستطيع أن نجد منه أحكاماً تحكم هذه الأعمال والشئون ، سواء أكانت هذه الأحكام بالحِل أم بالحرمة ؛ فإننا لا نريد من هذا التطوير الذى دعونا إليه منذ سنوات فى كثير مما كتبنا ، أن نجعل شريعة الله ورسوله تجيز كل هذه الأعمال التى نضطرب فيها فى حياتنا الاقتصادية .

وإنما الذى ندعو له ونريده هو ألا يبقى الفقه الإسلامى وهو يعيش على هامش الحياة فى هذا العصر ، بل أن يتدخل فى صميمها وجميع أعمالها ، وذلك حتى نكون على بينة من أمرنا فيما نأخذ وندع .

لقد عمل أسلافنا الأمجاد فى هذه الناحية كل ما فى وسعهم ، فأظهروا لنا ببحوثهم وجهودهم وسعة آفاقهم أن الشريعة الإسلامية صالحة حقا لكل زمان ومكان ، وأنها بأصولها تساير كل عصر ، وتقبل التطور مع الزمن ، هذا التطور الذى يجب حتما أن يكون فى حدود كتاب الله المحكم وسنة رسوله الصحيحة .

ولكن الذى حصل بكل أسف أننا ظللنا عاكفين على ما تركوا لنا من تراث قيم لا يُقدر قدره ، ولم نحاول أن نفعل كما فعلوا من النظر إلى مشاكل العصر فنعمل على إيجاد حلول لها تتفق والكتاب والسنة وروح الإسلام .

وبذلك تقدم الفقه الغربى وازدهر ، وتأخر الفقه الإسلامى وجمد ، وصار طلاب هذا الفقه ورجاله يعيشون فى حلقة لا يُدرَى أين طرفاها ، حلقة لا تتصل بالعصر الذى نعيش فيه إلا بقدْر محدود يكاد لا يتجاوز العبادات والأحوال الشخصية والمعاملات على النحو الذى كان معروفاً فى العصور الوسطى .

ونرى من الضرورى أن نقرر هنا أنه يجب ألا نخشى شيئا من الدعوة إلى تطوير الفقه

ما دمنا نسير فى هذا على هدى القرآن والسنة، وما دمنا نفيد من تراث فقهائنا الأجلاء الماضين . بل إن الأمر على العكس من ذلك ، فإن تطوير هذا الفقه ، على النحو الذى ندعو إليه جادين منذ سنوات ، يجعله فقها حيا ، ويجعلنا فى غنية عن الأخذ من الفقه الغربى، بل عن التبعية له فى كثير من أحكامنا التشريعية والقانونية ، وبخاصة أن الاستعمار الفكرى ليس أقل ضرراً من الاستعمار العسكرى الذى تخلصنا منه نهائيا بفضل الله تعالى فى هذا العهد المجيد الذى نعيش فيه .

* * *

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى نرى أن التطور سنة من سنن الله تعالى التى لا نجد لها تبديلا ، ومع هذا فالتطور قانون من قوانين الحياة التى لا مفر منها ، والتى تجرى علينا وإن لم نُرد ، فالخير إذن أن نريد هذا التطور ونعمل له جادين .

على أن هذا التطور فى الفقه والأحكام التشريعية بدأ فى فجر الإسلام ، أى بعد أن لحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى بسنوات قليلة ؛ وذلك لأن الحاجة حين ذاك دعت إلى هذا التطور ، فكيف بنا اليوم وقد مر على ذلك الحين أكثر من ثلاثة عشر قرنا من الزمان ! .

ويكفى فى التدليل لما نقول أن نذكر الأمثلة الآتية ، وغيرها كثير لانرى ضرورة للتعرض له ، وكلها مأخوذة من فقه الصحابة والتابعين أنفسهم :

١ — إسقاط عمر نصيب المؤلفة قلوبهم :

جعل الله لهؤلاء المؤلفة قلوبهم نصيبا من الصدقات ، وذلك بآية سورة التوبة ، وهم نفر معروفون منهم ، من حسن إسلامه فيما بعد ، ومنهم من لم يحسن إسلامه ، ومن هؤلاء الأقرع بن حابس وعُيَيْنة بن حصن ، وقد قسم الرسول غنائم خيبر ، فأعطى كلا من هذين مائة من الإبل .

وقد أبان الرسول صلى الله عليه وسلم العلة فى هذا الصنيع ، وذلك إذ قال لمن أحس بعض الألم من الأنصار فيما رواه أبو سعيد الخدرى : « أوجدتم فى أنفسكم يا معشر الأنصار فى لعاعة (١) من الدنيا تألفت بها أقواما ليسلموا ، ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام » !

وقد ظهر أثر هذه السنة النبوية الحكيمة فى عهد الرسول نفسه ؛ فإن صفوان بن أمية، فيما يرويه سعيد بن المسيب . قال : أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه لأبغض الناس إلى ، فما زال يعطينى حتى إنه لأحب الخلق إلى ، ولذلك جرى سيدنا أبو بكر عليها زمنا من خلافته .

(١) اللعاعة بضم اللام : الشىء القليل .

ولكن عمر بن الخطاب لم يكن من رأيه أن يستمر هذا الحكم بعد ذهاب علته ، ولهذا محا الكتاب الذى اقتطع به أبو بكر الأقرع وعيينة أرضا زعما أنها سبخة ليس فيها كلأ ولا منفعة ، وعندئذ غضب هذان وقالا قولا قبيحا ، فقال لهما : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتألفكما والإسلام يومئذ قليل ، وإن الله قد أغنى عنكما ؛ إذهبا فاجهدا جهدكما ، لا يرعى الله عليكما إن رعيتما !.

وفى رواية أخرى أنه كان فيما قاله لهما عمر : أما اليوم فقد أعز الله الإسلام وأغنى عنكم ؛ فإن ثبتم على الإسلام ، وإلا فبيننا وبينكم السيف ... » .

ومهما يكن ، فإن الصحابة لم ينكروا على عمر ما فعله بعد أن فهموا ما أراده ؛ فإنه لم يرد نسخ الحكم الثابت بالقرآن والسنة ، وما ينبغى لأحد أن يرى هذا فى أية حال . وإنما رأى أن هذا الحكم ذهب بذهاب علته ، وأنه قد يعود إذا وجدت علته فى زمن آخر كما حدث أيام الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز .

هذه هى مسألة سهم المؤلفة قلوبهم ، وكيف أسقطه بعد أن كان يعطيه لهم أبو بكر اتباعا لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم[1] ، وليس هذا إلا تطوراً فى الأحكام التشريعية يقتضيه الزمن الذى تغير ، وهو تطور وفق أصول الفقه وصناعته ، ولا يعارض فى شىء ما جاء فى الكتاب والسنة .

إن الذى كان من عمر ووافقه عليه الصحابة ليس فيه نسخ ولا معارضة لحكم ثبت بالقرآن والسنة ، بل إن فيه تقريراً لصنيع الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه المسألة ؛ فإن الرسول كان يقصد بالإعطاء إعزاز المسلمين ودفع الضرر عنهم ، وهذا ما قصده الفاروق ولكن من وجه آخر .

إن إعزاز المسلمين ، وهو علة الإعطاء ، كان أيام الرسول بالدفع إليهم ، ولكن بعد ما صار المسلمون إليه من القوة والمنعة صار هذا الإعزاز بالمنع ؛ وهذا معناه إشعار أولئك المؤلفة قلوبهم بأن الإسلام لم يبق فى حاجة لهم ، كما أن فيه تقوية لقلوب المسلمين أنفسهم ورفعاً لروحهم وتأييداً لعزتهم ومنعتهم .

٢ ــ مسألة زيادة حد شرب الخمر :

روى أبو هريرة رضى الله عنه أنه جىء

---

(١) راجع كتاب المعارف لابن قتيبة ، وفتح القدير وشرح العناية على هامشه جـ ١٤ ــ ١٥ ، وأحكام القرآن للجصاص جـ ٣ : ١٥٢ ــ ١٥٣ ، السنن الكبرى للبيهقى جـ ٦ : ٣٣٩ ، طبقات ابن سعد جـ ٥ : ٥٢٨ ، الأموال لأبى القاسم بن سلام ص ٦٠٦ ــ ٦٠٧ .

للرسول صلى الله وسلم برجل قد شرب ، فقال : اضربوه قال أبوهريرة : فمنا الضارب بيده ، والضارب بنعله ، والضارب بثوبه ، إلى آخر ما قال (١):

ثم كان بعد هذا أن ارتفع حد الشرب إلى أربعين جلدة أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكذلك جرى الأمر أيام خليفته أبى بكر ، ثم زاد فى عهد عمر إلى ثمانين جلدة بعد أن كتب إليه خالد بن الوليد بأن الناس قد انهمكوا فى الخمر وتحاقروا العقوبة ، كما يروى الإمام البيهقى فى سننه الكبرى .

وفى هذا أيضا يذكر الإمام مالك أن عمر ابن الخطاب استشار فى الخمر يشربها الرجل ، فقال على بن أبى طالب : نرى أن نجلده ثمانين ؛ فإنه إذا شرب سكر ، وإذا سكر هذى ، وإذا هذى افترى ، وحد المفترى ، ثمانون ، أو كما قال : فكان من ذلك أن جلد عمر رضى الله عنه ، فى الخمر ثمانين(٢).

والآن ، لنا أن نقول: إن الغرض من العقوبة هو الردع والزجر ، فتقديرها بحد معين يجب أن يختلف باختلاف الزمن ، ولذلك لم تكن مقدرة أيام الرسول صلى الله عليه وسلم كما رأينا ، ولهذا جعلها عمر فى زمنه بعد استشارة الصحابة ثمانين جلدة .

وهذا ليس استحداثا لحكم جديد ، وإن كان هذا ما يظن فى بادئ الرأى ، كما أنه ليس فيه مخالفة لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم . فإن الرسول قصد أن تكون العقوبة رادعة زاجرة عن اقتراف هـذا المنكر ، وذلك ما يختلف فى زمن عنه فى آخر ، وكان الحد الذى رآه عمر والصحابة هو المناسب فى زمنه وفى هذا دليل ، أى دليل ، على وجوب تطور الأحكام التشريعية ، لتكون مناسبة لكل زمن ، على أن تكون دائما فى حدود كتاب الله وسنة رسوله ، ومحققة للغرض المقصود منها .

٣ — حكم الطلاق ثلاثا :

كان الطلاق الثلاث بلفظ واحد يعتبر طلقة واحدة رجعية ، وذلك فى عهد الرسول وعهد أبى بكر ، ثم استمر على هذا صدرا من إمارة عمر ؛ ولكن الفاروق راعه جريان الطلاق ثلاثة على ألسنة كثير من الناس فقال : إن الناس قد استعجلوا فى أمر كانت لهم فيه أناة ، فلو أمضيناه عليهم ، فأمضاه عليهم ثلاثا بعدمشورة منه للصحابة رضى الله عنهم .

وفى هذا يروى عن ابن عباس : أن الرجل كان إذا طلق زوجته ثلاثا جعلوها واحدة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وصدرا من إمارة عمر ، فلما رأى عمر

---

(١) سنن أبى داود ، ج : ٤ ـ ٢٢٦ . ٢٢٧

(٣) الموطأ ، حـ ٢ : ٧٨ .

تتابع الناس على هذا الطلاق ثلاثا ، قال : أجيزوهن عليهم (١) .

إن الخليفة عمر لم ير هذا الرأى الذى أمضاه إلا لأنه خاف أن يعود الناس إلى ماكانوا عليه فى الجاهلية من الإكثار من الطلاق لغير سبب يرضاه الله ورسوله ، وبخاصة أن الطلاق أبغض الحلال إلى الله كما يقول الرسول ، فرأى بعد استشارة فقهاء الصحابة أن يجعله ثلاثا حقا تقع به البينونة الكبرى زاجراً لمن يصير إليه .

وهو بهذا لم يخالف عن أمر الله ورسوله ، بل كل ما فيه أنه منع من « الرجعة » وهى مباحة شرعا ، إذا أراد الزوج ، ولولى الأمر المنع من بعض المباحات درءاً لمفسدة ترى على المصلحة فى فعل هذا المباح .

٤ — حكم اللقطة وضالة الإبل :

أجاز الرسول صلى الله عليه فى أحاديث صحيحة كثيرة التقاط اللقطة من الذهب أو الفضة أو الغنم ونحوها ، وأمر الملتقط بحفظها لديه حتى إذا جاء صاحبها وعرفها دفعها إليه ، وإلا كان له الانتفاع بها إن كان محتاجا أو يتصدق بها على محتاج .

ولكنه نهى عن التقاط ضالة الإبل نهيا شديداً ، حتى إنه لما سئل عنها غضب واحمر وجهه وقال : مالك ولها إدعها ، إن معها حذاءها وسقاءها ، ترد الماء وتأكل الشجر ، حتى يجدها ربها » (١) .

وجرى الأمر على هذا طوال عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم عهد الشيخين رضى الله عنهما ، فكانت الإبل الضالة تترك حتى يجدها صاحبها ، وذلك اتباعا لأمر الرسول ، ولأنها قادرة على الدفاع عن نفسها ، وعلى السير فى المفاوز ونحوها ، وتستطيع أن ترد الماء وتختزن منه فى بطونها ما يكفيها مدة طويلة .

ولكن اختلف فيها فى زمن عثمان وعلى رضى الله عنهما ، فكان الأول يأذن بالتقاطها وبيعها إن لم يعرف صاحبها ، فإذا ظهر أعطى ثمنها . وكان الآخر يأذن أيضاً بالالتقاطها ، ثم بالإنفاق عليها من بيت المال حتى إذا جاء صاحبها أخذها بأعيانها ، وربما كان هذا خيراً له من ثمنها .

ومهما يكن فقد كان فى إذن كل منهما بالتقاط ضالة الإبل مخالفة عن أمر الرسول ونهيه ، ومعنى هذا تغيير لما حكم به . فلماذا ؟ .

الواقع هو أنه فى عهد الرسول لم يكن أحد تحدثه نفسه بأخذ ما ليس له ، ولكن الحال

---

(١) سنن أبى داود ، حـ ٢ : ٣٥١ وراجع أيضا إعلام الموقعين لابن القيم ، حـ ٣ ص ٢٥

(١) راجع مثلا من كتب الحديث ، نيل الأوطار للشوكانى حـ ٢ : ٣٣٨ .

تغير فيما بعد بدخول كثير من غير العرب فى الإسلام ، ومنهم من لا يتورع عن تملك ماليس له ، فكان الإذن بالتقاط ضالة الإبل وحفظها أو حفظ أثمانها هو الطريق الموصل لأداء الحق لصاحبه ، وهذا هو ما قصده الرسول نفسه حين نهى عن التقاطها ، فلا مخالفة إذن عن أمر الرسول ونهيه ، وتغير الحكم اقتضاه تغير الزمان والناس .

* * *

من هذه الأمثلة ، وغيرها كثير فى كتب السنة والفقه والتاريخ ، نرى أن الفقه الإسلامى أخذ فى التطور بعد وفاة الرسول بسنين معدودة ، فكيف بنا نقف جامدين إلى هذا القرن الرابع عشر من الهجرة ! .

حقيقة إن الثورات الثلاث التى تنعم هذه الأيام بثمراتها ، وهى الثورة السياسية ، والثورة الاقتصادية ، والثورة الاجتماعية ، تعوزهن - كما قال الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات فى مفتتح العدد الماضى من هذه المجلة ، ثورة رابعة هى الثورة الدينية ، هذه الثورة التى يكون ميدانها التفسير والحديث والفقه .

وهذه الثورة الأخيرة هى التى تمكن للفقه الإسلامى وتطوره ، وتجعله يدخل الحياة من أوسع أبوابها ، وذلك ليعمل على إيجاد حلول شرعية معقولة ومقبولة لكل مشاكلنا الاقتصادية ، ومن الله العون والتوفيق ، وربما كان لهذا الحديث تتمة وتفصيل فى العدد الآتى إن شاء الله تعالى ؟

الدكتور محمد يوسف موسى

---

[١] راجع الموطأ للإمام مالك ج ٢ : ١٢٨ — ١٢٩ ، السنن الكبرى للبيهقى ج ٦ : ١٨٥ المنتقى لأبى الوليد الباجى ٦ : ١٤٣ — ١٤٤ .

الاجتهاد

إن استطاع العلماء سد باب الاجتهاد المطلق فلن يستطيعوا سد باب الاجتهاد الخاص ، وإن استطاعوه ، فلن يستطيعوا سد باب الاجتهاد فى المذهب لاختيار رأى يلائم عرفا عاما أو خاصا ، أو رأى قضت به ضرورة عامة أو خاصة ، أو لاستنباط رأى فى حادثة لم يكن منصوصا عليها . والحق أن الاجتهاد فى المذهب لم ينقطع فى أى عصر من العصور الماضية وهو باق إلى الآن ، وفى كل يوم نجد للقضاة والمفتين حوادث لا عهد للكتب بها ، فيستنبطون لها أحكاما طبقا للقواعد العامة ؟

من كتاب الاجتهاد فى الإسلام
للإمام محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر الأسبق

صاحب الألفية :

محمد بن مالك

للأستاذ الدكتور أحمد أحمد بدوى

كان لألفية ابن مالك فى النحو العربى والصرف أثر كبير فى دراسة هاتين المادتين ؛ فقد سهل نظمها على الدارسين تذكر قواعدهما، وكانت مركز نشاط واسع فى التأليف ، فكتبت عليها الشروح مختصرة ومطولة ، ووضع على هذه الشروح حواش موجزة ومسهبة ؛ وعد حفظها ضروريا لمن يريد التبحر فى دراسة نحو العربية وصرفها .

وصاحب هذه الألفية هو محمد بن عبد الله ابن مالك . ولد فى مدينة « جيان » بالأندلس سنة ستمائة هجرية (١٢٠٣ — ١٢٠٤ م) ، ويقول بعض المؤرخين : إنه ولد قبل ذلك بعامين ، ويقول بعض آخر : إنه ولد بعد ذلك بعام أو عامين .

ودرس فى مسقط رأسه ، على نخبة من علماء بلده ـ القراءات ، والنحو ، والفقه على مذهب مالك ، ثم رحل إلى المشرق ، فدخل دمشق ، ودرس هذه المواد ، كما درس الحديث على بعض أعلام العصر كالسخاوى وابن الحاجب ، وغيرهما ؛ وانتقل إلى حلب ، وتلقى النحو على ابن يعيش ، شارح المفصل فى النحو للزمخشرى ، وعلى تلميذه ابن عمرون . ولما جاء إلى المشرق انتقل من مذهب مالك إلى مذهب الشافعى .

كان الهدف الأول لابن مالك فى دراسته أن ينبغ فى اللغة والنحو ، وقد وصل فى تحقيق هذا الأمل إلى مدى بعيد ، حتى صار مضرب المثل فى معرفته بدقائق النحو ، وغوامض الصرف ، وغريب اللغة ، وأشعار العرب ، والتحرى فى النقل ، وتحريره لما يرويه .

أخبر الشهاب محمود : أن ابن مالك جلس يوما ، وذكر ما انفرد به صاحب المحكم عن الأزهرى فى اللغة ، وقال الشهاب : هذا أمر معجز ؛ لأنه يحتاج إلى معرفة جميع ما فى الكتابين .

وتعمق ابن مالك فى دراسة الحديث ، واستكثر من معرفته ؛ لأنه كان أكثر ما يستشهد بالقرآن ، فإن لم يكن فيه شاهد عدل إلى الحديث ، فإن لم يجد فيه شاهداً عدل إلى أشعار العرب .

وساعد ابن مالك على تفوقه العلمى ما منحه من ذكاء ممتاز ، وصبر على البحث ، وقدرة على العمل ، ومثابرة دائبة ، وما اتصف به ، من أمانة النقل ، وصدق النحرى ، ودوام

المراجعة ، فما كان يكتب شيئا من محفوظه ، حتى يراجعه فى موضعه ، وهذا دأب ثقات العلماء . قالوا : وما كان يُرى إلا وهو يصلى أو يتلو أو يصنف ، أو يقرأ .

تصدرا بن مالك للتدريس فى مدينة حلب ، بعد أن أتم دراسته اللغوية ، وكان إمام المدرسة السلطانية بها ، فأخذ يلقى بحلب دروسه فى النحو ، ويؤلف ، وهناك نظم الكافية الشافية . ثم انتقل إلى حماة ، حيث تصدر بها مدة ، وتابع هناك دروسه فى النحو ، ونظم ألفيته المشهورة ، وهى خلاصة الكافية الشافية ثم مضى إلى دمشق ، حيث ألقى بها عصا التسيار ، وتصدر بالجامع الأموى ، وبالمدرسة العادلية الكبرى ، التى عين إماما لها .

وكان أكثر ما يلقيه على تلامذته النحو ، كما كان يدرس القراءات أيضا ، ومما كان يدرسه فى النحو ألفية ابن معطى ، وممن درسها عليه أحمد بن عبد الرحيم ابن شعبان . وأقبل الطلبة عليه ، ينهلون من علمه ، وتخرج منهم عدد ضخم ، صاروا أئمة ممتازين ، نذكر منهم ابنه : بدر الدين ، الذى شرح الكثير من كتب أبيه النحوية ، وبدر الدين بن جماعة قاضى القضاة ، وبهاء الدين بن النحاس أستاذ التفسير فى المدرسة المنصورية ، وأبا زكريا النووى الفقيه المشهور ، وأبا الحسين اليونينى وغيرهم ، ولم يأخذ عنه أبو حيان ، مع أنهما تعاصرا زهاء ثلاثين عاما ؛ لأن أبا حيان كان يتعصب على ابن مالك .

ومن المؤكد أن ابن مالك درس لطلبته مؤلفاته فى اللغة والنحو ، والقراءات ، ولما كان النظم سهلا عليه رأينا كثيرا من مؤلفاته منظوما ، وكان وقته مباركا فيه فوضع كثيرا من المؤلفات التى تربى على الثلاثين ، نظمها بعضهم فى أبيات ، وذيلها السيوطى بما بقى من مؤلفاته ، ومن تلك المؤلفات :

١ — الكافية الشافية [1] ، وهى أرجوزة نحوية ، فى ثلاثة آلاف بيت ألفها كما قلنا ، فى مدينة حلب ، وأولها :

قال ابن مالك محمد ، وقد
نوى إفادة بما فيه اجتهد :
الحمد لله الذى من رفده
توفيق من وفقه لحمده

ثم شرحها شرحاً سماه الوافية [2] ، وعلق عليه ببعض الفوائد النحوية وشرحها كذلك ولده : بدر الدين محمد .

٢ — الخلاصة ، أو الألفية ، وهى : أرجوزة فى ألف بيت تجمع النحو والصرف اختصر فيها الكتاب السابق . قال بعض المؤرخين : إنه صنفها لولده : تقى الدين محمد

(١) مخطوطة بدار الكتب رقم ٢٣٦ و ٢٤٦ نحو .
(٢) مخطوط بدار الكتب رقم ٣٢٦ نحو .

المدعو بالأسد ، ولكن الراجح أن الذى ألفه لهذا الابن هو مقدمة فى النحو ، تدعى : المقدمة الأسدية . أما الألفية هذه فقد ألفت فى حلب ، برسم القاضى شرف الدين ابن البازى .

ولما كانت الألفية مختصر الكافية ، كان كثير من أبيات هذه بنصه فى الألفية .

وقد استن ابن مالك سنة جمع قواعد النحو والصرف فى ألف بيت ، بعالم نحوى قبله ، هو ابن معطى ؛ الذى اعترف له ابن مالك بفضيلة السبق ، وإن قرر أن ألفيته أفضل من ألفية ابن معطى ، وذلك فى مقدمة الألفية إذ يقول ابن مالك :

وأستعين الله فى ألفية
مقاصد النحو بها محوية
تقرب الأقصى بلفظ موجز
وتبسط البذل بوعد منجز
وتقتضى رضا بغير سخط
فائقة ألفية ابن معطى
وهو بسبق حائز تفضيلا
مستوجب ثنائى الجميلا
والله يقضى بهبات وافرة
لى وله فى درجات الآخرة

وقام ابن مالك بشرح ألفيته ، كما شرحها ولده بدر الدين محمد ، شرحا منقحا اشتهر بشرح ابن المصنف [1] ، خطأ فيه والده فى بعض المواضع ، وأورد الشواهد من الآيات القرآنية ، وفرغ من تأليفه فى محرم ٦٧٦ هـ قال الصفدى : ولم تشرح الخلاصة بأحسن ولا أسد ، ولا أجزل منه ، على كثرة شروحها .

وقد ظفرت الألفية ، كما قلنا ، بعناية كبرى من العلماء ، فوضعوا عليها الشروح والحواشى ، مما ندر أن يظفر بمثله كتاب ، كما اختصرها عمر بن الوردى فى مائة وخمسين بيتا ، ولا تزال إلى اليوم أساس دراسة النحو والصرف .

٣ — كتاب الفوائد ، وهو الذى لخص منه كتابه : تسهيل الفوائد [2] ، وتكميل المقاصد .

وكتاب التسهيل يقول عنه صاحب كشف الظنون : هو كتاب جامع لمسائل النحو ، بحيث لا يفوته ذكر مسألة من مسائله وقواعده ؛ ولذلك اعتنى العلماء بشأنه ، وصنفوا له شروحا ، منها شرح المصنف [3] وصل فيه إلى باب المصادر ، ثم أكمله ولده بدر الدين .

---

(١) مخطوط بدار الكتب رقم ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٩٦٥ ، ١٤٤١ نحو .

(٢) بدار الكتب رقم ٧٠١ و ٣ مجاميع شين مخطوط ، و ١٦٠٧ مخطوط ، و ١٠٩١ مطبوع .

(٣) بدار الكتب ، نحو رقم ١٠ شين .

وكتاب الفوائد هو الذى مدحه بعضهم بقوله :

إن الإمام جمال الدين فضله
إلهه ، ولنشر العلم أهله
أملى كتابا له يسمى : الفوائد ، لم
يزل مفيدا لذى لب تأمله
فكل مسألة فى النحو يجمعها
إن الفوائد جمع لا نظير له

٤ — كتاب نظم الفوائد ، وهو ضوابط وفوائد منظومة ، ليست على روى واحد . ولعلها فى اللغة والنحو ، ولعل منها نظمه فى خيل سباق الحلبة :

خيل السباق : المجلى ، يقتفيه مصل
والمسلى ، وتال ، قبل مرتاح .
وعاطف ، وحظى ، والمؤمل
واللطيم ، والفسكل : السكيت ياصاح .

٥ — وألف كتاب عدة اللافظ ، وعمدة الحافظ ، وهو مقدمة فى النحو أيضاً ، سار فيها على طريقته الموجزة ، ثم شرحه .

٦ — وشرح مقدمة الجزولى فى النحو ، والمفصل للزمخشرى ، ونظمه فى كتاب دعاه الموصل ، ثم حل هذا النظم فى كتاب آخر ، سماه : سبك المنظوم ، وفك المختوم .

٧ — ووضع فى الصَّرف : كتاب التعريف وشرحه ونظم لامية الأفعال ، وهى منظومة لامية من بحر البسيط فى أربعة عشر بيتاً ، فى أبنية الأفعال ، شرحها ولده بدر الدين أيضا[1] . وله منظومة واوية فى المقصور والممدود فى اثنين وستين ومائة بيت ، ضمنها معظم الكلمات التى تنتهى بألف مقصورة أو ممدودة ، ووضع عليه شرحا دعاه : تحفة المودود[2] . وألف مختصراً فى الإبدال ، دعاه الوفاق .

٨ — وجمع له بعض طلبته فتاوى فى العربية .

٩ — ووضع كتابا ، سماه : شواهد التوضيح والتصحيح ، لمشكلات الجامع الصحيح[3] . شرح فيه المشكل من إعراب ما ورد فى صحيح البخارى من الأحاديث ، وعلق على هذا الكتاب ناظم مؤلفاته بقوله :

ويكفيه ذا بين الخلائق رفعة
وعنـــد النبى المصطفى متوسلا

١٠ — وله فى اللغة منظومات وأراجيز : ككتاب الإعلام فى مثلث الكلام[4] . وهو أرجوزة فى نحو ثلاثة آلاف بيت ، أهداها إلى الناصر حفيد صلاح الدين ، ذكر

---

(١) بدار الكتب ، علم الصرف رقم ٣ و ٩ .
(٢) بدار الكتب ، لغة عربية رقم ٣٨٩ و ٣٩٠ شين .
(٣) طبع بالهندسة ١٣١٩هـ معجم المطبوعات ج ١ ص ٢٣٤ .
(٤) بدار الكتب . لغة عربية رقم ٣١٠ و ٣٨٩ و ٣٩٠ ، ١٩ شين ، فى ١٥٤ صفحة .

فيها الألفاظ التى لكل منها ثلاثة معان ، باختلاف حركاتها ، ورتب تلك الألفاظ على الأبجدية ، فهى كالمعجم للمثلثات . وله منظومة فى الضاد والظاء ، وأخرى فى الصاد والطاء ، وثالثة فى كلمات وردت ذات شكل مختلف وصورة مختلفة ، بدأها بقوله :

تثليث (با) إصبع مع شكل همزته
بغير قيد ، مع الأصبوع قد نقلا

١١ — ونسب إليه فى دائرة المعارف كتاب فى العروض .

١٢ — ونظم فى القراءات قصيدتين : إحداهما دالية ، يقول فيها :

ولا بد من نظمى قوافى تحتوى
لما قد حوى حرز الأمانى وأزيد

والأخرى لامية أولها :

بذكر إلهى حامداً ومبسملا
بدأت ، فأولى القول يبدأ أولا

وآخرها :

وزادت على (حرز الأمانى) إفادة
وقد نقصت فى الجرم ثلثا مكملا

و (حرز الأمانى) هو قصيدة الشاطبى فى القراءات قال فى غاية النهاية : وقد أخذ عنه العربية غير واحد من الأئمة . غير أنى لا أعلم أحداً قرأ عليه القراءات .

صار ابن مالك يضرب المثل بنبوغه فى النحو ، قيل عنه فى دائرة المعارف : إنه كاد ينازع سيبويه شهرته . وكان هو يؤمن بعبقريته فى هذا الفن ، حتى يستصغر الزمخشرى فيه ، فكان يقول عن ابن الحاجب : إنه أخذ نحوه من صاحب المفصل وصاحب المفصل نحوى صغير ، وقدم قصته لصاحب دمشق ، يقول له : إنه أعلم الناس بالعربية والحديث .

هـذا ، ومؤلفات ابن مالك لم توضع للمبتدئين فى هذا الفن ، ولكن للمتوسطين ، يرقون بها إلى درجات النهاية .

ويضم مؤرخو ابن مالك إلى نبوغه فى العلم وعبقريته ، وصفه بالدين ، والورع ، والتقوى ، وكثرة العبادة ، وصدق اللهجة .

وينسبون إليه شعرا غير نظمه التعليمى ؛ ومن أحسن ما رووه له قوله ، وتتغلغل فيه روح الفقيه :

إذا رمدت عينى تداويت منكم
بنظرة حسن أو بسمع كلام
فإن لم أجد ماء تيممت باسمكم
وصليت فرضى ، والديار أمامى

وكان ابن خلكان يعظمه ، ويضمر له أكبر الإجلال ، فكان إذا صلى معه فى العادلية ، فى عهد إمامة ابن مالك بها ، شيعه قاضى القضاة : ابن خلكان إلى بيته ، تعظيما له ؛ ولذلك انتقدوا المؤرخ على إغفال ابن مالك من تاريخه ، مع ما يحمله له من هذا التعظيم .

وبعد عمر حافل بالإفادة والاستفادة ـ مات بدمشق ليلة الأربعاء الثالث عشر من شعبان سنة ٦٧٢ هـ . ورثاه بعض العارفين بفضله ، فمن هؤلاء شرف الدين الحصنى ، رثاه بقصيدة شعر فيها بالمشاركة الوجدانية بين مسائل علم النحو والصرف وبين ابن مالك ، فورى فى القصيدة باصطلاحاتهما ، واجتهد فى أن يملأها بهذه الاصطلاحات ، إذ يقول :

يا شتات الأسماء والأفعال
بعد موت ابن مالك المفضال
مصدراً كان للعلوم بإذن اللـ
ـه من غير شبهة ومحال
عدم النعت والتعطف والتوكيد
مستبدلا من الإبدال

ويمضى على هذا النسق ، مستخدما تلك الاصطلاحات ، حتى يقول :

يا لسان الأعراب ، يا جامع
الإعراب ، يا مفهما لكل مقال
يا فريد الزمان فى النظم والنثر ،
وفى نقل مسندات العوالى
كم علوم بثثتها فى أناس
علموا ما بثثت عند الزوال

وبرغم أن القصيدة متكلفة ضعيفة النسج قال عنها الصلاح الصفدى : ما رأيت مرثية فى نحوى أحسن من هذه المرثية .

وإذا قطعنا النظر عما فيها من التكلف استطعنا أن نلمس تقدير الرائى لعلم ابن مالك ونبوغه فى علم النحو ، وتفرده فى زمانه بإحاطته بعلم الإعراب ، وإفادته لطلبته الذين تصدروا للتعلم والإفادة .

وهذا آخر يرثيه ، ويعدد مآثره ، ويذكر آثاره التى ألفها ، فيقول :

سقى الله رب العرش قبر ابن مالك
سحائب غفران تغاديه هطلا
فقد ضم شمل النحو من بعد شته
وبين أقوال النحاة ، وفصلا
بألفية تدعى الخلاصة ، قد حوت
خلاصة علم النحو والصرف مكملا
وكافية مشروحة أصبحت تفى
لعمرى بالعلمين فيها تسهلا
ومختصر سماه عمدة لافظ
يضم أصول النحو لا غير مجملا
وبين معناه بشرح منقح
أفاد به ما كان لولاه مهملا

ويمضى الرائى معددا كتب ابن مالك ، واصفا لها على هذا النحو ، حتى يكمل عدتها ثمانية وعشرين كتابا ، إذ يقول :

فجملتها عشرون تتلو ثمانيا
فدونكها نسخا وحفظا تنبلا

ويلحظ بعض مؤرخى ابن مالك أن له كتبا أخرى لم يذكرها راثيه ، فيذيل الأبيات بأخرى من وزنها وقافيتها ، يكمل بذلك عد

مؤلفات الرجل. ويبلغ بها ثلاثة وثلاثين كتابا.

أما تلميذه بهاء الدين بن النحاس فيرثى أستاذه بقوله :

قل لابن مالك : إن جرت بك أدمعى
مرا يحاكيها النجيع الفائض
فلقد جرحت القلب حين نعيت له
فتدفقت بدمائه أجفانى
لكن يهون ما أجن من الأسى
على بنقلته إلى رضوان

مراجع ابن مالك :

١ — كتبه .
٢ — فوات الوفيات ٢ : ٢٢٧ .
٣ — بغية الوعاة ص ٥٣ .
٤ — النجوم الزاهرة ٧ : ٢٤٣ .
٥ — طبقات الشافعية للسبكى ٥ : ٢٨ .
٦ — معجم المطبوعات ج ١ نهر ٢٣٢ .
٧ — السلوك ١ : ٦١٣ .
٨ — الدرر الكامنة ١ : ١٧٠ : ١٩٥ .
٩ — المختصر فى أخبار البشر ٤ : ٨ .
١٠ — دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد الأول الجزء الرابع ص ٢٧٢ والخامس ص ٢٧٣ .
١١ — غاية النهاية ٢ : ١٨٠ .
١٢ — شذرات الذهب ٥ : ٣٣٩ .
١٣ — نفح الطيب ٧ : ٢٥٧ طبعة فريد رفاعى .
١٤ — كشف الظنون ج ١ نهر ٨٢ و ١٥١ و ج ٢ نهر ١١٦٦، ١٢١٩ و ١٣٠١ و ١٣٦٩ و ١٣٩٦ و ١٧٧٤ ، ١٨٠٠ ، ١٩٦٤ .
١٥ — البداية والنهاية ١٣ : ٢٦٧ .
١٦ — مفتاح السعادة ص ٣٥ .
١٧ — طبقات محمد أمين بن حبيب ص ٢٣٦ ب .

الدكتور أحمد أحمد بدوى
وكيل كلية دار العلوم

لا إكراه فى الدين

قال إبنين دينيه فى كتابه « أشعة خاصة بنور الإسلام : إن القرآن — دون الكتب المقدسة الأخرى — هو الكتاب الوحيد الذى يأمر بالرفق والإحسان فى الدين . جاء إلى الرسول أحد بنى سالم بن عوف واسمه الحسن ، وقال له يا رسول الله . إن لى ولدين مسيحيين يأبيان الدخول فى دين الله وإنى لأجبرهما على ذلك . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « لا إكراه فى الدين » .

رأى له ما يبرره

كتابة المصحف بالإملاء الحديث

للأستاذ محمد رجب البيومى

من نكد الأقلام أن تتصارع فى غير ميدان ، فقد يكون الرأى واضحا تطمئن إليه العقول المنصفة عن يقين ، وتهدى إليه الفطر السليمة عن بديهة ، ثم تجد من يعمد إليه بتوهين مفتعل يعوزه السداد والتؤدة ، فيجوك حوله غبارا ثائراً يلتبس به وجه الصواب ، وقد يجد أسماعا تصغى إليه فيتمادى فى توهينه ونقضه ، حتى يصير البدهى الواضح أمراً معضلا يتطلب الحـــل ، ويستدعى الجلد والمعاناة .

ولقد حفل تراثنا الفقهى المجيد ، بمسائل كثيرة تختلف فيها المذاهب ، وتتعدد حولها الآراء فكان هذا الاختلاف العلمى فى كثير من أموره باب رحمة تلحق الناس ، ووسيلة توسعة تفسح الطريق ، ولكنه كان فى بعض الأمور أيضا مدعاة شطط وجموح ، ودفع وجذب ، واختلاف الآراء حول المسألة الواضحة يطمس ملامحها الزاهية ، ويفعل بها ما يفعـل السحاب الداكن بصحيفة البدر الزاهر ، وإذ ذاك تتطلب من ينهض سريعا لإزاحة ما تلبد من غمام ، فتدور رحى معركة طحون ، وتكثر النقول والشواهد من تراث حافل مديد ، وتتزاحم أسماء الفقهاء تزاحما مذهلا ، حتى لتجد الرأى ونقيضه معا لعالم واحد ! ! والناس من وراء ذلك كله فى حيرة مقلقلة وأمر مريج .

وكتابة المصحف الشريف بالإملاء الحديث تصلح أن تكون مثالا عجيبا لهذا الاختلاف الحائر فى الأمر الواضح ؛ إذ أننا نرى فريقا من الفضلاء يحرصون على الرسم العثمانى حرصا شديداً يلتمسون له الأدلة ويتكلفون له البراهين ، فإذا حاولت أن تواجه دليلا بدليل ، أو تدحض حجة بحجة ، لا تجد من معارضيك من يستمع إلى رأيك المنصف ، بل تبصر حشداً هائلا من النقول الفقهية يسدد إلى منطقك كما تسدد القذائف الصاعقة دون إمهال ، فمن قائل يقول: إن الإمام مالكا رضى الله عنه سئل : هل يُكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء . فقال لا إلا على الطريقة الأولى ! ! ومن قائل : إن الإمام أحمد بن حنبل يقول : تحرم مخالفة خط عثمان فى ياء أو ألف أو واو أو غيره ،

ومن قائل : إن البيهقى قد صرح بأن على من يكتب المصحف أن يلتزم رسم المصحف الإمام !! وهذه أقوال أئمة من كبار الفضلاء، ولكنها ليست آيات من القرآن أو أحاديث من كلام الرسول ، ولك أن تلتمس نقائضها عند أئمة آخرين ، فقد قال سلطان العلماء العز بن عبد السلام : لا يجوز كتابة المصحف الآن على الرسوم الأولى ، وباصطلاح الأئمة لئلا يوقع فى تغيير من الجهال ، كما ذكر أبو بكر الباقلانى أن الرسم العثمانى لا يلزم أن يتبع فى كتابة المصحف الشريف ، أما العلامة ابن خلدون فقد أفاض إفاضة مليئة فى الدعوة إلى ترك الرسم العثمانى مما سنبسطه لأهميته بعد قليل !! وإنما ذكرت هذه الآراء المتضاربة لكبار الأئمة والمفكرين ، ليعلم القارئ أن أقوال العلماء وحدها لا تحسم الخلاف إلا إذا وجدت ما يساندها من البرهان والتعليل ، فلنمر بها الآن مروراً سريعا لننقل المسألة إلى مجال هادئ تختفى فيه سيطرة الأسماء اللامعة ، ويقف الدليل أمام الدليل ! .

نحن فى عصرنا الحاضر - ولندع غيره من العصور - أمام مشكلة حقيقية يصطدم بها آلاف المدرسين من رجال التربية والتعليم ، إذ أن آلاف المصاحف القرآنية توزع على الطلاب كل عام ، ليقرءوا بها ما تقرر عليهم شرحه وحفظه فى دروس التربية الدينية ، فإذا تهيأ الطالب للقراءة لاحقه اللحن فى كل آية إذ يجد من اصطلاحات الرسم العثمانى ما لا يعهده فى جميع ما لديه من كتب الدراسة ، فإذا انبرى المعلم لتصحيح اللحن مرة بعد مرة ، وجد الأفهام الغضه لا تسيغ أن تنطق بغير ما ينبئ عنه ظاهر الرسم ، فإذا سأل السائلون عن خط المصحف وطريقة كتابته لم يجدوا فى الإجابة المرنحة ما يقنعهم بفائدة القراءة فى المصحف الكريم ، فإذا أصر المدرس على ذلك غرق فى خضم من اللحن المنكر ، والخطأ المرير ، فيضطر مستسلما إلى كتابة النص القرآنى على السبورة بالإملاء المتعارف لدى التلاميذ ، ويسارع هؤلاء فينقلون الآيات فى أوراقهم ، كما دونها المدرس ثم يطوون المصحف الوزارى وقد اعتقدوا أن القراءة به مدعاة الخطأ المعيب ! وهكذا يصبح كتاب الله نائيا مجفوا لا ينتفع به غير من حفظوا القرآن على معلمى الكتاتيب ، وهؤلاء كانوا منذ زمن قريب كثرة كاثرة فى المدن والريف ، أما الآن فقد اكتسحت المدارس المدنية أكثر أبناء الشعب ، تاركة لجماعات تحفيظ القرآن عددا لا يذكر بالقياس إلى ما كان !! حتى أشفق الحريصون على كتاب الله من يوم قريب يبحثون فيه عن الحفظة فلا يجدون غير النذر القليل ! .

نسأل بعد هذا الموقف المحرج عما يدعو إلى تمسكنا الحريص بالرسم العثماني في عصرنا الحاضر فنجد لجنة الفتوى الموقرة بالأزهر الشريف تقول نقلا عن مجلة الرسالة [1] وأما طبع المصحف الكريم على قواعد الرسم الكتابي العادي المتبع الآن ، فاللجنة ترى لزوم الوقوف عند المأثور من كتابة المصحف وهجائه ، وذلك لأن القرآن الكريم كتب وقت نزوله على النبي صلى الله عليه وسلم وقد مضى عهده (ص) والقرآن على هذه الكتابة لم يحدث فيها تغيير ولا تبديل ، وقد كتبت بها مصاحف عثمان ووزعت على الأمصار لتكون إماماً للمسلمين ، وأقر أصحاب النبي عمل عثمان رضى الله عنه ، ولم يخالفه أحد فيما فعل ، واستمر المصحف مكتوبا بهذا الرسم في عهد بقية الصحابة والتابعين وتابعي التابعين والأئمة المجتهدين في عصورهم المختلفة ولم ينقل عن أحد من هؤلاء جميعا أنه رأى تغيير هجاء المصحف عما رسم به أولا إلى تلك القواعد التي حدثت في عهد ازدهار التأليف في البصرة والكوفة بل ظل مصطلح القرآن قائما مستقلا بنفسه بعيدا عن التأثر بتلك القواعد ، هاك ما قالته اللجنة الموقرة ونضيف إليه ما قاله البحاثة المتمكن الأستاذ حفني ناصف رحمه الله وهو صاحب الدعوة الأولى في مطلع هذا القرآن إلى كتابة المصحف الشريف بالرسم العثماني حين هم الخديوي عباس بكتابة نسخة منه بالإملاء الحديث إذ كان يخطأ كثيرا في تلاوته فتزعم حفني بك ناصف فريق المناوئين لهذا الرأي وقاد حملة أدبية في المؤيد واللواء حتى انتصر رأيه بلباقته وحميته ، ثم عهد إليه مع زميليه الأستاذين أحمد الإسكندري ومصطفى عناني بالإشراف على طبع المصحف الحكومي وتصحيحه وفقا الرسم العثماني فقام ثلاثتهم بمجهودهم المشكور في هذا المضمار الكريم ، ! أقول إننا نضيف إلى قول اللجنة الموقرة ما يقوله الأستاذ حفني ناصف نقلا عن مجلة المقتطف من بحث نشر [1] بعد وفاته رحمه الله :

« ومن هذا يعلم أن المحافظة على رسوم المصاحف العثمانية أمر واجب لمعرفة القراءة المقبولة والمردودة ، لأن هذه الرسوم صارت أصلا من أصول القراءة ، ودعامة من دعائم الإسلام وفي هذه المحافظة احتياط شديد لبقاء القرآن على أصله لفظاً وكتابة ، فلا يفتح فيه باب الاستحسان ، لأنه إذا فتح باب الاستحسان في الرسم فقد لا يلبث أن يفتح في اللفظ ، ويتطرق إليه التغيير والتبديل ، فسدوا هذا الباب بإبقاء كل

(١) مجلة الرسالة العدد ٢١٦ سنة ١٩٣٧ .

(١) مجلة المقتطف يوليو سنة ١٩٣٣ م .

شئ على أصله ، حتى ما هو مخالف لقانون الرسم المعتاد » .

نقرأ النصين السابقين فنعرف أن لجنة الفتوى الجليلة ترى أن المصحف قد استمر مكتوبا من عهد عثمان دون أن يلحقه تغيير وتبديل ، وقد تطورت قواعد الإملاء فى عهد ازدهار التأليف بالبصرة والكوفة ، وظل مصطلح القرآن قائما مستقلا بنفسه بعيداً عن التأثر بتلك القواعد فأولى به أن يظل على بعده الآن .

وأنت تعلم أن المصحف الذى كتب فى عهد عثمان كان غير منقوط إذ أن أول من وضع نقط الإعجام فى العربية نصر بن عاصم الليثى ، مستعينا بأستاذه يحيى بن يعمر العدوانى بناء على رغبة الحجاج بن يوسف الثقفى ، فأدخل هذا النقط إلى المصحف الشريف وتغير بذلك عن هيئة يوم وضع فى عهد عثمان للمرة الأولى ، ! وأنت تعلم أن المصحف العثمانى كان غير مشكول إذ أن أول من وضع الشكل فى العربية هو أبو الأسود الدؤلى بأمر من زياد ابن أبيه فى عهد معاوية ، وذلك ما كان بعد كتابة المصحف العثمانى ، فأدخل هذا الشكل إلى المصحف بعد قليل من اختراعه ، وتغير بذلك للمرة الثانية عن هيئته يوم وضع فى عهد عثمان ! وأنت تعلم أن المصحف العثمانى لم تذكر به أسماء السور كما نرى الآن فى طبعات الوزارة التى أشرف عليها الأستاذ المتشدد حفنى ناصف ولكنها ألحقت به نقلا عن نسخ متأخرة صدرت بعد العهد العثمانى بأجيال فتغير بذلك المصحف الكريم مرة ثالثة عن هيئته يوم كتب فى عهد عثمان ، وأنت تعلم أن أرقام الآيات مستحدثة لا تكاد تتجاوز القرن الأخير ومع ذلك فقد ألحقت بالمصحف العثمانى فتغير بها مرة خامسة عن هيئته يوم كتب فى عهد عثمان ، أما حروف الهجاء نفسها فقد تغيرت شكلا فى أكثرها ، فقد حرف فى رسمه ، وصغر ثان فى حجمه ، واستدار ثالث فى هيئته . ولديك بدار الكتب المصرية صورة شمسية لصحيفة من مصحف أثرى يرجع عهده إلى القرن الأول فلو تأملت بها لرأيت عجبا أى عجب فى اختلاف رسوم الحروف !! فإذا كان المصحف العثمانى قد طرأ عليه ما أسلفنا من التغيير المتعدد أفلا نستجيز الآن تغييراً جديدا فى رسمه ؛ فنكتبه بإملائنا الحديث تفاديا مما يقع فيه الطلاب من خطأ مؤلم . ولحن شائن كريه !! على أننا نعلم أن المصحف العثمانى قد كتب فى عهد أمى . ومن تولى كتابته كزيد بن ثابت وأبى بن كعب وغيرهما كانوا من البدائية الساذجة فى رسم الكلمات إلى حد أفصح عنه العلامة ابن خلدون حين تعرض لهذا الموضوع

فى مقدمته الرائعة فقال من حديث طويل [1] .

وكان الخط العربى لأول الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة ولا إلى متوسط لمكان العرب من البداوة والتوحش ، وبعدهم عن الصنائع ، وانظر ما وقع من أجل ذلك فى رسمهم المصحف حيث رسمه الصحابة بخطوطهم وكانت غير مستحكمة فى الإجادة فخالف الكثير من رسمهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها ثم اقتفى التابعون من السلف رسمهم فيها تبركا بما رسمه أصحاب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم وخير الخلق ـ من بعده ، المتلقون لوحيه من كتاب الله وكلامه كما يقتفى لهذا العهد خط ولى تبركا ويتبع رسمه صوابا وخطأ ، وأين نسبة ذلك من الصحابة فيما كتبوه ؟ فاتبع ذلك ، ونبه العلماء بالرسم على مواضعه ولا تلتفتن فى ذلك إلى ما يزعمه بعض المغفلين من أنهم كانوا محكمين لصناعة الخط .

وإن ما يتخيل من مخالفة خطوطهم لأصول الرسم ليس كما يتخيل ، بل لكل وجهه ، يقولون فى زيادة الألف فى لأذبحنه إنه تنبيه على أن الذبح لم يقع ، وفى مثل زيادة الياء فى بأييد أنه تنبيه على كمال القدرة الربانية ، وأمثال ذلك مما لا أصل له إلا التحكم المحض وما حملهم على ذلك إلا اعتقادهم أن فى ذلك تنزيها للصحابة عن توهم النقص ، فى قلة إجادة الخط . وحسبوا أن الخط كمال فنزهوهم عن نقصه ، ونسبوا إليهم الكمال بإجادته ، وطلبوا تعليل ما خالف الإجادة من رسمه وليس ذلك بصحيح ، اه .

وقد اتضح أن جمهور الأئمة من صدور هذه الأمة قد أذنوا للمصحف الشريف أن يتطور منذ عهد عثمان هذا التطور شكلا ونقطا ورقما وكتابة لأسماء السور ، وتعديلا لأكثر رسوم الحروف ، فإذا نادينا اليوم بتخليصه من الحروف الزائدة ، واتجاهه إلى الإملاء الصحيح ، فنحن نسير خطوة لاحقة لما سوابقها الماضيات ، ولا نأتى ببدعة مستحدثة ، وحسبنا أن ننقذ آلاف القراء من لحونهم المنكرة واضطرابهم المشين !! .

وإذا كانت لجنة الفتوى قد سلكت فى إجابتها مسلك المستريب المحتاط ، فإنها لم تدع ما ادعاه الأستاذ حفنى ناصف من أن هجاء المصحف بضبطه العثمانى يمنع القراءة بلغة مردودة غير لسان قريش ، إذ أن الاملاء المعاصر لا يجيز للكلمة أن تنطق نطقا آخر غير ما تعارف عليه الناس فكيف نحمله إذاً ما لا يطيق ؟ وإذا كنا نعلم أن عثمان الشهيد قد جمع الناس على لسان قريش ، فقطع بذلك السبيل على من يقرءون بلهجات قبلية مختلفة

(١) المقدمة ص ٤١٩ ط مصطفى محمد .

فإن مرور الزمن قد مكن لهذا اللسان القرشى أن يصبح منطق القرآن الوحيد ، وإذا أتيح لكتاب الله أن يطبع بالهجاء المعاصر فلن تصله صلة ما باللهجات المنقرضة ، والألسنة البائدة ، وللقارئ أن ينظر معى إلى هذه الفقرات كما رسمت فى مصحف عثمان (١) ولقد جاءك من نبأى المرسلين (٢) أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم (٣) فستبصر ويبصرون بأييكم المفتون (٤) سأوريكم آياتى فلا تستعجلون (٥) وما دعاؤ الكافرين إلا فى ضلال (٦) اهبطوا مصرا (٧) لا تيئسوا من رحمة الله (٨) لكننا هو الله ربى (٩) أفلم ييئس الذين كفروا (١٠) رسولا من الله يتلوا صحفا مطهرة (١١) لا أذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين (١٢) وتظنون بالله الظنونا (١٣) والسماء بنيناها بأييد (١٤) وثمودا فما أبقى (١٥) إنا اعتدنا للكافرين سلاسلا وأغلالا (١٦) ولا تقولن لشاىء إنى فاعل ذلك . للقارئ أن يتأمل هذه الكلمات ذات الهجاء المضطرب - وأمثالها كثير كثير - ثم ليتصور أنها كتبت فى المصحف الجديد هكذا على التوالى ، نبأ ، أفإن ، بأيكم سأريكم ، دعاء - مصر - تيأسوا - لكن - بيأس - يتلو - لأذبحنه - الظنون - بأيد - وثمود - سلاسل - لشىء ؛ ثم ليسأل معى : أهذا الهجاءُ الحديث الميسر يشير إلى لهجة قبلية بائدة كما توهم حفنى ناصف أم أن هجاء المصحف بوضعه الراهن يعطى قارئ القرن العشرين مالا تقصده معانى الكتاب العزيز ؟ ! على أن العجيب المذهل أن تجد مَن يتبرعون بتفسير كل خطأ فى إفرادهم الكتب الخاصة برسم القرآن يزعمون أن رسم الكلمة لا أذبحنه بألف بعد اللام يفيد امتناع الذبح ، وأن زيادة الياء فى قوله تعالى بأييد تنبه إلى كمال القدرة ! ! مما وضعه ابن خلدون فى مقدمته ، وتعجب منه أستاذنا الكبير أحمد حسن الزيات فكتب فى مجلة الرسالة [١] يقول : تعقيبا على فتوى اللجنة « بقى أن لجنة الفتوى لم تذكر الحكمة فى الاستمرار على الرسم المضلل فى كتابة قوله تعالى : « ولا تقولن (لشاىء) لشىء إنى فاعلٌ ذلك غدا ، والسماء بنيناها (بأييد) بأيد ، (وبأييكم بأيكم المفتون . اهـ »

وأبدى الأستاذ رأيه صريحا فى محاضرة ألقاها بالمجمع اللغوى ونشرها بالرسالة فى ٩ يناير من عام ١٩٥٠ قال : « قالوا لا بد أن نكتب القرآن بالرسم الذى كتب به فى زمن عثمان ، فنكتب الصلاة بالواو ونلفظها بالألف ، ونكتب « والسماء بنيناها بأيد » بياءين ونلفظهما ياء واحدة ، ونكتب (لشىء) بألف زائدة بين الشين والياء ونلفظها بدونها. ولو كان هذا الرسم موحى به من الله على

[١] الرسالة العدد ٢١٦ .

رسوله لآمنا به وحرصنا عليه ، ولكنه من عمل قوم كانوا قريب عهد بالخط فوقع فيه الخطأ والنقص والإشكال . والغرض من كتابة القرآن أن نقرأه صحيحا لنحفظه صحيحا فكيف نكتبه بالخطأ لنقرأه بالصواب ، وما الحكمة فى أن نقيد كتاب الله بخطلا يكتب به اليوم أى كتاب ؟ »

وقد كان الأستاذ سعيد جمعه الشرباصى أحسن تخريجا ممن نقل عنهم ابن خلدون تفسيرهم العجيب لأمثال كتابة قول الله بأييد بياءين لا ياء واحدة ، إذ ذكر فى كتابه (تطور الكتابة العربية) أن بعض هذه الحروف الزائدة من ألف أو واو أو ياء محاولة بدائية لاستعمال الحروف بدل الشكل إتماماً للضبط !! وكنا على وشك أن نصدق الأستاذ سعيدا فى تعليقه ، ولكننا وجدنا من يتمسكون بهذه الحروف الزائدة وأمثالها فى العصر الحاضر يتمسكون أيضا بالشكل فيجمعون بين البدل والأصل معا ! ! وما أظن ذلك يستقيم فى منطق مصيب ، وقد اندفع الأستاذ ناصف اندفاعا خطابيا حين زعم أن التغيير فى الرسم يفتح المجال للتغيير فى اللفظ فتستبدل كلمة بكلمة ! ! وأنا لا أدرى كيف يوحى الإملاء الحديث بنطق جديد ، ونحن نرسم آيات القرآن فى مقالاتنا الصحفية وأبحاثنا العلمية بهجائنا المعاصر ، يفهم منها القارئ أكثر مما يفهمه دعاة الرسم العثمانى أو أقل !! ذلك وهم بعيد ! !

نحن نعرف أن الغيرة الشديدة على كتاب الله وحدها تدفع حضرات أصحاب الفضيلة أعضاء اللجنة وسواهم إلى المعارضة ، كما نعرف أن محاربة الجديد شىء طبيعى يلاحظه دارسو التطورات الاجتماعية والثقافية فى كل جيل ، ولكننا نعرف أيضا أن هذا التشدد لن يغنى شيئا من الأمر الواقع ، فسيقرأ أحفادنا القادمون كتاب الله بإملائهم المعاصر مستريحين إلى سلامته ويسره ! ولنا أن نأخذ عبرة واضحة من تاريخ الرسم العثمانى فقد كان الإمام الأوزاعى يعارض النقط حين أدخل على المصحف حتى قال فى شأن كتبته المجتهدين « وددت أن أيديهم قُطعت ! ! » كذلك كان الحسن البصرى وابن سيرين فى بعض ما يروى عنهما يكرهان النقط والشكل فى المصحف الشريف ، ومع ما هؤلاء الأعلام من المكانة الفقهية ، فقد أجيز شكل المصحف ونقطه ، وتداوله الناس بهذين أجيالا بعد أجيال ! ! فإذا عارض فريق من علماء اليوم كتابة المصحف بالهجاء المعاصر فلن يقف ذلك أمام حاجة ماسة يلمسها المربون من الأساتذة ، ويجأرون إزاءها بالشكوى الصارخة والضجيج الملحاح ، وللأيام أن تنضج الرأى الصائب على مهل فيعتنقه الناس مقتنعين ! ! وإذ ذاك يقرءون قول الله تعالى « ولقد يسرنا القرآن للذكر فيعلمون أن الإملاء السهل من أدوات التيسير .

محمد رجب البيومى

نهج البردة

للأستاذ على العمارى

أنشد كعب بن زهير أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدته المشهورة (بانت سعاد) فلما وصل إلى قوله :

إن الرسول لنور يستضاء به
مهند من سيوف الله مسلول

ألقى عليه النبي بردته ، وقد بقيت هذه البردة عند آل زهير حتى اشتراها منهم معاوية ابن أبي سفيان بعشرين ألف درهم ، وأخذ الخلفاء يتوارثونها ، ثم انتقلت من الأمويين إلى العباسيين ، وفى مأثور الشعر العباسى ما يدل على أن الخلفاء كانوا يلبسون هذه البردة الشريفة فى المناسبات الدينية العامة ، وقد سمح بعض الشعراء وسخف حين قال يمدح المتوكل العباسى :

ولو أن برد المصطفى إذ لبسته
يظن ، لظن البرد أنك صاحبه
وقال وقد أعطيته ولبسته
نعم ، هذه أعطافه ومناكبه

ومن حين أنشد كعب قصيدته ارتبطت هذه القصيدة ببردة النبي ، ولكن القدماء لم يطلقوا اسم البردة ولا غيره على قصيدة كعب ؛ لأن تسمية القصائد لم تكن من الأمور المتداولة بينهم حينذاك .

فلما جاء القرن السابع الهجرى نشأ فيه رجل كان فى أول أمره موظفا حكوميا ، عمل فى مباشرة الشرقية ، ثم انتهى به الأمر إلى التصوف ، وقد خلف للتاريخ مدائح فى النبي ، مشهورة ، ومن هذه المدائح القصيدة المعروفة باسم البردة ، هذا الصوفى هو شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد ، وكان أبوه من بلدة دلاص - على الزاجح - وأمه من بلدة بوصير ، وكلناهما من أعمال مديرية بنى سويف ، ولكنه نشأ فى بلدة أمه ، لذلك اشتهر بالبوصيرى .

وتقترن قصيدة البوصيرى بكلمة (البردة) أيضا ، وذلك أنه - فيما روى - أن البوصيرى رأى النبي صلى الله عليه وسلم فى منامه فأنشده قصيدته فخلع عليه النبي بردته ، والشاعر سمى قصيدته (الكواكب الدرية فى مدح خير البرية) ولكنها عرفت بالبردة ، وقد كتب عليها واحد وعشرون شرحا .

وفى سنة ١٣٢٧ هـ حج خديو مصر عباس الثانى ، فاستقبله شاعر القصر آنذاك أحمد شوقى بقصيدة فى مدح الرسول ، سماها (نهج البردة) وقد شرحها شيخ الإسلام الشيخ سليم البشرى فى كتاب سماه (وضح

النهج) . والمشهور عند الأدباء أن هذا الشرح من وضع الشيخ عبد العزيز البشرى ، وفى ذلك يقول الدكتور زكى مبارك: (وكنا نسمع فى مجالس أهل العلم بالأدب أن الشيخ سليم البشرى لم يشرح نهج البردة ، وإنما الشرح لابنه الشيخ عبد العزيز البشرى) . ثم قال فى الهامش : (وهو - يعنى الشيخ عبد العزيز - يؤكد أن أباه رحمه الله صاحب الشرح ، ونحن نؤكد من جانبنا أن الشيخ عبد العزيز هو الذى كتب ذلك الشرح)(١) .

والقصيدة معارضة واضحة لبردة البوصيرى وقد اعترف بذلك شوقى فى كلمته التى قدم بها شرح البردة حيث قال : (رأى الله لهذا العبد الخاضع شاعر بيتك الكريم أن يمشى بنور العلم الفرد المغفور له البوصيرى صاحب القصيدة الشهيرة بالبردة فى مدح خير الأنام عليه الصلاة والسلام ، وجعلتها يا مولاى لحجتك المبرورة تذكارها) .

وأما قول شوقى :

المادحون وأرباب الهوى تبع
لصاحب البردة الفيحاء ذى القدم
مديحه فيك حب خالص وهوى
وصادق الحب يملى صادق الكلم
الله يشهد أنى لا أعارضه
من ذا يعارض صوب العارض العرم

وإنما أنا بعض الغابطين ومن
يغبط وليك لا يذمم ولا يلم

فإنما يريد أنه ليس أهلا لمعارضة البوصيرى، وإن كانت قصيدته على الوزن والقافية ، لأن البوصيرى أجل وأسمى من أن يعارضه شاعر آخر .

وقد عارض شوقى جماعة من الشعراء المتقدمين ، عارض البحترى بسينيته ، وأشار إلى هذه المعارضة بهذا البيت .

وعظ البحترى إيوان كسرى
وشفتنى القصور من عبد شمس

وعارض نونية ابن زيدون بقصيدته التى مطلعها .

يا نائح الطلح أشباه عوادينا
نشجى لواديك أم تأسى لوادينا

وعارض قصيدة الحصرى (ياليل الصب) بقصيدته (مضناك جفاه مرقده).

والمعارضة اتباع ، وهى محاكاة فى كثير من سمات الشعر . محاكاة فى الغرض ، ومحاكاة فى بعض المعانى ، ومحاكاة فى الوزن والقافية .

ولا يزال النقاد يتحدثون عن تقليد شوقى وتجديده ، ومن رأى الدكتور طه حسين ، أن شوقى بدأ مجددا وانتهى مقلدا ، ويرى آخرون أنه كان مقلدا أيام أن كان فى الأندلس يعارض الرائع من قصائد المتقدمين ، ثم صار مجدداً بعد أن عاد من النفى . وشارك

(١) كتاب الموازنة بين الشعراء ص ٨٣، ٨٤ .

الشعب فى ثورته السياسية ، وتتحدث فريق ثالث عن معارضة شوقى بخاصة ، فيرى هذا الفريق أن معارضات شوقى لم تمح شخصيته ، فبالرغم من تأثره فى ألفاظه وأساليبه ومعانيه بكبار الشعراء إلا أن شخصيته القوية ظلت مسيطرة على شعره تلمس فيه روحه وعصره وثقافته الواسعة وخياله المجنح وموسيقاه العذبة (١) .

وللدكتور أحمد زكى أبى شادى كلمة عن المعارضة وردت فى الجزء الثانى من مجلة (أدبى) أحب أن أنقلها هنا لما لها من صلة بموضوعنا هذا قال : (ليس تعمد معارضة الشعر من الفن الصحيح فى شىء ، بل هو محض صناعة ، والشعر قبل كل شىء عاطفة فكرية عميقة الجذور ، لا بهرج سطحى زائف وقد نقرأ عن بعض الشعراء الممتازين أنه حاول محاكاة شاعر آخر بقصيدة معينة ، ولكن الحقيقة أنه تأثر بموسيقاه أو بموضوع القصيدة فأثار ذلك نفسه الشاعرة ، مثال ذلك معارضات البارودى للشعراء المتقدمين ، ومعارضة كيتس لسبنسر ، وقد كانت تلك المعارضة أول تجربة شعرية لكيتس فإن تلك المعارضات نتيجة الإعجاب بالآثار السابقة ، وأثر وحيها فى النفس) .

على أنه لا يفوتنى أن أقول : إن شوقى حين يعارض المتقدمين لا يقع دونهم ، بل ربما يزهم ، حقيقة لم يبلغ فى نهج البردة مبلغ البوصيرى ، ولكنه فى السينية ـ مثلا ـ فاق البحترى ، وفى النونية بز ابن زيدون ، بما ضمنها من فنون القول ، وبما أشاع فيها من موسيقى عذبة ، وأخيلة رائعة .

ولعل تخلفه عن البوصيرى يرجع إلى سببين أساسيين أولهما : أن البوصيرى نظم بعاطفة دينية قوية تتجلى فى كل أبيات قصيدته .

وثانيهما : أن شوقى حاول أن يساير البوصيرى فى كل خطواته فى القصيدة ، وأن يأخذ كثيراً من معانيه وهذا أفقده فضيلة الاستقلال .

والنقاد يختلفون فى تفضيل أى الشاعرين فى المعانى التى اشتركا فيها ، فمثلا الأمير شكيب أرسلان يفضل قول شوقى :

يا أحمد الخير لى جاه بتسميتى
وكيف لا يتسامى بالرسول سمى

على قول البوصيرى :

فإن لى ذمة منه بتسميتى
محمداً ، وهو أوفى الخلق بالذمم

وعندى أن بيت البوصيرى أقوى معنى ، وأجمل أسلوبا ، فإن البوصيرى جعل له بتسميته محمداً ذمة عند رسول الله ، والرسول أوفى الخلق بالذمم ، فالبوصيرى بما من بسبب هذه التسمية ، وتركيبه ذو ألفاظ جزلة محكمة

(١) الأدب والنصوص جـ ٣ ص ٣٠٤ .

أما شوقى فقد اكتفى بالجناس ، والتعالى على الناس باشتراكه مع الرسول فى الاسم ، ثم (تسميتى ويتسامى وسمى) وقصد الطباق مما يضعف النسج .

والدكتور زكى مبارك يفضل قول شوقى :

يالائمى فى هواه ـ والهوى قدر ـ
لو شفك الوجد لم تعذل ولم تلم

على قول البوصيرى :

يالائمى فى الهوى العذرى معذرة
منى إليك ، ولو أنصفت لم تلم

وقد أعجب الناقد بقول شوقى (والهوى قدر) ويبدو أن الموسيقى ـ وهى قوية فى الشطر ـ صرفت الناقد عن حقيقة المعنى ، وعندى أن قول البوصيرى أدق ، وبيته أصفى ، ومعناه يكاد يكون له ، فالبوصيرى وصف هواه بأنه عذرى ، ومع ذلك اعتذر إلى لائمه ، ثم قال : إن مجرد الإنصاف يكفى فى ترك الملام ، فجعل مثل هذا الهوى أمراً سائغا عند المنصفين ، ولو لم يعشقوا . أما شوقى فقد ألقى ـ أولا ـ التبعة على القدر ، ولا ندرى لماذا كان الهوى وحده من أعمال القدر ، وثانيا جعل الذى يترك لوم العاشق إنما هو الذى شفه الوجد ، وهذا بطبيعة الحال يعذر بل كل من يرتكب جرما ويبالغ فيه يعذر الآخرين ، وثالثا : المعنى مسروق وواضح السرقة (وإنما يعذر العشاق من عشقا) ورابعا : هذا التكرار (لم تعذل ولم تلم) والفرق غير واضح بين العذل واللوم ، ولم يدع إلى هذا التكرار إلا الوزن والقافية(١).

ومما يلفت النظر فى نهج البردة أنها بدئت بالغزل كما بدئت البردة ، وكما كانت تبدأ قصائد أخر ، وقد أشرت إلى هذه فى كلمتى السابقة ، واعتذرت عن شوقى وعن الشعراء ـ بعامة ـ فى ابتداء قصائدهم بالغزل ، ولكن بقى هنا كلام .

ذلك أن الغزل الذى نسوغ الابتداء به ينبغى أن يكون غزلا طبيعيا لا صناعيا ، فأنا ألوم شوقى من هذه الجهة ، لا من جهة أنه ابتدأ بالغزل .

فالتقليد واضح فى أول بيت فى القصيدة (ريم على القاع) فأين من يذكر من الغزليين الآن كلمة الريم ، أو معناه ؟ إن تشبيه المرأة بالظبية قد مضى عهده ، أما البان والعلم ، فهما كذلك لفظان لا وجود لهما فى قاموس الشعر المصرى الحديث ولا فى عواطف شعرائنا و (الأشهر الحرم) كذلك بقية من خيال الأعراب ـ كما يقول زكى مبارك .

والجؤذر والأسد ، وساكن القاع ، وساكن الأجم ، كلها كلمات قديمة لا تثير عند

(١) من الضرورى أن أقول هنا : إن الدكتور زكى مبارك فصل القول فى القصيدتين فى كتاب الموازنة وكل ما أكتبه هنا إنما نرد به على ما كتبه ذلك الأديب .

المحدثين عاطفة ولا تحرك لهم شعوراً ، ولست مع الدكتور زكى مبارك فى استطرافه هذا البيت :

رمى القضاء بعينى جؤذر أسداً

ياساكن القاع أدرك ساكن الأجم

فإن بناءه ومعناه بعيد عن مشاعرنا ، وسواء قال شوقى رمى الجؤذر الأسد ، أو رمى القضاء بعينى جؤذر أسداً ، فإن رأيى ان يتغير ؛ لأن الجؤذر والأسد غابا عن حديث الحب والصبابة ، والتشبيه بهما أو استعارتهما أصبح من الأمور المتآكلة .

وليس حديث السهم والبان والقنا والآرام ، ومضرب الخيم ، والغصن والصيمصامة الذكر بأفضل من حديث الجؤذر والأسد ، فكلها من واد واحد ، ولاداعى لإيرادها إلا الحطب فى حبـــال المتقدمين . والتشبيه فى قوله (من المؤانس بانا) و (السافرات كأمثال البدور) من التشبيهات القديمة المبتذلة .

وخلاصة الرأى عندى : أن ابتداء القصائد بالغزل أمر لاغبار عليه ، ولكن المعيب أن يكون الغزل بعيداً عن أجوائنا ، وأن يكون غزلا متكلفا لاصدق فيه

وشوقى ـ فى هذه القصيدة ـ مغرم بالمحسنات البديعية . وقد أكثر ـ بخاصة ـ من الطباق ، مما غض من قيمة المعانى فى بعض الأحايين .

والذى ألحظه بعامة على مدائح شوقى ، ومنها هذه المدحة أنه يجيد حين يتحدث عن الدنيا وعن الأخلاق ، وعن أحوال المسلمين ، فأنا ـ مع بعض النقاد ـ من المعجبين بهذه الأبيات :

يانفس دنياك تخفى كل مبكية
وإن بدا لك منها حسن مبتسم
لا تخفلى بجناها أو جنايتها
الموت بالزهر مثل الموت بالفحم (١)
كم ضللتك ومن تحجب بصيرته
إن يلق صابا يرد أو علقما يسم

وكذلك تعجبنى هذه الأبيات :

يارب هبت شعوب من منيتها
واستيقظت أمم من رقدة العدم
سعد ونحس وملك أنت مالكه
تديل من نعم فيه ومن نقم
رأى قضاؤك فينا رأى حكمته
أكرم بوجهك من قاض ومنتقم
فالطف لأجل رسول العالمين بنا
ولا تزد قومه خسفا ولا تسم
يارب أحسنت بدء المسلمين به
فتمم الفضل وامنح حسن مختتم

---

(١) يريد أن كليهما قد ينشأ عنه الاختناق ، وهذا معنى علمى يحتاج إلى معرفة أن الزهر يمتص الأوكسجين من الهواء كما يمتصه الفحم . ولكنه جميل .

والقصيدة تبتدئ - كما هو معروف - بالنسيب ، فيشغل منها أربعة وعشرين بيتا ، ثم تنتقل فى رفق إلى الحديث عن الدنيا ووصفها والتحذير منها ، وعن النفس ورغبتها فى اللذات ، وتتخلص تخلصا جميلا رائعا إلى الغرض منها :

والنفس من خيرها فى خير عافية
والنفس من شرها فى مرتع وخم
تطغى إذا مكنت من لذة وهوى
طغى الجياد إذا عضت على الشكم
إن جل ذنبى عن الغفران لى أمل
فى الله يجعلنى فى خير معتصم
ألقى رجائى إذا عز المجير على
مفرج الكرب فى الدارين والغمم

ويمضى الشاعر يمتدح رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه صفوة البارى ورحمته ، وأنه صاحب الحوض يوم القيامة ، ويذكر شرف نسبه ، وكرم محتده ، وأن آباءه شرفوا به :

نموا إليه فزادوا فى الورى شرفا
ورب أصل لفرع فى الفخار نمى
وأصله الذى أخذ منه أقوى وأوضح ، وهو قول ابن الرومى :
قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم
كلا لعمرى ولكن منه شيبان
وكم أب قد علا بابن ذرا شرف
كما علت برسول الله عدنان

فهذا الشطر الأخير أسير ، لسهولته ، وصفائه من قول شوقى (نموا إليه فزادوا فى الورى شرفا) .

ثم تطرق الشاعر إلى ذكر بحيرى الراهب ، وحراء ، وذهاب النبى إليه ، وأنسه بالعزلة فيه ، يسامر الوحى قبل مهبطه ، وأشار إلى ما يعرف فى حياة الرسول بالخوارق الكونية من فيض الماء من بين يديه الشريفتين وتظليل الغمامة له ، ثم ذكر بدء الدعوة ، وحيرة قريش حينذاك ، وجهلهم على الرسول ودعوته ، واستطرد إلى ذكر معجزة الرسول الخالدة وهى القرآن الذى لا تزال آياته جددا ، مع انصرام آيات الأنبياء السابقين ، وإلى حديث رسول الله ، وأنه صلى الله عليه وسلم أفصح الناطقين بالضاد ، وقد جاء فى هذا المعرض هذا البيت :

حليت من عطل جيد البيان به
فى كل منتثر منه ومنتظم

وعندى أن هذا البيت غير دقيق ، فما يرفع من قدر حديث الرسول أنه جاء لقوم لا يحسنون البيان ، وهو كذلك يتجافى مع الواقع ، فإن العرب عند بعثة الرسول لم يكن بيانهم عاطلا . والفخر للنبى أنه جاء لقوم فصحاء أبيناء ، يعدون فرسان الكلام ، فبزهم فصاحة وبيانا .

ولم يفته أن يذكر بشائر المولد ، وأن

(البقية على صفحة ٦٠٠)

الإسلام فى الكونغو

للأستاذ عطية صقر

فى المنطقة الاستوائية من القارة الإفريقية ، وفى حوض نهر الكونغو ، ثالث أنهار إفريقيا ، تعيش عدة قبائل متناثرة أهمها مجموعة قبائل البانتو Bantu الذين يحترفون الرعى والصيد ويعملون فى مناجم النحاس والماس والذهب واليورانيوم التى يزخر بها أقليم « كاتنجا » فى الجنوب .

وقد ظلت هذه المنطقة مجهولة زمنا طويلا ، لم يعرفها الغربيون إلا فى القرن التاسع عشر ، عندما نشطت الرحلات الاستكشافية والتبشيرية ، التى انتهت بتنافس الدول على استعمارها .

وأكبر رجل يرجع إليه الفضل فى كشف هذه المنطقة حديثا هو « هنرى ستانلى » (١٨٤١ - ١٩٠٤) الذى نبه النبول إليها ، ومكن للبلجيكيين منها . وقد عمل المستعمرون على طمس معالم التاريخ القديم لهذه البلاد ، كما هى عادتهم فى كل بلد يستولون عليه ، وذلك ليصنعوا هم تاريخها وينسبون الفضل فى تقدمها إليهم ، ولولا شذرات ترد عرضا فى تقارير الرحالة والمكتشفين ومذكراتهم لظل أمر هذه المناطق مجهولا لمن يريد أن يكتب التاريخ .

كانت هذه المنطقة الاستوائية معروفة للعرب والمسلمين قبل أن يعرفها الغرب بعدة قرون ، وقد قرر ذلك « ستانلى » فى خطابه الذى ألقاه فى حفل التكريم ، الذى أقامه له المصريون مساء الاثنين ٢٠ من يناير ١٨٩٠ ، وذلك عندما تحدث عن وادى « سمليك » قرب بحيرة البرت ، فقال مانصه : ـ واتضح لى لدى مراجعتى ما كتب عن تلك البلاد أن جغرافيا عربيا اسمه شياد الدين (كذا) ، وعصره القرن الرابع عشر للميلاد ، وصف هذا النهر وصفا بديعا ، ودقق فيه بما لم يبعد عن الحقيقة ... إلى أن قال : والغريب أننا نكشف الآن ماكان معلوما عند الخلفاء والبطالسة والفراعنة قبلهم . وحفظ فى آثارهم التى توارثها الخلف عن السلف ، حتى اتصلت بجغرافيى العرب فى زمانهم ، ثم عفت آثارها وطمست أخبارها ، حتى عدنا فكشفناها فى زماننا (١) .

ومهما يكن من شىء فإن الإسلام دخل منطقة الكونغو من عدة منافذ من الأقطار التى تحيط بها ، جاء من السودان وأوغندة

(١) ص ٤٦٦ من مجموعة القطائف لسنتها الرابعة سنة ١٨٩٠ .

وتنجانيقا ومن الدول التى تقع إلى الشمال الغربى من حوض النهر وكان دخوله سلميا هادئا على يد تجار العرب الذين توغلوا فى هذه البلاد . وكان لبساطة العقيدة الإسلامية ، وسهولة تكاليفها ، ونظرتها الواقعية للحياة ، وتجاوبها مع مقتضيات الزمن ، وأهليتها لأن تملأ الفراغ النفسى عند الزنجى الذى يطلب إليه أن يتخلى عن الوثنية ، واكتساب صاحبها معنى أدبيا لم ينله فى ظل الديانات الأخرى وهو المساواة واحترام الحقوق ـ كان لذلك كله أكبر الأثر فى عدم توجس الزنجى خيفة من هذا الدين الجديد .

ولم يظهر أمر الإسلام واضحا فى هذه المنطقة إلا فى القرن التاسع عشر ، عند ما قامت الحركات التحررية التى قاومت العدو المستعمر ، والتى بدأها هم ثلاثة من عظماء الرجال « الزبير باشا » فى حوض النيل الأعلى من ١٨٥٦ - ١٨٧٥ ، و « رابح بن فضل » فى حوض تشاد من ١٨٧٧ - ١٩٠٠ ، و « الحاج عمر تال » الذى كون جيشا من مسلمى « غابون » من بلاد الكونغو « إفريقيا الاستوائية الفرنسية الآن » وظل يحارب الوثنيين وينشر دعوة الإسلام حتى توفى سنة ١٨٦٥ .

وكان الفضل الأكبر فى إنشاء مراكز إسلامية فى الكونغو ، وفى تأسيس دولة فيها لرجل عربى نزحت قبيلته من جزيرة العرب واستوطنت شرقى إفريقيا ، وهو « حامد بن محمود » الملقب بـ « تيبوتيب » . ولد هذا المجاهد من جزيرة « زنجبار » حوالى ١٨٣٣ ، واحترف التجارة كأبيه وغامر بالتوغل داخل القارة ، واجتاز بقافلته حدود تنجانيقا ووصل نهر الكونغو ، وجعل ينشئ على ضفافه مراكز ومخازن للتجارة ، أهمها : ريبا ريبا ، نيانغو ، كازونغو . وأنشأ مزارع منظمة رتب لها العمال ، وحكم هذه المنطقة ما يقرب من خمسة وعشرين عاما .

وإلى هذا المجاهد الكبير يرجع الفضل فى تمكين الرحالة المكتشفين من أداء مهمتهم ، فساعد « لفنجستون » سنة ١٨٦٧ ، ورافق الرحالة « كاميرون » سنة ١٨٧٤ إلى ما وراء نهر الكونغو ، وكانت له اليد الطولى فى تمكين « ستانلى » من كشوفه العديدة وعثوره على لفنجستون المفقود ، وإن كان هو لم يعترف بهذا الفضل ، ووصف « تيبو » بأقبح الصفات فى حفل التكريم المذكور .

وقد خشى المستعمرون من قوة هذا البطل ، وأوجسوا خيفة أن تقوم فى قلب القارة دولة إسلامية تقف دون أطماعهم ، فوقفوا ضده وحاربوه فى عدة معارك ، لم يستطع أن يصمد فيها بجيشه الصغير الأعزل ، أمام جيوش العدو المسلحة ، وظل أصحابه فى مقاومة باسلة

طوال ستة أعوام انتهت بسقوط آخر معقل إسلامى وهو « كازونغو » ، وتوفى البطل فى أوائل القرن الحالى .

والكونغو الذى كان تحت حكم بلجيكا واستقل أخيراً ، والذى يعانى اليوم أزمات خطيرة ، يبلغ عدد سكانه نحو ثلاثة عشر مليونا ، ينتشرون فى مساحة تبلغ ٩٠٠ ألف كيلو متر مربع ، وهى تقرب من مساحة الهند ، من هؤلاء السكان أكثر من ١٠٠ ألف أوروبى ، ٨٠ ٪ منهم بلجيكيون . ويوجد هناك نحو ١٠ آلاف من المغتربين العرب الذين هاجروا من سوريا ولبنان خلال النصف الأول من القرن الحالى . وهم يشتغلون بالتجارة وفيهم أطباء ومحامون ومهندسون .

والدين الغالب فى هذه البلاد هو الوثنية المسماة Fetichisme يدين بها حوالى عشرة ملايين ، وقد استطاعت الإرساليات التبشيرية أن تدخل فى المسيحية ما يقرب من ثلاثة ملايين ، وذلك بعد بذل الجهود الجبارة ، التى تعرف مقدارها إذا علمت أن من بين كل ٧٠ ألف أوروبى يوجد ١٠ آلاف مبشر .

وليست هناك إحصاءات رسمية دقيقة عن عدد المسلمين هناك ، وتقدر وكالات الأنباء التبشيرية عددهم بنحو ١٣٠ ألفا[1] . ويذكر عربى مولود فى الكونغو أن عددهم ٣٣ ألفا[1] كما يقدر عددهم بعض الصحفيين الذين زاروا البلاد أخيراً بنصف مليون .

أكثر هؤلاء المسلمين وافدون من شرق إفريقيا ومن سلالة المجاهدين الأولين ، كما وفد إلى الكونغو جماعات من السنغال ومن السودان ومن الهند وفارس . وامتزج هؤلاء الوافدون بالوطنيين وأصبحوا لا يكادون يفترقون عنهم . والمركز الرئيسى للمسلمين هو « كازونغو » ويوجد منهم عدد كبير فى « ستانلى فيل » ، « بودوان فيل » .

وبالرغم من سيطرة العادات التى تفرضها طبيعة البلاد وعقائدها ، ومن حرص الاستعمار على بقاء الأوضاع الفاسدة ، التى يرى أنها تفيده فى السيطرة والسلطان ، كالخرافات المنتشرة ، والإفراط فى تناول المسكرات ، وشيوع الدعارة بشكل غريب لا يكاد ينجو منه إلا النادر القليل من النساء ، وتعدد الزوجات الذى لم تؤثر فيه المسيحية شيئا ؛ إذ أن بعض المتنصرين لا يستطيعون التخلص من هذه العادات لأنها مقياس غنى الرجل ، إذ أنه يشترى الزوجة من أهلها فإذا أعجبته ضمها إلى نسائه ، وإن لم تعجبه ردها إلى أهلها واسترد الثمن ، أو باعها لرجل آخر - بالرغم من كل ذلك فإن المسلمين متمسكون بدينهم الى

(١) نشرة Fedes فى ١٧ / ١٢ / ١٩٥٥ ، ١٣ / ٧ / ١٩٥٧ .

(١) مجلة العرب بكراتشى عدد ربيع الأول والثانى ١٣٧٩هـ

حد بعيد ، يؤدون واجبهم ويزاولون أعمالهم فى أمن وسلام . والمرأة المسلمة هناك تلبس الملابس الطويلة الساترة ، وتقوم بقسط كبير فى خدمة زوجها وتشاركه أعباء حياته ، كما هى العادة المتبعة فى البلاد ، اذ أن المرأة تقوم بمهمة الرعى والصيد والزراعة وجلب القوت وإعداده لزوجها ، وليس من اللائق أن يساعدها الزوج فى شىء من هذه الأعمال .

وأكثر المسلمين يتكلمون اللغة السواحلية السائدة فى شرقى إفريقيا ، وإن كان فى البلاد أربع لغات رئيسية تتفرع إلى ٣٨ لهجة محلية إلى جانب اللغة الفرنسية وهى اللغة الرسمية . وهم يقرءون القرآن باللغة العربية ، ولكن نطقهم غير سليم ، ولا يفهمون ما يقرءون .

وهم فى حاجة ماسة إلى من يرشدهم إلى الدين الصحيح ؛ ذلك لأن أكثرهم ينتمى إلى جماعة القاديانية القادمين من الهند ، وهؤلاء لهم عقيدتهم الخاصة التى تنافى الإسلام الصحيح ، ويعرفون هناك باسم موليدى Mulide ، وقد أمكنهم بثقافتهم وثرائهم أن يسيطروا على الناس ، وهم يحاولون إنشاء المدارس والجمعيات لنشر مذهبهم ، ولهم فى « كيجوما » بتنجانيقا مدرسة من الطبقة الثانية كما يقول المبشرون [1] . وهناك جماعة فرضوا أنفسهم على العامة فى الإمامة والإرشاد ، أكثرهم من السنغال ، لم تنضج ثقافتهم ، ويعيشون على الصدقات التى ترد إليهم من المريدين ، وهؤلاء جميعا يتلقون التوجيهات من المراكز الإسلامية الموجودة فى الأقطار المجاورة ، وأهمها « كمبالا » فى أوغندة ، و « يوجيجى » فى تنجانيقا . وهى كلها تنقصها الثقافة الصحيحة السليمة اللازمة لمن يتصدى للدعوة الإسلامية

وإذا عرفنا أن التعليم فى هذه المنطقة متأخر جدا ، لدرجة أنه يقتصر على المرحلة الابتدائية ، ولم يسمح إلا بإنشاء ثلاث مدارس ثانوية وهى ملحقة بمصانع الحكومة أو الشركات ، وقد فتحت جامعة كاثوليكية سنة ١٩٥٤ قوامها ٢٨ طالبا عدد أساتذتهم أكبر منهم ، والمبشرون هم الذين يسيطرون على التعليم بكافة أنواعه — إذا عرفنا ذلك أدركنا سوء الحالة العلمية عند المسلمين ، وأدركنا شدة حاجتهم إلى من يخلصهم من سلطان القاديانية ، ، وجهل الدعاة المرتزقة ، ويزودهم بالمعارف العامة التى حالت بينها وبينهم سياسة المستعمرين وعصبية المبشرين.

وأعتقد أن استيفاء عدد من طلاب الكونغو وتزويدهم بالثقافة الدينية الكافية وإعادتهم إلى وطنهم يرشدون المسلمين بالأسلوب الذى يجدونه مفيدا ، ورعايتهم من الناحية المادية ، أجدى وأنفع من إرسال

(١) نشرة فيدس السابقة .

مبعوثين يجب أن يلموا باللغة الفرنسية إلماما وافيا ، وأن توفر لهم الإمكانيات المادية والأدبية ليستطيعوا أن يجدوا لهم مكانا بين المبشرين الذين ينفقون عن سعة ويتمتعون بامتيازات ، حببت إليهم الإقامة فى هذا المغترب ، الذى لا يجدون فيه وحشة ولا تبرما .

والواجب يحتم علينا أن نعمـــل شيئا لإخواننا المسلمين ، الذين يعيشون هناك فى دوامة عاتية من الفتن الدينية والسياسية ، وأن تتعاون الدول المتحضرة فى إفريقيا على الأخذ بيد هذا الشعب المسكين ، وذلك لنثبت جدارتنا بالحياة، ولنحبط قول الكاتب البريطانى ن . دافيدسون « ليس الشىء العجيب فى إفريقيا أن سكانها متأخرون ، ولكن العجيب هو أنهم ما يزالون على قيد الحياة » .

عطية صقر
من علماء الأزهر

(بقية المنشور على صفحة ٥٩٥)

يصف حال العرب عند بعثته صلى الله عليه وسلم ، وحال غيرهم من الأمم ، الذين يفتك أقواهم بأضعفهم ، كما تحدث عن الإسراء والمعراج . وعن الهجرة ، ثم عاد يفضل الرسول على البدر حسنا وشرفا ، وعلى الجبال والأنجم والليث ، ثم يشبه وجهه تحت النقع ببدر الدجى ، ويذكر يتمه صلى الله عليه وسلم ، وزهده فى الدنيا وجوده ، وأثر شريعته فى الناس ، ويعلل حروب الرسول فى أبيات قوية صافية ، ويستطرد إلى مقام النبى فى الحروب ، ومقام أصحابه ، وبعد ذلك يتحدث عن الإسلام وأن جوهره التوحيد، وأن العلم والعدل أساسان من أسسه ويستهين بكسرى وفرعون ، لأن مظهر الملك فى نهضة العدل لافى نهضة الهرم ، ويفضل بغداد على روما ، وخلفاء العباسيين على قياصرة الرومان ويستطرد إلى مآثر هؤلاء الخلفاء .

خلائف إن جلوا عن موازنة
فلا تقيسن أملاك الورى بهم

ويذكر الخلفاء الراشدين ، وحسن بلائهم فى الإسلام ، ثم يصلى على النبى وآله . وأخيرا يطلب من الله اللطف بالمسلمين ، وأن يتم الفضل عليهم بحسن الختام ؟

على العمارى

هُدنة البقط

للأستاذ عبد المنعم محمد الشيخ

لما مات الخليفة « عمر بن الخطاب »، دأب أهل النوبة على مهاجمة بلاد الصعيد ونهب . تصل إليه أيديهم ، فسار إليهم « عبد الله بن سعد بن أبى سرح » على رأس جيش هاجم به عاصمة مملكتهم «دنقلة العجوز» وضربها بالمنجنيق وكان ذلك فى عام ٣١ هـ (٦٥٢ م) فى عهد خلافة « عثمان بن عفان ».

ولما رأى ملك النوبة «قليدورون Kalidûrûn» أن لا قبل له بجيش المسلمين طلب الهدنة ، فأجابه « ابن أبى سرح » إليها وعقد معه فى رمضان من سنة ٣١ هـ (٦٥٢ م) هدنة عرفت فى التاريخ الإسلامى باسم « البقط ».

والصيغة التى تواترت فى المراجع لهذه الهدنة هى :

« عهد من الأمير عبد الله بن سعد ابن أبى سرح ، لعظيم النوبة ولجميع أهل مملكته . عهد عقده على الكبير والصغير من النوبة من حد أرض أسوان إلى أرض علوة . أن عبد الله بن سعد جعل لهم أمانا وهدنة جارية بينهم وبين المسلمين ممن جاورهم من أهل صعيد مصر وغيرهم من المسلمين وأهل الذمة . أنكم يا معاشر النوبه آمنون بأمان الله وأمان رسوله محمد ، صلى الله عليه وسلم ، ألا نحارب كم ولا ننصب لكم حرباً ولا نغزوكم ما أقتم على الشرائط التى بيننا وبينكم ، على أن تدخلوا بلدنا مجتازين غير مقيمين فيه ، وندخل بلدكم مجتازين غير مقيمين فيه ، وعليكم حفظ من نزل بلدكم أو يطرقه من مسلم أو معاهد ، حتى يخرج عنكم . وأن عليكم رد كل آبق خرج إليكم من عبيد المسلمين حتى تردوه إلى أرض الإسلام ، ولا تستولوا عليه ، ولا تمنعوا منه ، ولا تتعرضوا لمسلم قصده وجاوره حتى ينصرف عنه . وعليكم حفظ المسجد الذى ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم ، ولا تمنعوا منه مصليا ، وعليكم كنسه وإسراجه وتكرمته ، وعليكم فى كل سنة ثلاثمائة وستون رأساً ، تدفعونها إلى إمام المسلمين ، من أواسط رقيق [1] بلادكم ،

(١) واضح من النص أن هذا العدد كان من الرقيق الأصليين الذين يباعون . ويلاحظ أن أهل النوبة فى ذلك الوقت لم يكونوا مسلمين ، بل كان كثير منهم وثنيين . وكانت الدولة الرومانية فى ذلك الوقت ، ولزمن طويل قبله ، تلقى بالرقيق والاسرى إلى السباع الجائعة لتفترسهم ، وتقيم لذلك الحفلات العامة ولم يكن مجتمع ذلك العصر ينكر الرق فى أى بلد من بلاد العالم المعروف يوم ذاك .

أما الإسلام فقد أمر بحسن معاملة الرقيق ، وحث فى كل مناسبة على عتقه (التحرير) .

غير المعيب ، يكون فيه ذكران وإناث ، ليس فيها شيخ هرم ولا عجوز ولا طفل لم يبلغ الحلم ، تدفعون ذلك إلى والى أسوان وليس على مسلم دفع عدو عرض لكم ولا منعه عنكم من حد أرض علوه إلى أرض أسوان ، فإن آويتم عبداً لمسلم أو قتلتم مسلماً أو معاهداً ، أو تعرضتم للمسجد الذى ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم بهـــدم ، أو منعتم شيئاً من الثلاثمائة رأس والستين رأساً ، فقد برئت منكم هذه الهدنة والأمان ، وعدنا نحن وأنتم على سواء حتى يحكم الله بيننا ، وهو خير الحاكمين . علينا بذلك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله محمد ، صلى الله عليه وسلم ، ولنا عليكم بذلك أعظم ماتدينون به من ذمة المسيح وذمة الحواريين ، وذمة من تعظمونه من أهل دينكم وملتكم . الله شهيد بيننا وبينكم على ذلك » .

كتبه عمر بن شرحبيل فى رمضان عام ٣١ هـ

وتنص هذه المعاهدة على أن : بملكة النوبة المسيحية التى عقد معها المسلمون معاهدة البقط هذه تمتد من أرض أسوان إلى سد أرض علوة ، أى من أسوان إلى الخرطوم الحالية ، ويتضح من هذه الوثيقة أنها عبارة عن معاهدة صداقة وحسن جوار . ولم تكن تنم عن غالب قاهر يملى شروطاً على مغلوب مقهور . والشىء الذى يسترعى الانتباه أن المسلمين استطاعوا فى هذه السنين المبكرة من سنوات الفتح الإسلامى أن يصلوا إلى دنقلة . وتدل عبارة « وعليكم حفظ من نزل بلدكم » الواردة فى الوثيقة على تبادل تجارى قديم بين النوبة ومصر ، وعلى أن العرب حريصون على استمرار هـذا التبادل والتعاون وتنميه وتنظيمه . كما تدل عبارة « حفظ المسجد » على مبلغ حرص المسلمين على ديانتهم وتكليف أهل النوبة برعاية هـذه العقيدة الإسلامية فى بلادهم المسيحية .

وكما هو واضح لم يرد بوثيقة البقط شىء عن « العوض » الذى يدفعه المسلمون مقابلا لما فصلته الوثيقة من الالتزامات التى التزمت النوبة بدفعها إلى إمام المسلمين . ويقول المقريزى فى خططه بصدد هذا « العوض » : إن « عبد الله بن أبى سرح » وعد ملك النوبة بعد أن شكا إليه قلة الأرزاق فى بلاده ، بجبوب يهديها إليه ، وفعلا أهدى إليه « ابن أبى سرح » قمحاً وشعيراً وعدساً وثيابا وخيلا ، ثم أصبح ذلك تقليداً ، لزم على العرب سداده عند دفع البقط فى كل عام .

وجدير بنا أن نعرض الآن لما ينتظره القارئ من إيضاح للفظة «البَقْط» . وقد عرض لذلك المقريزى مفترضا أن الكلمة عربية فقال : إنها إما أن تكون من قولهم فى الأرض بقط من بقل وعشب أى نبذ

من مرعى فيكون المعنى نبذة من المال وإما أن تكون من قولهم إن فى بنى تميم بقطا من ربيعة أى فرقة أو قطعة فيكون المعنى فرقة من المال أو قطعة منه ، ومنه بقط الأرض أى فرقة منها ، وبقّط الشيء أى فرقه . . . ويستطرد المقريزى فيقول : إن البقط أيضا هو ماسقط من التمر إذا قطع فأخطأ المخرَف ويكون المعنى على هذا الأساس : بعض ما فى أيدى النوبة . وهذا جهد كبير من المقريزى فى تحميل اللفظ فوق ما يحتمل ، وهو شبيه فى تخريجاته هذه بما يحاوله عامة عصرنا من تفسير لبعض أسماء البلدان كالفيوم ودمنهور على أساس أنها كلمات عربية .

أما الحقيقة التى تلقى ضوءاً على ما تعنيه كلمة « البقط » فهى أن بلاد النوبة وخاصة القسم الشمالى منها تأثرت إلى حد كبير بالثقافات الهلينية والرومانية والرومية ، وقد سبق للنوبة أن عقدت مهادنات بينها وبين الروم منها هدنة عام ٤٥١م التى عقدتها مع « مكسيمنوس Maximinus » فى عهد الإمبراطور « ثيودوسيوس Theodosius » الثانى ولابد أن يكون النوبيون قد عرفوا وقتئذ من الرومان اصطلاح Pactum بمعنى « عقد » أو « اتفاق » ولا ريب فى أن لفظ « بقط » مأخوذ من الكلمة اللاتينية « Pactum » .

وجاء بدائرة المعارف الإسلامية حول كلمة « بقط » مايلى : « وهى الجزية التى كانت تدفعها النوبة . وربما كانت كلمة مصرية معناها عبدٌ ، ظهرت فى المصنفات العربية اصطلاحا على جزية النوبة منذ سنة ٣١ هـ (أبريل — مايو سنة ٦٥٢م) وليست جزية حقيقية لأن المسلمين كانوا يدفعون فى مقابلها ألف أردب من القمح ومثلها من الشعير ... وعلى هذا كان البقط صورة من صور التبادل السياسى ، فالبقط إذاً لم يكن جزية ، لأننا لم نر المسلمين يدفعون عوضاً عن جزية فى أية معاهدة عقدوها ، وكان « الإمام مالك بن أنس » يعد البقط صلحاً بين النوبة والمسلمين.

وأما « يزيد بن أبى حبيب » وهو عالم مصرى أصله من بلاد النوبة . فقد قال عن البقط « . . . إن هى إلا هدنة بيننا وبينهم على أن نعطيهم شيئا من قمح وعدس ويعطونا رقيقاً ، فالبقط إذاً معاهدة سلام وتجارة بين طرفين متساويين وليس جزية بوجه من الوجوه » .

ويقول المقريزى عن مكان دفع البقط « كان البقط يؤخذ منهم فى قرية يقال لها القصر مسافتها من أسوان خمسة أميال . . والقصر أول بلد النوبة وبه مسلحة وباب لبلد النوبة » .

(البقية على صفحة ٦١٢)

جامعة النجف الأشرف

"بمناسبة الاحتفال بمرور ألف ومائة سنة على جامعة القرويين"

للأستاذ محمد رضا المظفر
عميد كلية الفقه بالنجف

جامعة النجف الأشرف صنو جامعة القرويين فى قدم عهدها ، فقد تأسست أول بناية لها فى القرن الثانى الهجرى ، وهى بناية القبر المطهر ، قبر سيدنا أمير المؤمنين على ابن أبى طالب كرم الله وجهه ، بأمر الخليفة العباسى هارون الرشيد . ويظهر أن هذه البناية ما أسرع أن اجتذبت إليها قلوب المؤمنين من زائرين ومجاورين الذين يتعطشون إلى الابتهال من روحية صاحب هذا القبر والاستلهام من عقيدته الإسلامية العالية ، وقدسية نفسه الجبارة برغم جفاف هذه البقعة وبعدها عن العمران .

ولكن الحقيقة التى يجب أن تقال : إنه لم يكن لها ذلك الشأن الذى يذكر فى مركزها العلمى المرموق ، إلا فى أواسط القرن الخامس الهجرى وذلك بعد ما هاجر إليها من بغداد سنة ٤٤٨ هـ الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسى العظيم المعروف بشيخ الطائفة، صاحب الموسوعات والمؤلفات الخالدة فى الحديث والتفسير والفقه وغيرها . إن هذا الرجل من عظماء التاريخ فيما ألف وأسس . وكفى أن يكون له أصلان كبيران من الأصول الأربعة فى وكتاب الاستبصار . وكفى أن يكون له تأسيس المركز العلمى للنجف .

أعود فأقول : إن تاريخ النجف العلمى ومركزها الحساس عند الإمامية يبتدئ من ذلك العهد واستمرت معهداً للدراسات الإسلامية بين مد وجزر حتى أوائل القرن الثالث عشر الهجرى حيث ألقت المرجعية العامة عصا ترحالها فى النجف وذلك بنبوغ المجتهدين الكبيرين السيد محمد مهدى بحر العلوم والشيخ جعفر كاشف الغطاء. بعد أن جابت عدة بلاد فى فترات متباعدة كبغداد والحلة وكربلاء وأصفهان .

ومن هذا العهد الأخير كثرت البنايات ، لسكنى الطلاب المهاجرين إليها من مختلف البلاد النائية ،التى تسمى بالمدارس وهى أشبه ما تكون بالأقسام الداخلية . ويبلغ الموجود منها الآن قرابة ٣٠ مدرسة كبيرة وصغيرة ، بعد أن كانت بناية صحن الحرم العلوى هى المأوى الكبير لهم من أبعد العهود : وفى النجف اليوم حوالى خمسة آلاف طالب من مختلف الأقطار الإسلامية . وتقوم المرجعية العامة بتعيين جرايات شهرية لكل طالب ،

دسترسی به این صفحه امکان پذیر نیست

دراسة متون الكتب الموضوعة فى الفقه الاستدلالى وأصول االفقه ويتبع فيها محاكمة الآراء ومناقشتها بحرية كاملة ، وعلى الأكثر تجرى هذه المرحلة على أسلوب الحلقات حيث يجتمع أكثر من طالب واحد فى مجلس أحد المدرسين المعروفين ، ويختلف عدد الطلاب فى كل حلقة حسب اختلاف شهرة المدرس فى تفوقه فى أسلوب التدريس وسعة اطلاعه .

المراهق :

أما الكتب الاستدلالية فى الفقه فأشهرها شرح اللمعة الدمشقية الذى هو كتاب ابتدائى فى الاستدلال ، وبعده كتاب رياض العلماء والمسالك ، ثم المكاسب للشيخ الأنصارى . وهناك مراجع أخرى كثيرة أوسع دائرة وبحثا لا يستغنى عنها الطالب الباحث .

وإذا انتهى الطالب من هذه المرحلة بإتقان استحق أن يسمى (مراهقا) أى مقاربا لدرجة الاجتهاد . وقد ينضم إلى هذه المرحلة دراسة علم الكلام ، والحكمة ، والفلسفة الإلهية ، والتفسير ، والحديث ، وأصول الحديث ، وعلم الرجال .

وهذه المرحلة وما قبلها قد يجتازها الطالب فى عشر سنين فأكثر فى جد متواصل مضن وهى مرحلة شاقة يرهق فيها كثير من الطلاب فيتوقف عن الركب .

وقد لمس كثير من المفكرين صعوبة هذه المرحلة فوجدنا أن من الجدير بنا أن نسعى إلى فتح كلية منظمة لنتلافى بها كثيراً من النواقص التى يشتكى منها . وذلك بتبسيط بعض الكتب ، وتنظيم المناهج والدروس ، والامتحانات . وهكذا تم لجمعية منتدى النشر أن تفتح (كلية الفقه) لتخريج طلاب لهم الاستعداد الكافى لحضور مجالس دروس كبار المجتهدين بالإضافة إلى القيام بواجب الدعوة إلى الدين الإسلامى ، وتبليغ مبادئه على منابرهم وأقلامهم . وقد أضيف إلى دروس المعارف الإسلامية المعروفة دروس فى الاجتماع وعلم النفس والتربية والفلسفة الحديثة ، والتاريخ الحديث والفقه المقارن ، والأدب وتاريخه والتاريخ الإسلامى بالإضافة إلى لغة أجنبية واحـــدة . ومن سنتين تم اعتراف وزارة المعارف العراقية بنظام هذه الكلية ودرجتها العلمية (درجة الليسانس) . وهذه الكلية لا يدرس فيها إلا حملة إجازات الاجتهاد من كبار المجتهدين أو حملة الشهادات الجامعية من الجامعات المعترف بها .

المرحلة الثالثة :

مرحلة (بحث الخارج) : وهى حضور مجالس دروس كبار المجتهدين فى الفقه وأصوله وهذه هى آخر مراحل الدراسة التى بها قد يبلغ الطالب درجة الاجتهاد وهى أعلى ما فى النجف من دراسات عالية ، وبها امتياز هذه الجامعة عن جامعات العالم الإسلامية فى أسلوب

التدريس ، وفى حرية المناقشة والرأى ، وفى درجتها العلمية العالية .

تكون هذه المرحلة عادة فى دورات يتولاها كبار المجتهدين . ويبتدى المدرس منهم فى دورة أصولية أو فقهية يلقيها بشكل محاضرات يومية فيشرح المسألة شرحا وافيا بعرض الأقوال ومناقشة الآراء فيها وأدلتها ويختار ما ينتهى إليه رأيه مع الدليل ولكل مدرس طريقته الخاصة فى أسلوب البحث وسعة المنهج والأسس العلمية التى يعتمدها .

وهذه الدورات لاتكون إلا جماعية يحضر فيها عدد كبير من الطلاب قد يزيد فى بعض الظروف على ألف طالب وذلك تبعا لشهرة المدرس فى تفوقه العلمى ودقة منهجه وأسلوب تدريسه .

وسميت بـ (بحث الخارج) نظراً إلى أن التدريس فيها لايعتمد على رأى خاص ولاعبارة كتاب معين إلا ما قد يتخذ منهجا للبحث ، لتسهل على الطلاب المراجعة للتحضير قبل الدرس.

وعلى كل حال فإن ميزة هذه الدورات عمق البحث ودقته وسعة أفقه والحرية الكاملة فى نقد الآراء ومناقشتها مهما كان صاحبها . وبهذا الأسلوب يغذى الطلاب ليتمكنوا من الاعتماد على آرائهم والثقة بنفوسهم ليصبحوا مجتهدين يرجع إليهم الناس وتقلدهم الأمة أمورها ويقودونها إلى الخير والسعادة .

وإلى هـــذا النهج الدراسى يعزى السر فى تطور الدراسات الفقهية والأصولية فى هذه الجامعة عبر القرون . ومن يقرأ كتابا فى الفقه وأصوله لأحد أعلام القرن الرابع والخامس مثلا . ثم يقرأ كتابا فيها لأحد أعلام هذا القرن يلمس مدى التطور الذى بلغه البحث فى دقته وأسلوبه .

ولإيضاح هذه الجهة قدمت نماذج من الكتب التى تدرس وتقرأ فى هذه الجامعة إلى السادة العلماء فى جامعة القرويين ليطلعوا عليها ولنعكس المراحل التطورية لهذين العلمين .

وحسبنا فى ختام هذه الكلمة أن نسجل لجامعة القرويين وأخواتها الجامعات الإسلامية نضالها فى الحفاظ على لغة القرآن الكريم وآدابه وعلومه بعد أن مرت البلاد الإسلامية بقرون مظلمة كادت تقضى على الإسلام واللغة العربية من الأساس .

وإنى لمتفائل جداً بهذا الوعى الإسلامى العام فى هذا الظرف بالذات ، وهذا التجاوب بالشعور بالحاجة إلى التآخى والاتفاق والنهوض بأمتنا إلى المستوى اللائق بها فى هذه الأرض التى أخذت علينا من أطرافها . « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

محمد رضا المظفر

رئيس منتدى النشر

وعميد كلية الفقه بالنجف الأشرف

القرآن والقوميّة العربيّة

(وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون)

للأستاذ عبد الرحيم فوده

كان من حكمة الله ـ وهو جل شأنه ، أعلم حيث يضع رسالته ، ـ أن تكون المعجزة التى جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم للعرب وغير العرب معجزة عقلية وأدبية وإصلاحية، وأن يكون دليله على صدق رسالته هو هذا الكتاب الذى ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأن يكون هذا الكتاب بما تتألق به آياته من بينات العلم والحكمة والسمو الأدبى ، هو حجته البالغة على أنه ـ عليه السلام ـ مبلغ عن الله ، ولا يد له فيما يتلوه منه ، « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون ».

وقد كان مفاجأة للنبى عليه السلام أن يهبط عليه جبريل وهو يتعبد فى غار حراء ـ ولم يكن قد ألفه أو عرفه من قبل ـ ثم يضمه إليه فى عنف وقوة ويرسله ويطلب منه أن يقرأ وهو لم يتعلم القراءة والكتابة ، فيرد صلى الله عليه وسلم بما عهد فيه من صدق وأمانة ويقول « ما أنا بقارئ » . وظل صلى الله عليه وسلم مع ما كان يعانيه من ضعف وخوف أمام جبريل يرد بقوله : « ما أنا بقارئ » ، حتى ضمه جبريل مرة ثالثة وأرسله وقال له : « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم . ثم انقطع الوحى وارتفع الملك ، وعاد عليه السلام يرجف قلبه ، ويقص على زوجه خديجة رضى الله عنها ما عاناه وقاساه وشاهده ورآه . ثم يقول لها « لقد خشيت على نفسى » فتجيبه فى لهجة الواثقة : « كلا ، والله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق » .

ويمكن للتأمل فى هذه القصة أن يلمح من خلالها تباشير الصبح الذى فاض على الأمة العربية خاصة والإنسانية عامة بضياء الإسلام الغامر ، وسناه الوضىء الباهر . فإن فى قوله تعالى « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم » ما يشعر بأن قراءته عليه السلام ستكون بقدرة الله التى صدر عنها خلق الإنسان وما تفضل به عليه الرحمن ، لا عن خبرته فى القراءة أو قدرته على اكتسابها وتعلمها ،

فليس بعزيز عليه سبحانه أن يقرئه وقد خلقه وخلق كل إنسان غيره من علق . ثم جعل منه السمع والبصر والفؤاد . ونفخ فيه من روحه وسواه فى أحسن تقويم ، بل إنه جل شأنه كما يقول : « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » ولعل مما يؤيد ذلك ما كان من النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك . فقد كان يخشى أن ينسى شيئاً مما يوحى إليه فنزل عليه قوله تعالى : « سنقرئك فلا تنسى » وكان يحرك لسانه بما يسمعه قبل أن ينقطع الوحى عنه حتى لا يفوته شىء منه فنزل عليه قوله تعالى : « لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم إن علينا بيانه »

وهكذا شاء الله أن يقرأ الامى ، وأن تكون معجزته كتابا « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » وأن يكون هذا الكتاب دستور أمة أمية لم تكن تقرأ وتكتب ، وأن يكون هذا الدستور أكمل وأمثل نظام عرفته البشرية ، وأن يكون إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها معجزة الإنس والجن فى كل دهر وعصر كما يقول الله ويشهد الواقع : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

وكان عجبا أن يصنع هذا الكتاب من الأمة العربية : « خير أمة أخرجت للناس » وأن يحولها فى مدى لا يحسب له حساب فى عمر الأفراد بله الأمم إلى الصورة المثالية التى لم يعرف لها التاريخ مثيلا فى كل الأمم والمجتمعات البشرية ، وأن يضع فى يدها مقادة العالم فى كل شىء كان يعرفه العالم ، فلم يمض قرن حتى كانت الكعبة - وهى فى أرض عربية - قبلة الملايين من أبناء الشعوب ، التى شرح الله صدرها للإسلام ، وحتى كانت اللغة العربية - لأنها لغة القرآن - هى اللغة السائدة فى كل الشعوب التى دانت بالإسلام ، وكان ذلك وما إليه مما تزخر به الكتب والأسفار من مختلف ألوان العلوم والفنون هو تفسير البشرى الكبرى التى تألق بها قول الله لنبيه فى أول لقاء له مع جبريل « اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم » . بل إن حياة العرب قبل الإسلام وما صارت إليه فى ظله من قوة ومجد ، وعلم وحكمة ، وزعامة وإمامة يجمعها على طولها قوله تعالى : « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين . وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .

وليتأمل القارئ معنى قوله تعالى : « وإن

كانوا من قبل لفى ضلال مبين » . ثم يذكر ما كان عليه العرب قبل الإسلام فسيجد أن كلمة ضلال مبين ، تصور حيرة هذه الأمة وضيعتها والظلام الذى كانت تعيش فيه ، والجهالة الرعناء التى كان يضرب بعضها بعضا والتى تمزقها شيعا تتشاحن وتتطاحن ، وتستعر بينها الحروب لأوهى الأسباب ، حتى تمكن الفرس والروم من احتلال جوانبها واعتلاء مناكبها ، وانتقاصها من أطرافها ، ثم ليتأمل معنى قوله تعالى : « ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » فسيجد هذه الكلمات تصور على إيجازها ماصارت إليه هذه الأمة من نماء وزكاء وقوة . وما ينطوى تحت مفهوم الكتاب، والحكمة من ألوان العلم والثقافة والمعرفة ، وقد كان ذلك كله بفضل الله . وبفضل هذا الكتاب الذى أنزله الله كما يفهم من قوله تعالى : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .

كان هذا الكتاب ـ كما قلت فى بعض ما كتبت ـ ولا يزال مصدر هداية للناس جميعا ، ولكنه مع هذا هو كتاب القومية العربية منذ كانت للعرب قومية قوية ، فقد كانت لغتهم عدة لغات ولهجات فصارت به لغة واحدة . وصاروا به أمة وحدة . وكانت أرضهم محتلة الأطراف يخضع بعضها لسلطان الفرس وبعضها لسلطان الروم ، فصارت به أرضا مطهرة محررة تبسط ظل زعامتها على أولئك وهؤلاء جميعا ، ثم انساح العرب فى ظل لوائه يفتحون البلاد شرقا وغربا ، ويفتحون قلوب أهليها بهداية هذا الكتاب حتى دانت لهم الشعوب عن طواعية واختيار، ولانت ألسنتها بلغة هذا الكتاب الذى أنزله الله بلسان عربى مبين .

ثم امتحن المسلمون والعرب بالمحن الشداد والخطوب الثقال فصار أمرهم إلى غيرهم ، ثم صاروا هدفا لحملات الغزو التترى والاستعمار الأوربى . صاروا قطعا وشيعا يتحكم فيهم الدخلاء أو الأجراء للدخلاء . فذابت أو كادت تذوب كل مقومات قوميتهم لولا هذا الكتاب الذى حفظ لهم لغتهم ، وتناجت به ضمائرهم ومشاعرهم وتلاقت عليه مذاهبهم ومواكبهم ، فقد بقى مرفوع اللواء مسموع النداء « عربيا غير ذى عوج » ينطق فتخفق من حوله القلوب ، وتتفتح له الآذان والأذهان ، وتقوى به الهمم والعزائم ، وبذلك الكتاب وبالعلوم العربية التى نبتت على شاطئيه ، وبالإيمان الذى كان ولا يزال يشد العرب والمسلمين إليه ، بقيت اللغة العربية ، واللغة أهم مقومات كل قومية ، سليمة قويمة لم تنسخ ولم تمسخ على كثرة ما زاحمها وداهمها من لغات الطارئين من الأجانب والمستعمرين ، وعلى كثرة ما بذل

أولئك وهؤلاء من محاولات لنسخها ومسخها، وقطع الأسباب التى تصل العرب والمسلمين بها، لتنقطع صلتهم بهذا الكتاب الذى جمعهم على الإخاء ودفعهم إلى المجد ، ورفعهم إلى السماء ومكن لهم فى الأرض .

لقد حطم التتار بغداد وأحرقوا نفائسها العلمية ، وأطاحوا بخلافتها الإسلامية ، وروعوا علماءها وأدباءها ، فأبت القاهرة أن تدع العلم بين أقدام الغزاة ، وتلقته بكلتا يديها لتحمله وتحميه ، ثم أقامت من أزهرها معقلا شامخا للقرآن وعلوم القرآن يفد إليه المروعون من شتى البقاع والأصقاع فيجدون فيه مثابة وأمنا ، وحتى الرمز الذى كانت تعتز به بغداد وهو الخلافة أبت القاهرة أن يصبح مجرد ذكرى مجد دارس ، فأحيته وجعلته شعارها وشرعت تكافح به ميدانين ، تلتقى فى أحدهما بالتتار ، وفى الثانى بدول الاستعمار ، نجحت فى قهرهما . وحفظت لمصر مكانتها وعروبتها . ثم بقيت تحافظ على ما ورثت من مقدسات الإسلام ومقومات العروبة حتى نكبت ونكب الشرق معها بالغزو الفرنسى . ثم بالاحتلال الانجليزى ، ومع طول ما قاست وعانت خلال تلك الحقب والعصور لم يضعف حرصها على مقدسات دينها وعروبتها . بل أخذ كفاحها الشعبى يتجه اتجاها آخر ، فوقفت الأموال على الأزهر وعلى تعليم القرآن ، وأنشئت المكاتب فى كل مدينة وقرية لتحفظ القرآن ، وكان هذا بصورة قوية بامرة فى الوقت الذى كان فيه « دنلوب » يعمل على أن ينتزع من حلوق المصريين ، ألسنتهم العربية ويضع فيها ألسنة صناعية انجليزية

وانجلى ليل المحتلين وبقيت مصر عربية إسلامية تتأهب للنهوض بدورها التاريخى الذى عرفت به فى خدمة العروبة والإسلام ، وبقى التراث العربى والإسلامى سليما ينتظر أن تمتد إليه الأيدى الطاهرة لتعيد إليه رواءه وبهاءه ، وتنفض عنه ما علق به من غبار ، فإن هذا التراث الفكرى يحتل من القومية العربية موضع العمود الفقرى ؛ لأنه يمثل خصائصها وسماتها وملامحها . بل هو روحها التى تدفعها إلى تحقيق أهدافها ورسالتها ، ولا شك أن هذا التراث يدور كله أو جله حول القرآن وعلومه ، فإن العلوم العربية كان الباعث على تدوينها وتقنينها هو المحافظة على صلة العرب والمسلمين بهذا الكتاب ، وقد نبعت علوم الفقه وأصوله والتوحيد والحديث والتفسير من هذا الكتاب ، وتفرعت عن النظر فيه ، واستجلاء حقائقه ومعانيه ، وبذلك كسب العرب بين عامة المسلمين مكانة الإمامة والزعامة .

ومعنى هذا بعبارة موجزة قصيرة ما يلى :

١ — أن اللغة العربية - وهى أهم مقومات القومية - مدينة ببقائها وسلامتها للقرآن .

٢ — أن ثروتنا التشريعية وعلومنا العربية تنبع من القرآن .

٣ — أن جميع الشعوب الإسلامية تلتقى معنا على الإيمان بالقرآن وضرورة المحافظة عليه وعلى علومه .

٤ — أن عروبة القرآن من حيث لغته - لا من حيث موضوعه وتشريعه فإنه عام لكل الخلق - تضع الأمة العربية فى مكانة الزعامة بين عامة المسلمين ، ولعل هذا بعض ما يفهم من قوله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » .

٥ — أن القرآن هو الكتاب الوحيد الذى يثمر فى إذكاء روح النهضة العربية لإيمان العرب مسلمين وغير مسلمين بأنه كان ولا يزال أقوى مؤثر فى هذه الأمة ، أو فى كثرتها الغالبة .

نسأل الله أن يصلنا به ويجمعنا عليه ، وأن ينفعنا به ويهدينا إليه ، فإنه كما يقول جل شأنه فيه : « إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » .

عبد الرحيم فوده

(بقية المنشور على صفحة ٦٠٣)

وتخفيفا عن أهل النوبة أمر المهدى العباسى أن يؤخذ منهم بقط سنة واحدة عن كل ثلاث سنين . وبقيت الصلات بين النوبة والمسلمين طيبة أو على الأقل سلمية ، طوال المدة التى كانت مصر فيها تحت سيطرة ولاة من العرب ، ولم يتخلل هذه المدة إلا احتكاك يسير عندما كانت النوبة تمنع البقط ، فلما تولى أمر مصر حكام من غير العرب تبدلت الحال غير الحال . ويقول بعض المؤرخين : إن البقط استمر يدفع بشىء من الانتظام حتى دخول الفاطميين مصر . ولقد أرسل « جوهر الصقلى » عام ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م) رسولا من قبله إلى أهل النوبة يدعوهم إلى الإسلام ويطالبهم بدفع البقط على اعتبار أن الدولة الفاطمية هى وريثة الدولة العباسية فى مصر . ولما جاءت الدولة الأيوبية تبدلت علاقة المودة بين مصر والنوبة إلى علاقة جفاء وعداء ؟

عبد المنعم محمد الشيخ
مدرس بكلية الشريعة

النّظريّة العامّة للإثبات فى الحُدُود

للأستاذ محمّد عطيه راغب

الحد لغة : هو المنع . وقد عرفه الفقهاء بأنه العقوبة المقدرة التى تجب حقا لله تعالى . فالعقوبة غير المقدرة لا تسمى حداً كالتعزير فإنه قد يكون بالضرب وقد يكون بالحبس ، وقد يكون بغيرهما ، والعقوبة المقدرة التى تجب حقا للعبد لا تسمى حداً أيضا كالقصاص فإنه حق للعبد يجوز فيه الصلح والعفو بخلاف حق الله تعالى فإنه لا يجوز العفو عنه ولا يصح استبداله ، أو الزيادة عليه أو النقص منه ، ولا يقبل القياس ولا الإسقاط بعد ثبوت سببه عند الحاكم ، وعلى ذلك لا تجوز الشفاعة فيه .

والحدود فى الشريعة الإسلامية هى : الزنى ، والسرقة ، والقذف ، وشرب الخمر ، وقطع الطريق .

ومن المتفق عليه فى الفقه الإسلامى أن الحدود تثبت بالشهادة وبالإقرار ، وأنها لا تثبت بعلم القاضى ، ولا بالشهادة على على الشهادة ، ولا بكتاب القاضى للقاضى .

ولذا سنقسم بحثنا هذا بحثين : أولهما سنبحث فيه شروط الشهادة ، وفى ثانيهما سنبحث شروط الإقرار .

المبحث الأول – فى الشهادة :

أجمع الفقهاء فى التشريع الإسلامى على أنه إذا استجمعت الشهادة جميع شروطها ، وجب على القاضى العمل بمقتضاها .

وللشهادة شروط منها العامة . ومنها ما يجب توافرها فى الشاهد . ولذا سنتكلم أولا عن الشروط العامة للشهادة ، وثانياً عن الشروط الواجب توافرها فى الشاهد ، وثالثا سنبحث فى مراتب الشهادة .

أولا : فى الشروط العامة :

يجب أن تؤدى الشهادة بلفظ أشهد دون غيره عند فقهاء الحنفية ، والشافعية ، والحنابلة .

ولذا إذا لم يذكر الشاهد هذا اللفظ وقال أعلم أو أتيقن . لا تقبل شهادته عند هؤلاء الفقهاء ؛ لأنهم يرون أن النصوص القرآنية قطعت باشتراطها ولم يعدل عنها مع كثرة ذلك وتعدده فى مواضع شتى من القرآن الكريم ؛ ولأن فى هذا اللفظ زيادة توكيد . لأنه ينبئ عن المشاهدة والمعاينة والامتناع عن الكذب .

أما الراجح فى مذهب المالكية فيرى أنه يصح الأداء بهذا اللفظ أو بغيره مما يفيد معناه كأعلم وأتيقن ، لأنه لافرق عندهم بين لفظ ولفظ ، ولا خصوصية لواحد منها على الآخر ؛ لأن مقصود الشهادة هو إخبار القاضى بما تيقنه الشاهد ، ولا يتوقف هذا على لفظ معين ، وهذا هو ما نراه أيضا ، ذلك لأن النصوص التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم أبعد ما تكون عن اشتراط لفظ الشهادة فى الأداء . هذا فضلا عن أن ترك الأمر فى هذا إلى اصطلاح الناس وما جرى به عرفهم أيسر لهم وأقرب .

كما يجب أن تكون الشهادة عن علم ويقين، لا عن ظن وحسبان ، فلقد أجمع الفقهاء فى التشريع الإسلامى على أن الشاهد لا يجوز له أن يشهد إلا بما علمه وتيقن منه تيقنا لا تبقى معه ريبة فى حصول ما شهد به .

وللاعتداد بالشهادة أيضاً يجب أن تكون موافقة للدعوى فيما يشترط فيه الدعوى فإن خالفتها لا تقبل إلا إذا وفق المدعى بين الدعوى وبين الشهادة عند إمكان التوفيق لأن الشهادة إذا خالفت الدعوى فيما تشترط فيه الدعوى وتعذر التوفيق انفردت عن الدعوى. والشهادة المنفردة عن الدعوى فيما يشترط فيه الدعوى غير مقبولة .

كما أوجب الأحناف عدم التقادم فى الحدود الخالصة لله تعالى كحد الزنى والسرقة وشرب الخمر ؛ هذا إذا لم يمنع من أداء الشهادة البعد عن القاضى ، أو مرض الشاهد ، أو خوف الطريق . ذلك لأن الشاهد إذا عاين الفعل فى هذه الحدود ، ولم يشهد على الفور حتى تقادم العهد دل ذلك منه على تفضيله الستر على أداء واجب الشهادة ، ولأنه إذا شهد بعد ذلك دل فعله هذا على أن الضغينة هى التى دفعته على أداء الشهادة ، هذا فضلا عن أن التأخير منه فى أداء الشهادة يورث التهمة .

والأصل فى الشهادة القائمة على حقوق العباد أن تكون من المدعى نفسه أو نائبه ، لأن الشهادة هنا شرعت لتحقيق قول المدعى ولا يتحقق قوله هذا إلا بدعواه إما بنفسه وإما بنائبه .

أما حقوق الله فلا يشترط فيها الدعوى ، وإن كانت الدعوى مع هذا قد شرطت فى حد السرقة ؛ لأن كون المسروق ملكا لغير السارق شرط لتحقق كون الفعل سرقة شرعا، ولا يظهر ذلك إلا بالدعوى فشرطت الدعوى لهذا .

كما يجب أن تصدر الشهادة فى مجلس القاضى ، ولذلك لا اعتداد بالشهادة الصادرة خارج مجلس القضاء ، حتى ولو كان المجلس مجلس تحكيم .

وفى جرم لزنى أوجب الفقهاء أن نسأل الشاهد عن الزنى ، ما هو ؟ وكيف هو ؟

وأين وقع ؟ وبمن زنى ؟ ومتى زنى المشهود ضده ؟ .

وفى جرم السرقة يجب أن يسأل الشاهد عن ماهية السرقة ، وكيفيتها ، وعن مكان وقوعها ، وعن زمانها ، وكم هى ؛ وممن سرق المشهود ضده ؟ .

وفى جرم القذف يجب أن يسأل الشاهد عن القذف ماهو ، وكيف هو ، ومتى وأين وقع ؟ .

وفى جرم الشرب أوجب بعض الفقهاء أن يسأل الشاهد عن ماهية الفعل الذى شاهده ، وكيف هو ، ومتى ، وأين وقع ؟ ولكن دون حاجة لأن يسأل هل شرب المشهود عليه المسكر مختاراً عالما به وبتحريمه أو لا ؟ وإن كان الجمهور من الفقهاء لم يطلب من القاضى كل هذه الأمور .

وإذا رجع الشهود عن شهادتهم قبل الحكم بطلت الشهادة ، ولا يجوز الاعتماد عليها ، لوجود التناقض فى كلامهم ، كما أنه لا ضمان فى هذه الحالة على الشهود ؛ ذلك لأن سبب وجوب الضمان هو إتلاف النفس أو المال ، ولا إتلاف هنا .

أما إذا رجع الشهود بعد الحكم والاستيفاء ، فلا أثر للرجوع فى القضاء ، بل يبقى الحكم نافذاً بعد الاستيفاء ، وواجب النفاذ قبله ، ويؤدب الشهود على رجوعهم إذا ترتب على شهادتهم استيفاء حد غير الزنى ، متى تبين أنهم تعمدوا الكذب ، أما إذا رجع الشهود قبل استيفاء الحد ، فإنه يجب نقض الحكم وعدم نفاذه ، لحرمة الدم وخطره ، ووجود الشبهة ، ولأنه لا يمكن فيها الجبر بإيجاب مثله على الشهود ، لأن ذلك ليس جبراً ، ولا يحصل لمن وجب له منه عوض ، وإنما شرع للزجر والتشفى لا للجبر ، بخلاف المال فإنه يمكن فيه الجبر بإلزام الشاهدين عوضا .

ثانياً : الشروط الواجب توافرها فى الشاهد:

أوجب الفقهاء فى التشريع الإسلامى أن يتوافر للشاهد وقت الأداء : البلوغ ، والعقل ، والذكورة ، والنطق ، والبصر ، لكى يعتدوا بشهادته .

كما أوجبوا أيضا أن يتوافر للشاهد : الإسلام ، والحرية ، والعدالة ، للأخذ بشهادته .

ولذا لا تقبل الشهادة عندهم من صبى لم يبلغ بعد ، ولا من مجنون ، ولا من معتوه ، ولا من النساء ، ولا من أخرس ولو فهمت إشارته ، ولا من أعمى ، ولا من كافر ، ولا من عبد ، ولا من مستور حال لا تعلم عدالته . لجواز أن يكون فاسقا .

كما أوجبت الحنفية ألا يكون الشاهد محدوداً فى قذف وإن تاب ، وهم يستندون فى ذلك إلى قوله تعالى « والذين يرمون

المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون » .

أما الشافعية ، والجعفرية ، والمالكية ، والحنابلة ، فيقبلون شهادة المحدود فى قذف بعد التوبة ، وحجتهم فى ذلك أن الاستثناء إذا تعقب جملة بعضها معطوف على بعض فينصرف الاستثناء إلى الكل ، وقد ورد الاستثناء بعد الآية « إلا الذين تابوا » ، وعلى ذلك فتقبل شهادة المحدود بقذف إذا تاب .

وللاعتداد بشهادة الشاهد أوجب الفقهاء الإسلاميون أيضا ألا تكون هناك صلة قوية بالمشهود له ، وألا تجر شهادته إلى نفسه مغنما وألا تدفع عنه مغرما ، ذلك لأن شهادته إذا تضمنت معنى النفع أو الدفع فقد صار متهما ولا شهادة فى الأصل لمتهم .

كما أنهم لم يقبلوا شهادة العدو على عدوه للتهمة ، وذلك تطبيقاً لقول النبى صلى الله عليه وسلم : (لا تقبل شهادة خصم ولا ظنين ، ولا ذى إحنة ، لأنه متهم فى شهادته بسبب منهى عنه) .

فإذا ما توافرت فى الشاهد كل هذه الشروط وهذه الصفات أدى شهادته بدون يمين عند بعض الفقهاء الذين يرون أن تحليف الشاهد اليمين ينافى إكرامه الذى أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله: (أكرموا الشهود فإن الله يحيى بهم الحقوق) ، كما أن لفظ الشهادة فى نظرهم يتضمن معنى اليمين ، وإن كان البعض الآخر من الفقهاء يرى أنه مع توافر الشروط والصفات السابقة فى الشاهد لا مانع من تحليفه اليمين ، وذلك زيادة فى التأكيد لصدقه ، كما أنهم يرون أن قول الرسول عليه الصلاة والسلام السابق الإشارة إليه لا يمنع من تحليف الشاهد ، ذلك لأن تحليف الشاهد ليس فيه إهانة له ، بل فيه مصلحة للناس ونحن نرى هذا الرأى أيضا لنفس الحجج التى يستند عليها أنصار الرأى الثانى .

ثالثاً : فى مراتب الشهادة :

أجمع الفقهاء فى التشريع الإسلامى على أن جرم الزنى لا يثبت عندهم إلا بشهادة أربعة من الشهود العدول ، على رجل أو إمرأة بالزنى على الأقل . وذلك تطبيقا لقوله عز وجل : (واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم) ولقوله تعالى أيضا: (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة) .

ومن أجل هذا لا يثبت هذا الجرم عندهم بشهادة شاهد واحد ، أو بشهادة شاهدين ، أو بثلاثة من الشهود . ولذلك إذا شهد ثلاثة بالزنى ، اعتبروا مقترفين لجرم القذف ،

(البقية على صفحة ٦٣٠)

العدالة الاجتماعية فى الإسلام

للأستاذ أحمد على منصور

الإسلام هو ـ بلا منازع ـ دين العدالة الاجتماعية ، ودين الإحسان والإنصاف ، ودين العمل والإخلاص ، ودين التعاون والإخاء ، ودين الدفاع ورد العدوان بالعدوان ، ودين التوبة والاستغفار .

وهذه المميزات جميعها تلتقى فى النهاية بأبرز ناحية من نواحى الإسلام الحنيف ، وهى أنه دين الكرامة ، وعزة الفرد والمجتمع ، الذى يدينان به ، ويستمدان عزتهما من عزته .

وأول جانب مشرق يطالعنا من عزة الإسلام أنه دين ودولة ، الحكم فيها لله ، وقانونها شرع الله . وليس للإنسان فيه إلا الفهم وحسن التطبيق ، ولقد صان الإسلام عزة الفرد فى الجماعة الإسلامية ، بما قرره من مبدأ المساواة بين الناس ، على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ، وبما أقامه من ميزان العدالة الاجتماعية ، ورفع منار الحق ، والإنصاف فى الأحكام .

فالقوى فى الجماعة الإسلامية ضعيف ، حتى يؤخذ الحق منه ، والضعيف فيها قوى ، يؤخذ الحق له ، أكد ذلك الخليفة الأول ـ رضوان الله عليه ـ فى دستوره الهادى الرزين ، وأرسلها صيحة مدوية بأذن التاريخ ، واستهل بهذا أول خطبة خطبها فى خلافته الراشدة . وليس ذلك مبدأ وضعه الصديق أبو بكر ـ نضر الله وجهه ـ ولكنه أصل من أصول الحكم فى هذا الدين العظيم ، نطقت به آيات التنزيل الحكيم ، وأعمال الرسول الأعظم ، وأقواله ـ صلوات الله وسلامه عليه ، ولا ريب أن عزة الفرد فى الإسلام ، أساس عزة الجماعة الإسلامية ، وقد أحاطها هذا الدين المجيد ، بسياج منيع من النظم والأحكام ، التى تكفل للمسلمين استمرار العزة وازدهارها ، على وجه الزمن ، إذا أخذوا بهذه النظم ، وعملوا بتلك الأحكام .

وعدالة الإسلام الاجتماعية ، حقيقة ملموسة ، واقعية ، فى ميزان التاريخ وميزان الاتجاه العالمى ، وميزان الاقتصاد ، وميزان الأحداث الإنسانية .

فقد أعطى الإسلام كل ذى حق حقه ، وسوى بين الرجل والمرأة فى العقيدة ، والتكاليف الدينية ، وحرية الرأى والعمل ،

وجعل لها نصيبا مفروضا فى الميراث ، ولم يسو بينهما فيه ؛ لأنه جعل نفقتها على الرجال ، رحمة بها ، وإبعاداً لها عن مشقات السعى ، ومتاعب الحياة .

وإنه لمن المؤسف حقا ، أن يظن بعض الناس أن الإسلام لم يعن العناية الكافية بالمرأة ، ولم يحلها المكانة اللائقة بها ، وأباح للرجل تعدد الزوجات والطلاق ، وميزه عنها فى الميراث .

على حين أنه الدين السماوى الوحيد ، الذى خلص المرأة مما كانت تئن تحته من أثقال ، ونهض بها إلى المستوى الملائم لها ، وأعطاها كثيراً من الحقوق التى أعطاها للرجل ، ولم يفرق بينهما إلا فى أمور يسيرة ، راعى فيها طبيعة كل منهما ، ونفع الجماعة الإنسانية .

ولقد وجه الإسلام عنايته للأسرة ؛ لأنها الخلية الأساسية التى يتركب منها ومن أمثالها جسم المجتمع ، فحث على الزواج ، وأظل الزوجين بظله الوارف ، وعطف الإسلام على المرأة فى الزواج أوضح وأظهر ؛ لأنها تتحمل من تبعاته ونتائجه أكثر مما يحتمل الرجل .

والإسلام أباح تعدد الزوجات ؛ لأغراض نبيلة ، وحكم سامية ، زادتها حوادث الأيام وضوحا وجلاءاً . واشترط بجانب ذلك على الزوج ، أن يعدل بين زوجاته فى كل ما يمكن العدل فيه ، فإن آنس من نفسه العجز عن العدل ، وجب عليه أن يقتصر على واحدة .

وقد تخفق الحياة الزوجية فى تهيئة أسباب السعادة للزوجين : أحدهما أو كليهما ، فلابد من التفريق بينهما حينئذ بالطلاق . وليس فى شىء من ذلك ما يناقض العدالة الاجتماعية .

ولقد كان كثير من غير المسلمين ، يعيبون نظام الطلاق ، فى الشريعة الإسلامية الغراء ، حتى كشفت الحوادث عن سداده ، وأظهرت لهم الأيام حكمته ، والحاجة الماسة إليه ، فصاروا يطلقون ، ولا يرون فى هذا غضاضة ، بل ذهبوا إلى أن إباحته ضرورية لصلاح المجتمع الإنسانى ، وهذا اعتراف منهم بفضل الإسلام ، وأنه الدين الملائم للطباع الإنسانية ، والنظم الاجتماعية .

وأما نفقتها فواجبة على زوجها ، وعلى بنيها الكبار ، ولم يزج الإسلام بها فى معترك الحياة ، ومضمار العمل ، رحمة بها ، وبعداً عن المشقات والمتاعب ، وأجلسها على عرش المنزل ، ترعى شئونه ، وتدبر أموره ، وتملؤه - بإخلاصها - سعادة ونعيما .

وسيكون قريبا ذلك اليوم ، الذى يشيد فيه القاصى والدانى ، بفضل الإسلام ومبادئه السامية ، وتعاليمه الحكيمة ، وأنه الدين الحق الخالد ، الصالح لكل زمان ، ولكل مكان ، « والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

أحمد على منصور
المدرس بمعهد شبين الكوم

أدب الجنس

جريمة فى حق الدين والمجتمع

للأستاذ ابرهيم محمد نجا

ما الذى نعنيه بأدب الجنس الذى نتحدث عنه فى هذا المقال ؟ .

هل نعنى الأدب الذى يتحدث فيه الأديب عن الجنس الآخر حديث العاطفة الفياضة ، والحب الصادق ، مع شرف القصد ، ونبل الغاية ؟ من غير شك . . ليس ذلك ما نعنيه بهذا الأدب الذى نريد أن نقوض أركانه ، ونزيل دعائمه ، لنحفظ للدين مبادئه السامية ومثله العالية ، وللمجتمع وجهته الصالحة ، وحياته الكريمة .

إنما نعنى بأدب الجنس ، ذلك الأدب الذى يكشف الغطاء ويزيح الستار ، عما ينبغى أن يكون طى الخفاء ، من صلة الرجال بالنساء ، لا يبتغى بذلك إثارة الغرائز ، وإطلاق الشهوات ، واستجلابا للشهرة الكاذبة ، والربح الحرام .

ومما يثير الألم ، ويبعث على الأسف ، أن نرى هذا الأدب ينتشر فى هذه الأيام ، وتتسع أسواقه وتزداد ، ويقبل عليه الأدباء وأشباه الأدباء ، ليملئوا جيوبهم بالمال من أيسر الطرق ، ويجعلوا لأسمائهم البريق فى أسرع وقت ! .

وهذا اللون من الأدب لا يكلف صاحبه مشقة ، ولا يطلب منه جهدا ، فحسبه أن يعرض صوراً فاضحة ، ويصور علاقات شائنة بكلمات قد تخلت عن الذوق طلبا للإثارة ، وعبارات قد تعرت من الحياء لتلبس الوقاحة ، حسبه أن يفعل ذلك ليكون قد كتب أدبا فى رأى نهازى الفرص الدنيئة من الناشرين وطلاب المتع الرخيصة من المراهقين ! .

ثم يأتى دور الناشر ، فيطبع الكتاب الطبعة الأنيقة ، ويحلى الغلاف بالصورة المثيرة ويفرض على القارئ الثمن الباهظ . . . وليس بعد ذلك غير الرواج الأكيد . والربح المضمون .

وليس على القارئ ليتحقق مما نقول ، إلا أن يلقى نظرة على الكتب المعروضة فى واجهات المكتبات فيجد أكثرها قصصا

من قصص الجنس ، لكل قصة عنوان يفتح باب « الموضوع » ، وغلاف يمهد الطريق للسير فيه . وليس من الضرورى أن تكون صورة الغلاف قد وردت فى موضوع القصة ، فذلك أمر ليس من الأهمية بمكان ، مادامت الصورة فى ذاتها تحفز على شراء الكتاب ، وقراءة القصة ! .

وبهـــذه المناسبة أذكر أننى استمعت إلى مسرحية مذاعة من احد المسارح ، ثم وجدت هذه المسرحية مطبوعة ومعروضة فى إحدى المكتبات ، فعجبت كل العجب حين رأيت على الغلاف صورة فيها من الإباحية ما يؤذى الذوق ، ويخدش الحياء ، دون أن يكون لها صلة بأحداث المسرحية ووقائعها التى استمعت إليها ، واشتريت المسرحية لأعلم حقيقة الأمر فى هذه الصور الفاضحة التى تبرق فوق أغلفة الكتب ، كما تبرق أنوار « النيون » فوق واجهات المحلات ، فما وجدت لهذه الصورة أثراً فى أحداث المسرحية ! فالمسألة إذن عند بعض الأدباء والناشرين مسألة إغراء تحشد له كل الوسائل الممكنة ، أيا كانت طبيعتها ، ومهما تكن نتائجها ، اغتصابا للشهرة ، واستلابا للمال ، من جانب أولئك وهؤلاء على السواء .

والمجنى عليه بعد ذلك ، إنما هو الدين الذى يجب أن تصان تعاليمه ومبادئه ، والمجتمع الذى ينبغى أن تسلم نظمه ومقوماته . هـذه هى المشكلة ! .

وإذا كان لكل مشكلة علاج ، فماذا عسى أن يكون علاج مشكلتنا هذه ؟ فى رأينا أن خير علاج لهذه المشكلة يتضمن مقترحات عدة : أولها وأبعدها خطراً ، وأقواها أثراً ، التربية الدينية ... أجل ، التربية الدينية التى تخلق فى الشباب حسن الإدراك للأشياء ، وتعينهم على التسامى بالغرائز ، وتجعل نفوسهم من الصفاء ، وقلوبهم من النقاء ، بحيث تنأى عن كل مايخدش الحياء ، ويجرح الفضيلة . والجهازان اللذان يشرفان على التربية الدينية فى وطننا العربى ، هما الأزهر أولا ، ووزارة التربية بعد ذلك . وهذا الإشراف يظهر أثره فى مجالين هما : المنزل والمدرسة ،

أما الأزهر فإنه يمد المجتمع بالعلماء الذين يبينون للناس تعاليم الدين ، ويمهدون لهم سبل الخير ، وبالمدرسين الذين يغرسون فى نفوس الناشئة من الجنسين ، تقوى الله ، ومحبة الفضيلة ، وبالكتب والمجلات التى تنشر الثقافة الدينية على أوسع نطاق ، وتمتد بها إلى أبعد الآفاق . . وذلك جهد مشكور لا ينكره إلا من فى قلوبهم مرض ، وفى نفوسهم غرض ، وفى عقولهم زيغ . وأما وزارة التربية ، فقد جعلت للدين فى مدارسها منهجا إن يكن من حيث الكيف لا بأس به ،

فإنه من حيث الكم ليس كما ينبغى أن يكون ، ثم جعلت له درسا واحداً فى الأسبوع . وقد يضيع هذا الدرس لعارض من مرض أو طارئ من عطلة ، ومن ثم تصبح دروس الدين غير واقية بما يتطلبه المنهج من الإكمال مع حسن العرض ، وجودة الشرح وضرب الأمثلة .

ثم يأتى بعد ذلك دور الامتحان فى مادة الدين التى ينبغى أن تكون مادة أساسية قبل غيرها من المواد ، أو مثلها على الأقل . ويؤسفنى أن أقرر أن الامتحان فى هذه المادة صورى فى سنوات النقل ، وأن النجاح فيها مضمون ، دون جهد مبذول ، أما الشهادات فليس فيها امتحان فى مادة الدين ! !

وقد وضعت الوزارة منهجا جديداً للدين يدرس فى الصف الأول من المرحلة الثانوية . وهذا المنهج يكاد يكون ملائما للغرض من حيث الكم والكيف ، ولكن الوزارة جعلت لهذا المنهج درسا واحداً فى الأسبوع مع أن دراسته تتطلب درسين إن لم يكن ثلاثة دروس ... والنتيجة ؟ . . النتيجة هى اختصار هذا المنهج إلى النصف أو الثلث ، ليلائم الوقت ، ويوائم الدروس ! .

فهل لنا أن نطالب الوزارة بأن تجعل منهج الدين فى مدارسها أوسع وأشمل مما هو الآن ، وأن تمنحه من الدروس ما يكفل تدريسه كما ينبغى أن يكون التدريس ، وأن تجعل شأنه فى الامتحان شأن اللغة سواء بسواء .

وما أشك فى أن وزارة التربية والتعليم حريصة كل الحرص على أن ينشأ هذا الجيل نشأة تجعله أقوم أخلاقا ، وأصلح أعمالا ، وأهدى سبيلا ... وما أشك أيضا فى أنها تعرف حق المعرفة أن الدين هو خير الوسائل إلى هذه النشأة الكريمة الصالحة .

وأشهد - وأنا أزاول التعليم منذ سنوات أننى بالتجارب الكثيرة قد وجدت ارتباطا وثيقا بين التربية الدينية ، والمبادئ الأخلاقية فى نفوس الطلاب ، فما رأيت طالبا تعجبنى أخلاقه ، ويرضينى سلوكه ، إلا وجدت أنه قد تلقى فى منزله تربية دينية صالحة ، إن لم تكن بالتعليم والتلقين ، فبالقدوة والمثال .

وأنا واثق بأننا لو هيأنا لهذا الجيل مثل هذه التربية الدينية الصالحة ، فلن نجد فيه الأديب الذى يجعل هدفه من الأدب إثارة الغرائز ، والناشر الذى يجعل غايته من النشر ابتزاز الأموال ، والقارئ الذى يجعل غرضه من القراءة إرضاء الشهوات .

وثانى هذه المقترحات : الإشراف الدقيق الحكيم على دور النشر بحيث لا يسمح للناشر بأن ينشر أى كتاب إلا بعد الاطمئنان

إلى أن هـذا الـكتاب يخلو من كل إثارة جنسية ، أو استهانة بالمبادئ الأخلاقية ، وتقوم بهذا الإشراف لجان أعضاؤها من المشهود لهم بصحة الإيمان ، وسلامة العقيدة ، وسعة الفـكر ، ووفرة الثقافة . وليس فى ذلك تقييد للفـكر ، وحجر على الحرية ، كما يخيل إلى الخادعين والمخدوعين من الدعاة إلى الفوضى باسم التحرر ، والثائرين على التقاليد باسم التجديد ، ولـكن فيه توجيها للفـكر إلى غايته السامية ، وفهما للحرية على وجهها الصحيح .

وثالث المقترحات : أن ترصد الدولة جائزة سنوية قيمة للناشر الذى يفوق غيره فى كثرة ما ينشره على الناس من أدب يهيئ لهم صفاء القلوب ، وبقاء الأرواح ، ويملأ حياتهم بالخير والفضيلة والمحبة . ولا شـك أن هذا يجعل الناشرين يتنافسون فى تقديم الإنتاج القيم من الفن الثمين ، والأدب الرفيع .

وأخيرا يأتى دور نقاد الأدب ، ولبعضهم أثر كبير فى الترويج لهذا الأدب المنحرف ، والدفاع عنه ، والدعوة إليه . وإنى لأطالب هؤلاء النقاد بأن يتقوا الله فى دينهم وأمتهم وإنسانيتهم ، فلا يجعلوا كلماتهم تصفق للأدباء الذين يتملقون غرائز الشباب بالتبذل والتحلل والإسفاف ، بل عليهم أن يجعلوا هذه الـكلمات تصفعهم بالأيدى وتركلهم بالأقدام ليرجعوا عن الغى والضـلال ، ويثوبوا إلى الهدى والرشاد .

إن الدعوة إلى الأدب المنحل ، لن تخلق لنا عمالقة من أمثال الزيات والعقاد وطه حسين والحـكيم ، ولـكنها سوف تخلق أقزاما من أمثال من لا يستحقون أن ترد أسماؤهم على لسان .

وإننا نبنى الآن مجتمعنا العربى على أسس قوية ، ودعائم ثابتة . والقيم الروحيـة ، والمبادئ الأخلاقيه ، المستمدة من روح الدين ، وجوهر الإيمـان ، هى أقوى تلك الأسس ، وأثبت هذه الدعائم ، فلنحارب هذا الأدب الخليع الوضيع ، فإنه دعوة سافرة فاجرة ، إلى التحلـل من مبادئ الدين ، وقواعد الأخلاق ، وهو لذلك جريمة فى حق ديننا المنزه عن الضـلال ، ومجتمعنا المتطلع إلى الـكمال ، وأمتنا التى تسعى إلى الأمجاد « والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم »؟

ابراهيم محمد نجا

العاطفة الدينية وأثرها فى الأدب العربى

للأستاذ محمد ابراهيم الجيوشى

للعاطفة الدينية من قديم سلطانها على الإنسان ، وأثرها البين فى تفكيره وتصوره وإحساسه ، ولا زال للعاطفة الدينية هذا السلطان القاهر وذلك الأثر البعيد فى النفوس على الرغم من تقدم العلم وازدهار الحضارة التى قامت أسسها على العلم وتجاربه .

هذا السلطان الذى فرضته العقيدة الدينية على الإنسان كان له الأثر البين فى كثير مما أنتجه من أدب وفن منذ عصور عميقة الجذور فى القدم ، نرى ذلك فيما وصل إلينا من أدب الإغريق واتجاهاته .

فقد كانت العاطفة الدينية العامل الأول فى نشأة المسرحيات اليونانية إذ قامت على رضى الآلهة وغضبهم ، واتخذت من معاركها أساطير ترمز إلى ما يتحكم فى نظام الحياة من صراع بين الخير والشر .

وحروب الآلهة كانت الباعث الذى دفع « هوميروس » إلى أن ينسج « إلياذته » التى صور فيها الصراع الدامى بين الآلهة وأنصاف الآلهة ، ونسج خياله الخصب من أساطيرها ذلك البناء الفنى الذى لا زال حتى اليوم المثل الأعلى لفن الملاحم .

ولو تتبعنا الآثار القديمة لوجدناها كلها تستقى من نبع العاطفة الدينية وتضرب على ذلك الوتر السحرى فيعلو بالنفس إلى ما تأمله من نعيم فى جوار الآلهة وصحبة الأرباب .

وهذا هو الأدب المصرى القديم ما وصل إلينا منه ليس إلا تضرعا إلى الرب ، وتنصلا مما يكون قد بدر فى الحياة الدنيا من نزوات النفس ونزغات الهوى ، فظلمت أو جارت أو اعتدت فيهتم صاحبها ليعد دفاعه ، ويقيم حجته حينما تنصب الموازين ، ويقام موكب الحساب :

والأدب العربى ليس بدعا من هذه الآداب؟ بل إن العربى بما وهب من حدة العاطفة ورهافة الحس وصفاء الوجدان أشد تأثرا بالعاطفة الدينية من غيره وأكثر انقيادا لها وتسليما .

لهذا عرف الأدب العربى الشعر الدينى منذ الجاهلية ، حينما عرف الله واهتدى إلى قدرته ، وأدرك عظمته ، لما فكر فى صنعه البديع ، وملكوته الذى لا يحد ، وظهر هذا الاتجاه على ألسنة المتحنفين من العرب وغيرهم ممن اطلعوا على الكتب السماوية من يهودية ونصرانية .

فهذا قس بن ساعدة الإيادى . خطيب يخران يشير إلى ذلك فى خطبته المشهورة ، حين يقول : « ليل داج وسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، إن فى السماء لخبرا . وإن

فى الأرض لعبرا . . . ، والخطبة كلها من هذا النمط الذى يحاول أن يوجه الأبصار إلى ما فى الأرض والسماء من آيات تدل على عظمة الخالق سبحانه وقدرته .

ولقس وغيره من المتحنفين العرب كثير من هذه المعانى الدينية التى تلقوها من أهل الكتاب فى رحلاتهم وأسفارهم إلى اليمن والشام

وربما كان عدم اقتناع العربى الجاهلى باستحقاق الأصنام للعبادة والتأليه دافعا نفسيا له ألا يقدم بين يديها آيات التمجيد والحمد ولا ينسج حولها الأساطير ، وينسب لها خوارق العادات كما فعل اليونانى القديم ، وقد يكون ذلك سببا فى خلو الشعر العربى أول الجاهلية من الأهازيج والأناشيد الدينية ، ويعلل لنا الأستاذ عمر الدسوقى هذه الظاهرة فيقول : « سعة العقل ورجاحته قديمة عند العربى ؛ لأنهم أمة تعشق الحرية ، ومن العسير عليهم أن يقبلوا التحكم فى عقائدهم » .

« ولهذه الحرية لم يعرف فى ديانتهم الجاهلية نظام الكهنوت والعبودية للهيكل ورجاله يتحكمون فى عقائدهم ، وسائر شئونهم الدينية والدنيوية ، ويتوسطون بينهم وبين آلهتهم ويفرضون عليهم الجزية والطاعة العمياء ، ويمنحونهم الغفران إن أرادوا أو يطردونهم من رحمة الله إن سخطوا ، وأنى للعربى أن يقبل هذا أو مثله ، وقد ألفت نفسه الفضاء الفسيح ، وامتلأ فؤاده بهذا الإحساس القوى الطبيعى بأنه حر طليق لا تقيده أرض ولا تعرقل تفكيره تلك القيود والعوائق التى تحد من حريته الشخصية (١) .

غير أن ما أورده الأستاذ عمر الدسوقى غير مسلم ؛ فإن كان العربى حقا لم يعرف نظام الهيكل ، ومنح الغفران إلا أنه لا يمكن أن نتجاهل ما كان لكهان العرب من سلطان على مصائر الناس وأنظمة حياتهم ، وكتب التاريخ والأدب حافلة بأخبارهم وارتحال العرب إليهم ، وتلتقف الأخبار والفصل فى معضلات الأمور من أفواههم .

إلا أن الحقيقة الثابتة أن العربى لم يكن يحمل لهذه الأصنام فى نفسه تقديسا وإجلالا أو على الأقل لم يضمن شعره هذه المعانى ، بل روى عنه ما يحقرها ويزرى بها ، ومن ذلك قول عمرو بن الجموح ، وقد رأى صنمه فى موطن القذارة مقترنا إلى كلب .

والله لو كنت إلها لم تكن
أنت وكلب وسط بئر فى قرن
أف للقاك إله مستدن
الآن فتشناك عن سوء الغبن
الحمد لله العلى ذى المنن
الواهب الرزاق ديان الدين
هو الذى أنقذنى من قبل أن
أكون فى ظلمة قبر مرتهن (٢)

(١) الفتوة عند العرب ص ١٠٤ — ١٠٥ .
(٢) أصداء الدين فى الشعر المصرى الحديث ص ٤٥ ج ١ .

وغير ذلك كثير مما يشير إلى تحقير الأصنام والزراية بها ، مثل : الشطر الأول من غير البحر .

أرب يبول الثعلبان عليه
لقد ذل من بالت عليه الثعالب

فلما جاء الإسلام ، ونقى عقول العرب من الشرك وطهر نفوسهم من الوثنية ، وأبطل ما كانوا عليه من ضلال ، وسفه عقائدهم ، اشتد الصراع بين الدعوة الجديدة وبين المتمسكين بدين الجاهلية المدافعين عن سلطانهم وجاههم إزاء هذه الدعوة الفتية التى توشك أن تدمر ذلك السلطان المتوارث والجاه القديم .

وخاض الشعر المعركة يدافع عن صاحب الرسالة ويشيد بمبادئه ويهاجم أعداءه ، ويرميهم بالضلال والكفر ، وينذرهم عاقبة عنادهم . ويحمل حسان اللواء ، ويدفعه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله ! « قل وروح القدس يؤيدك » فينشد :

إن الذوائب من فهر وإخوتهم
قد بينوا سنناً للناس تتبع

ويمدح صاحب الرسالة فيقول : —

له همم لا منتهى لكبارها
وهمته الصغرى أجل من الدهر
له راحة لو أن معشار جودها
على البر كان البر أندى من البحر

ويتابعه كعب بن زهير ، وابن رواحة ، فينافح الثانى بشعره مع سيفه فى المعارك بين الكفر والإسلام ، ويمدح كعب النبى صلى الله عليه وسلم فى قصيدته المشهورة « بانت سعاد » وفيها يقول :

مهلا هداك الذى أعطاك نافلة
القرآن فيها مواعيظ وترتيل
لا تأخذنى بأقوال الوشاة ولم
أذنب وقد كثرت فى الأقاويل
إن الرسول لنور يستضاء به
مهند من سيوف الله مسلول

ويمضى الشعر الدينى فى طريقه حاثا على الجهاد محببا فى الغزو والشهادة طيلة الدولة الأموية .

وتظهر الفرق الإسلامية من شيعة وخوارج ، ويكون الشعر لسانها الناطق فى التعبير عن آرائها ومعتقداتها والاحتجاج لها ، ويعرف لكل من الفرق شعراؤه من أمثال «الكميت» شاعر الهاشميين ، وقطرى ابن الفجاءة وعمرو بن الإطنابة من شعراء الخوارج .

وتقوم الدولة العباسية فى القرن الثانى الهجرى ، وتتسع مدنية العرب ، ويغمرهم الترف ، ويستمرئ خلفاؤها وأمراؤها النعيم ، وتجرى فى قصورهم قصص هذه الحياة الناعمة التى تفوق حد الخيال ، فيرتفع فى هذا الجو الغارق فى الملذات الرافل فى الطيبات صوت النذير المخوف بالآخرة ، المحذر من استمراء هذه الحياة ، ويهتف أبو العتاهية بقوله:

أين — و — أيامنا تذهب
ونلعب والموت لا يلعب

عجبت لذى لعب قولها

عجبت ومالى لا أعجب

وتسود المجتمع العربى ظاهرة التصوف ، ويصبح للتصوف أصول وقواعد ولرجاله أحوال ومقامات ، ويتناقل الناس سير المتصوفة ويقفون عندها فى دهشة وإعجاب ، وكيف لا يعجبون من هذه النفوس الكبيرة التى رفضت ملذات الحياة ، وركلت نعيمها ووقفت عالية شامخة ، لا تخدعها الدنيا ولا تستهويها زخارفها ، فتطلع الناس إلى هذه الأنماط الفذة من البشر ، وألموا برحابها ، ويمموا ساحتها كما يتجه السائرون فى المحيط نحو شعاع المنارة يأنسون به من أهوال الموج وأخطار المحيط .

وتفنى القوم أشواقهم ، وهتفوا بحبهم لله ، وتهالكوا على أعتابه يسألونه الوصول إلى بابه والفوز برضاه ، وينعمون بالفناء فى ذاته ، ولهم فى ذلك الكثير من المنظوم والمنثور تفيض به رسائلهم ودواوينهم .

وانتقل الشعراء إلى المدائح النبوية وراج ذلك أيام المماليك والعثمانيين وبردة للبوصيرة ومعارضاتها مشهورة وكذلك همزيته .

واتخذ الشعر الدينى فى الأندلس مظهراً جديداً أيام ملوك الطوائف ، تساقطت مدنهم واحدة إثر الأخرى فى أيدى أعدائهم من الفرنج الذين استغلوا فرقتهم وتنازعهم ، وطفق الشعراء يبكون هذه المدن الضائعة ، ذلك المجد الآفل ويرثون هذه الديار التى فقدها الإسلام ، فأنشأوا القصائد الطوال يستغيثون فيها برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويستنهضون همم الملوك والأمراء من المسلمين ومن أشهر القصائد التى تنتهج هذا النهج قصيدة أبى البقاء صالح الرندى التى يقول فيها :

لكل شىء إذا ما تم نقصان

فلا يغر بطيب العيش إنسان

هى الأمور كما شاهدتها الدول

من سره زمن ساءته أزمان

وهذه الدار لا تبقى على أحد

ولا يدوم على حال لها شان

وانتهت هذه الظاهرة باستيلاء الفرنج على الأندلس وانقطاع أمل المسلمين فى العودة إليه .

وظلت المدائح النبوية بعد ذلك هى المتنفس الوحيد للعاطفة الدينية فى الشعر العربى ، واتخذها الشعراء تكأة للبديع خلال العصرين المملوكى والتركى حتى كانت تسمى بالبديعيات وظلت وبقيت كذلك حتى جاء العصر الحديث وتفتحت آفاق النهضة ، وانتبه العرب من سباتهم ، فرأوا أرضهم مضيعة وسلطانهم بأيدى سواهم من المحتلين الغاصبين ، فانطلقت العاطفة الدينية تنطق الشعراء وتمدهم بصيحات يوقظون بها النيام .

محمد ابراهيم الجيوشى
المشرف على الشئون الدينية بالاذاعة

لغويات

للأستاذ محمد على النجار

توتر العلاقات بين الدولتين :

يقال فى هذا العصر : توترت العلاقات بين الدولتين أو بين البلدين إذا ضعفت الصلات بينهما ومالت إلى الانقطاع .

ويرى اليازجى فى مجلة(١) الضياء أن هذه العبارة تفيد عكس المعنى المراد ، فإنه يقال : وتَّر القوس إذا شدَّ وترَها ، وتوتر العَصَب ونحوه إذا اشتد فصار مثل الوتر. فهى تدل على قوة الصلات ومتانتها لا على ضعفها . والصواب أن يقال : استرخت العلائق بينهما فى هذا المعنى .

ويمكن تخريج العبارة بما يصح معه المعنى المراد . ذلك أن توتر العصب واشتداده إذا أفرط فيه يشرف به على الانقطاع ، وكذلك القوس إذا أفرط فى شدّ وترها أوشك أن ينقطع الوتر .

فأما تراخى الوتر أو العصب فينأى بهما عن الانقطاع والانفصام . ويروى عن معاوية رضى الله عنه أنه قال : (٢) « إنى لأضع سيفى حيث يكفينى سوطى، ولا أضع سوطى حيث يكفينى لسانى . ولو أن بينى وبين الناس شَعَرة ما انقطعت . فقيل له: وكيف ذلك ؟ قال: كنت إذا مدوها أرخيتها، وإذا أرخوها مددتها » . وأيضاً فإن توتير القوس يكون ليصيب به الرامى صيداً أو عدواً . ويقال : وترت قوسى لفلان إذا آذنته بالحرب ، ويقول الشاعر :

ألم تر أننى وترت قوسى
لأبقع من كلاب بنى تميم

فتوتر العلاقات بين البلدين يعنى أنها مشدودة غير مسترخية ولا لينة وهى مشرفة على الانقطاع .

أكرم العالم كائناً من كان :

وقع السؤال عن إعراب هذا الأسلوب. والجواب أن (كائناً) حال من (العالم) وفيه ضمير هو اسمه . و (من) نكرة موصوفة خبر (كائناً) و (كان) إن كانت تامة فهى مع فاعلها المستتر فى محل نصب صفة لمن وإن كانت ناقصة فاسمها الضمير المستتر وخبرها محذوف أى كأنه ، والجملة أيضا

---

(١) المجلد ٨ ص ٣٣٨ .

(٢) انظر العقد الفريد فى أوائل كتاب السلطان.

صفة لمن وسأسوق نصين فى هذا المقام قال الرضى فى شرح الكافية : « وقولك : لأقتلنه كائناً من كان ، ولأفعلنه كائناً ما كان (كائناً) فيهما حال من المفعول ، و(من) و (ما) فى محل النصب على أنهما خبران لكائناً . وهما موصوفان والضمير الراجع إليهما من الصفة محذوف أى كائنه . وفى (كائناً) و (كان) ضمير راجع إلى ذى الحال ، أى كائناً أى شىء كانه » ، فترى أنه جعل (كان) ناقصة .

ويقول الصبان فى كتابته على الأشمونى فى مبحث كان وأخواتها : « واعلم أن أقرب ما قيل فى لأضربنه كائناً ما كان أن (ما) نكرة خبر كان ، واسمها الضمير المستتر فيها، و (كان) تامة صفة لما ، أى لأضربنه حالة كونه شيئاً كان أى كائناً أى شىء وجد، فهو يخالف الرضىّ فيجعل (كان) تامة وكلا الوجهين محتمل صحيح .

زرار القميص - زرايز :

الزرار لفظ عامى محرف عن الزر ، وجمع الزر أزرار ويقول الشاعر :

لا تعجبوا من بلى غلالته
قد زر أزراره على القمر

وقد تناول التحريف لفظ الزر من قديم فأهل الأندلس فى عهدهم العربى السعيد تركوا الزر واستعملوا مكانه الجمع (أزرار) وجمعوا الأزرار على أزرة . وهذا كما يقول الناس المصران للمعى الواحد ، ويجمعونه على مصارين ، وإنما المصران فى اللغة جمع المصير كالكثيب والكثبان .

ويقول الزبيدى الأندلسى المتوفى سنة ٣٧٩هـ فى كتابه « ما تلحن فيه العامة » : « ويقولون أزرار القميص يريدون به الواحد ، ويجمعونه على أزرة . والصواب : زر القميص والجمع أزرار » وقد ورد جمعه على أزرة فى قول نزهون الغرناطية الأندلسية :

البدر يطلع من أزرنه
والغصن يمرح من غلائله

وكأن الزرار فى عاميتنا نشأ من أزرار بحذف الهمزة وتحريك الزاى للابتداء بها وجعلها بزنة غراب ، وهذا كما قالوا فى إحرام لكساء يلبس فى الإحرام بالحج حرام ، ويعرفونه فيقولون : الحرام : لما جعلوه ككتاب ، فالزرار محرف عن أزرار المحرف عن زر . ومثل هذا كثير فى ألفاظ العامة .

الميضة - الميضأة :

الميضة معروفة فى المكان الملحق بالمسجد يعد للوضوء والطهارة للصلاة . واللفظ محرف عن الميضأة ، وأصلها الموضأة من

الوضوء ، فقلبت الواو ياء . وحذف العامة الهمزة على غير قياس فقالوا : الميضة .

وهذا التحريف قديم . فقد قال الزبيدى : « ويقولون للمطهرة : ميضة وبعضهم يقول ميضاة والصواب : ميضأة بالهمز ، والجمع مواضئ » .

وترى أنه فسّر الميضأة بالمطهرة والمطهرة إناء يوضع فيه الماء يحمله المسافر للطهارة وغيرها ، وتعرف بالزمزمية ، فهذا أصل وضع الميضأة . وقد استعملها المولدون فى المكان الذى يهيأ فيه الماء للطهارة . ويقول المقريزى فى الخطط فى الكلام على جامع ابن طولون : « وفى سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة جدد الرواق البحرى الملاصق للمئذنة الحاج عبيد بن محمد بن عبد الهادى الهويدى البازدار مقدم الدولة ، وجدد ميضأة بجانب الميضأة القديمة » .

النسائم :

يكثر استعمال النسائم فى جمع النسيم . والنسيم رقة الريح وضعفها وأن تهب هبوبا لينا ويقال أيضا للريح الضعيفة اللينة بالهبوب ومن ثم يقال : نسيم عليل كأنه مريض لضعفه وهذا يستحبه الناس ويستروحون له. والنسيم مذكر ، فيقال : نسيم عليل لا عليلة . وفى الريحانة للخفاجى ٢١٥ :

يا نسيما من نحو طيبة سارى
مهدياً عطر ندها والعرار

وفيها من النثر [1] : « قصر معال يرد الطرف كليلا ، ونسيم الشمال عليلا » وفى ص ١٩٤ :

وسرى نسيم نجد فابتسمت
له ثغور النور والكمائم

وإذا كان النسيم مذكرا لاينقاس جمعه على النسائم ؛ فإن فعائل مخصوص بالمفرد المؤنث كما هو معروف ، وقد قال عبد الغنى النابلسى المتوفى سنة ١١٤٣ هـ :

أحن لو مض البرق من جهة الحمى
وأشتاق إن هبت على النسائم

وقد انتقد اليازجى فى مجلة [2] الضياء هذا الجمع على النابلسى ، وانتقد هو بيتا قاله قبل أن يقف على خطأ هذا الجمع ، وهو قوله :

نسائم نجد هل تحملت من نجد
إلى سوى حر الصبابة والوجد

وكأن من جمعوه على نسائم ذهبوا فيه إلى الريح والريح مؤنثة . ولكن مثل هذا إنما

(١) ص ١٧٨ .
(٢) المجلة ٨ ص ٥٨١ .

يقبل من العرب ، فالأولى ألا يجمع على النسائم ، وإنما قياسه النسم كالكشيب والكثب .

أطاح به سوء خلقه :

يقال فى هذه الأيام : أطاح به الشيء أى أهلكه أو نال منه وأدخل عليه نقصا وضيما .

والذي فى المعاجم أطاحه الشيء متعديا بنفسه لا بالباء وفى القاموس: « أطاح شعره أسقطه ، والشيء :أفناه وأذهبه ، والأقيس أن يقال : طاح به من الثلاثى ، فإنه يقال : طاح الشيء : هلك ، فإذا قيل طاح به الشيء فالباء للتعدية ومعناه : أطاحه ، كما يقال : ذهب به فى معنى أذهبه .

على أنه ورد طوّح به فى معنى أطاحه ، فلنا أن نحمل أطاح على طوّح ؛ إذ كانت الهمزة والتضعيف يشتركان فى التعدية . وقد ورد أيضا طوّحه ، فكما جاز طوحه وطوح به فيسعنا أن نستعمل أطاحه وأطاح به .

ومما يذكر هنا أن العامة تقول : فلان يطوح أى يضطرب فى مشيه ذات اليمين وذات الشمال . وهذا المعنى جاء فى اللغة ، ففى اللسان : « وتطوّح إذا ذهب وجاء فى الهواء ؛ قال ذو الرمة يصف رجلا على البعير فى النوم يتطوّح أى يجيء ويذهب فى الهواء :

ونشوان من كأس النعاس كأنه
بجبيلين فى مشطونة يتطـــوح

والمشطونة : البئر .

محمد على النجار

(بقية المنشور على صحيفة ٦١٦)

ووجب إقامة حد القذف عليهم ، وإن كان هناك رأى يذهب إلى عدم إقامة الحد عليهم يؤدى إلى ألا يشهد أحد بالزنى خوفا من أن يقف الرابع عن الشهادة فيحدوا بحد القذف وبذلك تبطل الشهادة عن الزنى .

والعلة فى اشتراط شهادة الأربعة من الشارع الإسلامى فى إثبات هذا الجرم هو تحقيق معنى الستر ، إذ أن وقوف الأربعة على هذه الفاحشة أمر نادر ، ذلك لأن الشيء كلما كثرت شروطه قل وجوده .

أما بقية الحدود ، وكذلك القصاص ، فقد اتفق الفقهاء الإسلاميون فيما بينهم على الاكتفاء فى إثباتها بشهادة شاهدين فقط . أى أنهم اكتفوا بشهادة شاهدين فقط لإثبات جرم السرقة ، وجرم القذف ، وجرم الشرب ، وجرم قطع الطريق .

« للبحث بقية »

محمد عطية راغب

الإسلام فى تركيا

للدكتور جمال الدين الرمادى

كانت تركيا منذ عدة قرون أرضا خصبة للإسلام ، وكانت اللغة العربية لغة القرآن الكريم موضع تقدير ورعاية من أهلها بيد أنها لم تلبث أن حادت شيئا فشيئا عن تعاليم الإسلام وشرائعه . حتى أوشك أن يتلاشى من أرضها لولا هذه المآذن الشامخة والقباب العالية التى تضرب فى عنان السماء ، وتشهد على جهود الأولين فى نشر الإسلام وإقامة الصلاة . ولولا هذه الابتهالات الخافتة التى تتصاعد من هذه المساجد العريقة وتلهج باسم الله ورسوله ، وتشوبها لكنة غريبة فى أغلب الأحيان . وتحتاج إلى معونة هذه القلوب المؤمنة التى تنبض فى الجمهورية العربية المتحدة قلب العالم الإسلامى حتى تقال من عثرتها وتنهض من كبوتها وتهتدى إلى سواء السبيل .

كانت تركيا تحاول تحقيق فكرة الجامعة الإسلامية فى مستهل القرن العشرين . تلك الفكرة التى دعا اليها السيد جمال الدين الأفغانى إذ كان أول مسلم أيقن بخطر السيطرة الغربية المنتشرة فى الشرق الإسلامى وتمثل عواقبها ، فيما إذا طال عهدها ، وامتدت حيالها ، ورسخت فى تربة الشرق ، وأدرك شؤم المستقبل وما سينزل بساحة المسلمين من النائبة الكبرى إذا لبث الشرق الإسلامى على حال مثل حاله التى كان عليها ، فهب جمال الدين يضحى نفسه ويفنى حياته فى سبيل إيقاظ العالم الإسلامى وإعداده لمواجهة الخطر إذا أذنت الساعة ودق ناقوس الخطر فكان يقول «العالم النصرانى على اختلاف أممه وشعوبه عرقا وجنسية هو عدو مناهض للشرق على العموم والإسلام على الخصوص ، فجميع الدول النصرانية متحدة معا على دك الممالك الإسلامية ما استطاعت إلى ذلك سبيلا . والروح الصليبية لم تبرح كامنة فى صدور النصارى كمون النار فى الرماد . وروح التعصب لم تنفك حية معتلجة فى قلوبهم حتى اليوم كما كانت فى قلب بطرس الناسك من قبل . فالنصرانية لم يزل التعصب مستقرا فى عناصرها متغلغلا فى أحشائها ومتمشيا فى كل عرق من عروقها . وهى أبدا ناظرة إلى الإسلام نظرة العداء والحقد والتعصب الدينى الممقوت » .

وبين السيد جمال الدين الأفغانى فى موضع آخر سبب كر الدول النصرانية وهجومها وعدوانها على الممالك الإسلامية فقال إن هذه

الدول تزعم أن الأمم الإسلامية هذه إنما هى من الانحطاط والتدلى بحيث لاتستطيع أن تكون قوامة على شئون نفسها بنفسها ، وفوق جميع هذا ، فهذه الدول النصرانية عينها لم تفتأ تعمل هذا من ناحية وتتذرع بألوف الذرائع من نواح أخرى حتى بالحرب والحديد والنار ، وللقضاء على كل حركة حاولها المسلمون فى بلادهم وديارهم فى سبيل الإصلاح والنهضة .

وقد تلقف السلطان عبد الحميد دعوة الأفغانى وبنى عليها سياسته فى بناء الجامعة الإسلامية وتشييد أركانها ، وظلت هذه الدعوة تتردد نحو ثلاثين عاما حتى خلع عبد الحميد عن الحكم . بيد أن الشىء المؤكد أن عبد الحميد لم يكن يقصد وجه الله ولاوجه الإسلام فى هذه الدعوة إذ كانت دعوة من ظاهرها الرحمة ومن باطنها العذاب . فهو يتخذ من الدين ستاراً يخفى وراءه نواياه الخبيثة ومطامعه الاستبدادية . وسرعان ما كشف الشعب أمره فخلعه من الحكم .

وفى الشهور الأخيرة من عام ١٩٢٣ جرت الانتخابات فى تركيا وانتخب الغازى مصطفى كمال حاكما على تركيا ، ولم يكد يتسلم مقاليد الحكم حتى فكر فى إلغاء الخلافة ـ وقد طافت هذه الفكرة بذهنه لما قام به جيش الخلافة أثناء الثورة الكمالية من دور مضاد حتى إن الخليفة المخلوع استغل منصبه كخليفة فى إصدار الفتاوى الشرعية ضد الحركة ورجالها حتى آلى مصطفى كمال على نفسه أن يطيح برأس كل خليفة يحاول أن يتدخل فى امور الدولة كما اعتبر كل فكرة ترمى لكى يكون للخليفة أى تدخل فى شئون البلاد أو تعرض لشئونها الخارجية أو الداخلية خيانة عظمى.

والطريف أن بعض أنصار منصب الخلافة من الذين كانوا يعتقدون بضرورة بقائه اقترحوا على الغازى مصطفى كمال المناداة بنفسه خليفة ليجمع رئاسة الدولة التركية ورئاسة المسلمين ـ وأخبره أحد أتباعه الوافدين من الهند أن الهيئات الإسلامية ذات العقد والحل فى تلك البلاد قد وكلته بمبايعته على ذلك ولكن الغازى مصطفى كمال رفض هذه الفكرة برمتها .

وأصدر مصطفى كمال أوامره بإلغاء الوزارة الشرعية ووزارة الأوقاف وربط جميع المؤسسات العلمية والمكاتب والأوقاف الخصوصية من مدارس ومعاهد بوزارة المعارف ، كما إصدار أوامره بإغلاق ما كان موجوداً من الزوايا والتكايا وحرم الاشتغال بالطرق الصوفية ، وأقفرت تبعا لذلك كلية « الإلهيات » التى كان يدرس بها الدين الإسلامى والشريعة الإسلامية والتفسير والحديث وما إليها من علوم إسلامية .

وأصدر الغازى مصطفى بعض القرارات الخاصة بزى علماء الدين وجعل العلامة المميزة لزيهم عمامة بيضاء وجبة سوداء . والعلماء مخيرون فى طريقة السلام داخل الأبنية أو خارجها بين رفع غطاء الرأس أو الإشارة بأيديهم غير أن تطبيق القانون فى مراسم عيد الجمهورية الرسمى واجب فيحيي العلماء العيد مكشوفى الرءوس .

أما الحج إلى بيت الله الحرام فقد أصبح شبه ممنوع فى عهد الغازى مصطفى كمال ، وألغى لقب « الحاج » ضمن الألقاب التى ألغيت كما منع عرض الصور التقليدية للكعبة والمدينة ومكة ، وشدد فى عقاب من يطبعها أو يبيعها. وألغى الحروف العربية وأمر باستخدام الحروف اللاتينية وقال فى هذا الصدد « إن لغتنا الجميلة تبرز ساطعة بالحروف الجديدة، وإن من الضرورى التخلص من إشارات لا تفهم حبست عقولنا من عصور فى نطاق ضيق من حديد » .

وهكذا أساء مصطفى كمال فهم الإسلام ولغة القرآن واندفع متهورا يحطم تلك القيم الإسلامية الكبرى دون وازع من عقل أو رادع من ضمير .

ومنذ ذلك التاريخ قل إقبال الأتراك على الإسلام — وضعت سطوة المسلمين فى هذه البلاد ، بيد أننا يجب ألا نسكت أو نطيل السكوت على هذه الحال - إنما يجب أن نمد يد المعونة إلى المسلمين هناك حتى يتبصروا بأمور الدين ، ويتقنوا تعاليمه - ويتمكنوا من هذه اللغة العربية التى نزل بها هذا الكتاب المبين الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

فالمساجد التركية لا تزال تحكى عظمة الإسلام فى هذه البقاع ، ويكفى أن نعرف أن بمدينة الأستانة ما يزيد عن ٤٨٠ جامعا منها ٨٩ كنيسة حولها العثمانيون إلى مساجد، وأشهرها جامع « أيا صوفيا » الواقع على الهضبة الأولى من هضاب استنبول - وكان هذا الجامع قبل الفتح كنيسة تعرف باسم القديسة « صوفيا » بناها قسطنطين الكبير عام ٣٦٠ م ووسعها ابنه « قونستانس » من بعده - واحترق بعضها عام ٤٠٤ م ثم رممها ثيودسيونس ثم احترقت برمتها فأعيد بناؤها على يد الامبراطور يوستنيان الذى استخدم فى بنائها ٤٥٢ قنطارا من الذهب وقال فى حفل تدشينها « الحمد لله ، لأنه جعلنى أهلا لإتمام هذا العمل العظيم فقد غلبتك يا سليمان » .

ويشاء الله العلى القدير أن ينتصر الإسلام، ويغلب المسلمون، ولما فتح العثمانيون الآستانة عام ١٤٥٢ م دخلها محمد الفاتح على جواده حتى إذا وطىء صحنها وحد الله تعالى وقال « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ومنذ ذلك

التاريخ تحولت الكنيسة إلى مسجد ، وبنى فيها محمد الفاتح مئذنة وبنى غيره بعده سائر المآذن ومحا محمد الفاتح جميع المظاهر المخالفة للإسلام . إذ كانت على جدران هذا المسجد وهو كنيسة صور لبعض القديسين والملائكة فمحا المسلمون بعضا منها وغطوا البعض الآخر ببعض آيات من القرآن الكريم .

وعلى باطن القبة الكبرى المسجد كتابة بالذهب طول الحرف منها تسعة أمتار تبدأ بالآية الكريمة « بسم الله الرحمن الرحيم » « الله نور السموات والأرض » الخ وتتدلى من القبة ثريا كبيرة فيها المصابيح الكثيرة وفى صدر الجامع المحراب وقد نقشت عليه بالذهب فى أعلاه آيات تنقش فى أكثر المساجد مع تغيير قليل ، ففى المحراب « كلما دخل عليها زكريا المحراب » وتحته « لا إله إلا الله محمد رسول الله » « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا » ثم « وليطوفوا بالبيت العتيق » ثم « وناداه الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب » وبين يدى المحراب شمعتان كبيرتان على قواعد ثابته ، وإلى جانبى المحراب من أعلى « الله » و « محمد » ووراء ذلك أبو بكر ، وعمر . وعثمان ، وعلى ، والحسن . والحسين ، وإلى يسار المحراب المقصورة التى كان السلاطين يقفون فيها للصلاة ، وإلى اليمين المنبر ، يصعد إليه بسلم مذهب ، وتلحق بالجامع مكتبة نفيسة ، وبجواره مدفن السلطان سليم الأول وأولاده قتلهم مراد الثانى لما تولى الملك ، وقبور مراد الثانى وتسعة عشر من أولاده قتلهم محمد الثالث لما تولى الملك .

ويوجد جامع « السليمانية » ، وقد بناه السلطان سليمان القانونى ويشغل معظم الهضبة الثالثة من استنبول ، وله ملحقات من المدارس والمنائر والتكيات والأضرحة والمكاتب والحمامات ، وقد تم بناؤه عام ١٥٦٦ م وتتدلى من القبة فى وسط الجامع ثريا كمثرية الشكل تتعلق بدائرتها المصابيح البراقة .

ويعتبر جامع أبى أيوب من أشهر الجوامع فى تركيا ويسميه بعضهم جامع السلطان أيوب وهذا خطأ لأنه مقام أبى أيوب الأنصارى أحد كبار الصحابة وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد نزل فى داره يوم جاء المدينة ، وكان قد دخلها على ناقته ، فأمسك بها بعضهم ، وطلب إليه النزول عنده أهله أو غيرهم — فقال النبى صلى الله عليه وسلم « دعوا الناقة فإنها مأمورة » فبركت على باب أبى أيوب والمشهور أن أبا أيوب جاء لغزو القسطنطينية مع يزيد بن معاوية عام ٥١ هـ فمات خارج سورها ، ودفن هناك ، وما زال قبره مهملا حتى جاء الفتح العثمانى فبنى محمد الفاتح

(البقية على صفحة ٦٣٨)

رسالة الدين وأثرها في الروح البشرية

للأستاذ عباس طه

إن فسرنا واجب الإنسان نحو ربه ، كان معنى ذلك واجبه نحو الكمال المطلق والخير المحض والمثل العليا فى كل أمر ، فإن الله جل وعز لم يكلفنا إلا بما فيه صلاحنا وفلاحنا ، وتكاليفه أياكانت عبادات أو معاملات أو آدابا بمعناها العام ، المقصود بها تربيتنا تربيـــة قويمة ، وإعدادنا لرجولة صحيحة ، وإيصالنا إلى الحقائق التى ترتبط بها سعادتنا الموجودة من طريق العلم والعمل والفضيلة .

مضى الزمن الذى كان يعتبر الدين فيه سخرة ، أو تقييداً للحرية الصحيحة . أو حرماناً للنفس من مشتهياتها فى الحدود العلمية ، وهذا زمان تجلى فيه بالدليل القاطع أن الدين حاجة أولية للروح لامعدى لها عنه . وإذا قلنا الدليل القاطع قصدنا به الدليل العلمى المؤسس على علم النفس . ولا يتسع المجال الآن لبيان ذلك على وجه يوفى بالحاجة العقلية من كل نواحى هذا الأمر الجلل ، ولكنى أستطيع أن أقول على عجل : إن الفلسفة المادية التى حاولت فى خلال قرون ثلاثة أن تقطع كل صلة بين الإنسان وما فوق المادة ، قد منيت بفشل حاسم لاقيام لها بعده من طريق العلم الطبيعى نفسه لا من طريق الدين ، فقد توصل العلم إلى إحالة المادة إلى قوة أى إلى إثبات أن لا وجود لها ، وأنها عرض من أعراض القوة . ويزاول هذه العقبة الكأداء من طريق العقل الإنسانى انفتحت أمامه ساحة لا حد لها إلى عالم القوة التى هى مصدر كل موجود فى عالم الشهادة . نعم : إن زوال هذه العقبة لم يخرج العلوم من مجالها الطبيعى ، ولكن كان من آثار زوالها اتساع هذا المجال بحيث لا يتصور العقل له نهاية ، وهذا وحده كان ذا أثر بعيد فى تأديب الإنسان وردعه عن البت فيما ليس من شأنه أن يبت فيه ، وفى تشكيكه فى كل ما أسسه من الأصول العلمية ، وإعادة وضعها فى الميزان تحت ضوء النقد الصارم والتمحيص الدقيق . فسقط بذلك العجب الذى كان يوهم العلماء بأنهم أدركوا حدود كل شىء وأصبح لهم الحق فى الحكم بالوجود أو بالعدم على كل ما يعرض لهم البحث فيه ، حكما لا يقبل المراجعة ولا يحتمل التشكك

يقول قائل : وما تأثير كل هذا فى تقوية عاطفة الدين ؟

نقول له : فى ذلك أبلغ تأثير . فإنه بعد أن كانت المادة تعتبر مبدأ ومرجعا لكل مخلوق ، انتقل هذا السلطان للقوة ، وعالم القوى أرفع من عالم المادة بما لا يقدر ، ونواميسه أعلى وأعم بقدر هذا التفاوت بينهما والمحتملات التى تنشأ من هذا الانتقال لا تقف عن حد ، وإذا أردت أن تقف على مبلغ التحول الذى طرأ على مذاهب العلماء من حدوث هذا الاكتشاف ، فإليك على عجل :

قال الدكتور (فيلبون) فى مجلة (العلم والحياة) ص ٤٥١ سنة ١٩١٧ :

« لقد حلت كلمة (القوة) محل كلمة (المادة) فما يدرينا هل تحل كلمة (روح) محل كلمة قوة ؟ وهذه المسألة المحيرة لا تزال سراً من أسرار المستقبل » .

وقال العلامة (جوستاف لوبون) فى كتابه تحول المادة :

« دامت العقيدة فى صحة المقررات الكبرى للعلم العصرى حافظة لقوتها إلى أن حدثت فى الأيام الأخيرة مكتشفات غير منتظرة قضت على العلم العصرى أن يكابد من الشكوك ما كان يعتقد أنه قد تخلص منه نهائيا ، فإن الصرح العلمى الذى كان لا يرى صدوعه إلا عدد قليل من العقول العالية قد تزعزع فجأة بشدة عظيمة . وصارت المتناقضات والمحاولات الكافية فيه ظاهرة للعيان بعد أن كانت من الخفاء بحيث لا تبلغها الظنون ، فأدرك الناس على عجل أنهم كانوا مخدوعين ، وأسرعوا يتساءلون : هل الأصول المكونة للمقررات اليقينية لمعارفنا الطبيعية لم تكن إلا فروضا واهية تحجب تحت غشائها جهلا لا يسبر له غور » ؟

ثم نقل الأستاذ (جوستاف لوبون) قول العلامة الرياضى (لوسيان بوانكاريه) وهو : « لا توجد لدينا نظريات كبرى الآن يمكن قبولها قبولا تاما ، ويجمع المجربون عليها إجماعا عاما ، بل يسود اليوم عالم العلوم الطبيعية نوع من الفوضى » .

وعقب عليه الأستاذ (جوستاف لوبون) بقوله : « من حسن الحظ أنه لا شىء أكثر ملاءمة للترقى العلمى من هذه الفوضى ، فالوجود مفعم بمجهولات لا نراها ، والحجاب الذى يحجبها عنا منسوج غالبا من الآراء الضالة ، أو الناقصة التى توجهها علينا تقاليد العلم الرسمى ، فلا يمكن الإقدام على خطوة للأمام إلا بعد أن تتفكك عرى الآراء السابقة » .

نقول : يظهر مما قدمناه أن تأثير سقوط صرح المادة كان بليغا إلى أقصى ما يمكن تخيله

وثمرة هذا الهدم فى مصلحة الروح من كل وجه.

هـذا ما يبدو صريحا من أقوال أقطاب العلم ، فقد جاء فى دائرة معارف القرن العشرين الفرنسية تحت كلمة (مادة) بعد أن عرضت جميع المذاهب ما يأتى :

« على هـذا فجميع الفروض التى فرضت للآن تعجز عن حل تناقضاتها الذاتية ولا تنطبق على الحوادث . فماذا نستنتج من هذه الحال غير أن مدركاتنا العلمية عن المادة ، وهى تتفاوت فى صلاحيتها كوسائل للترتيب والتحليل ، لا تستطيع أن تزعم أنها الحقيقة المطلقة . وهذه الفروض باعتبار أنها لا وظيفة لهـا إلا تسهيل وتعميم صفات وعلاقات الظواهر المحسوسة ، لا يمكن أن تكون حتما إلا رمزية وخداعة كهذه الظواهر نفسها » .

ثم ختمت الدائرة الفرنسية هـذا الفصل بقولها :

« وعلى هذا فلو صرفنا النظر عن المذهب اللا إرادى الذى هو عبارة عن رفض أى محاولة لتفسير الحوادث ، فإن المذهب الذى يذهب إليه علماء العلل الأولية هو : أن المادة باعتبار أصلها تنحل - كما فكر فى ذلك (لبنتز) - إلى وجود روحانى ، طبيعته كطبيعة الوجود الذى يتجلى لوجداننا ، والمسألة التى تبقى بعد ذلك غير محققة هى أن نعرف : هل الوجود مؤلف من ذرات روحية تتميز بعضها عن بعض ، أو أنه كائن واحد عام لا يقبل الانقسام ومستمر على الدوام ، وأنه العلة والمعلول العام » ؟

نقول : إن أثر تدهور الصرح المادى كان بعيداً ، وقد حلت الروح محلها فى التعليلات العلمية الطبيعية كما ترى ، فهل بعد هذا إهابة بالعاطفة الدينية إلى اليقظة والعمل فيما خلقت له ؟.

الإنسان يتألف من جسد وروح ، ولكل منهما مطالب . فكما يألم الجسد إن قطع عنه المدد المادى . كذلك تألم الروح إن قطع عنها المدد الروحانى . وحرمان الجسد من مقوماته يفضى إلى تعطل وظائفه وإلى تحلله ، وحرمان الروح من مقوماتها يؤدى إلى الحيلولة بين إشراقاتها وبين صاحبها وفى تلك الحيلولة كل ما يتخيل من اضطراب النفس ، وفساد القلب ، وغلظ الشعور ، والسقوط إلى الحيوانية البحته ، بل إلى ما هو أسفل منها . فتجد المبتلى بهذا الحرمان من المدد الروحانى يستسيغ ارتكاب القبائح ، ومقارفة الدنايا والانغماس فى الخسائس ، والخوض فى المقاذر ظنا منه أن فى هـذه الإباحة الجنونية سكنا لنفسه الجامحة ، ومتنسما لقلبه المحترق ، ولكنه لا يزداد إلا هلعا على هلع ، ولا يزال يعالج هذه النيران المستعرة فى باطنه حتى ينتهى أجله ، ويذهب إلى حيث يذهب التائهون .

ماذا تتطلب أعصى العقول على الدين بعد أن ألقى الإلحاد سلاحه كما يرى على رءوس الأشهاد ؟ وماذا تنتظر أن نرى من أعلام الحق بعد أن صرح العلم بأن المادة تنتهى إلى روح ، وأن الروح هى أصل الخلق ومنتهاه ؟ .

فهل ننقذ أنفسنا من سيادة المادة علينا ، لا باحتقارها ولا بالهرب منها ، ولكن باخضاعها لسلطان الروح حتى لا تطغى علينا فتقودنا من شهواتنا إلى حيث تفقدنا كرامة الإنسانية ، وشرف العمل على إقامة دولة المدنية الفاضلة فى الأرض . عمل الإنسان لإقامة دولة الروح هو فى الحقيقة خدمة لنفسه وللإنسانية وللعلم وللمدنية، إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها ، فإن الله غنى عن العالمين . فإن كلفنا الله بطاعته فإنما يكلفنا بما يحيينا ويرقينا ويشرفنا ، ويتناسب وغرائزنا الفطرية ، ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » .

(بقية المنشور على صفحة ٦٣٤)

عباس طه

(بقية المنشور على صفحة ٦٣٤)

على قبره مقاما ، وشيد بجانبه جامعا ، وجعل أن لا يتولى سلطان عثمانى إلا تقلد سيف عثمان رسميا فى جامع أبى أيوب ، ويقع الجامع وسط منطقة محفوفة بالأشجار والمنازل ، وقبة الجامع قائمة على ستة أعمدة وكتب على الباب الخارجى للجامع بحروف كبيرة « دعوا الناقة فإنها مأمورة » فبركت على باب أبى أيوب ، ويجلل الضريح بالمخمل الأسود المطرز بالذهب . وعليه آيات وأدعية ، وحول الضريح وراء الشبكة الفضية وعند قاعدته مساند من الخشب عليها مصاحف خطية، كل منها ملفوف بجوخ أخضر.

وإذا كان جامع السليمانية يمتاز بالمتانة فإن هنالك جامعا آخر يمتاز بالزخرفة واللطافة يسمى جامع « السلطان أحمد » الذى بناه عام ١٠٢٦ بالقرب من « أتميدان » وهى البلد التى قتل فيها الانكشارية ، ويمتاز عن سائر المساجد بكثرة مآذنه فإنها ستة ، وسائر المساجد لا تزيد مناثرها على أربع، ومساحة المسجد نحو مساحة جامع السليمانية .

ويوجد هناك (مسجد نورى عثمانية) وغير ذلك من المساجد التى تمتاز بالفخامة والضخامة . وفى حاجة إلى علماء دارسين ، ووعاظ قادرين وقراء مقتدرين ، وليس معنى هذا أن الأتراك لا يدركون حقيقة أمور دينهم بل هناك مئات قادرة من العلماء قد تمكنت من أمور الدين تمكنا عظيما يدعو إلى العجب والإعجاب حقا؟

دكتور جمال الدين الرمادى

ما يُقال عن الإسلام

ديانات العالم السبع العظمى

للأستاذ عباس محمود العقاد

أحرى بهذا الكتاب أن يسمى معرضا دينيا على الورق ، لأنه يجمع أكثر من خمسين وماتى صورة فنية لمناسك الأديان فى أنحاء العالم ، حيث يقيم أتباع الديانات السبع المشهورة : وهى البرهمية والبوذية ديانتا أهل الهند ، والطاوية والكنفوشية ديانتا أهل الصين ، والإسلام والمسيحية واليهودية .

ألف الكتاب لمجلة الحياة (Life) المصورة طائفة من المتخصصين للبحث الدينية تناول كل منهم البحث فى ديانة يدرسها ويطلع على مراجعها ، واستغرقت بحوثهم أكثر من سنتين زيدت عليها تنقيحات وتصحيحات استغرقت بضعة أشهر ، ثم ظهر الكتاب أخيراً على صورة طيبة فى شكله وموضوعه وجاءت فصوله التى كتبت عن الإسلام على أطيب ما ينتظر من الباحث غير المسلم حين يتصدى لكتابة عن هذا الدين وأهله فى معترك الخصومات السياسية والمذهبية التى تثير العداء له فى كثير من علاقاته بالدول والشعوب .

وأطيب ما فى تلك الفصول من هذه الوصية أن كاتبها يورد الاعتراضات الشائعة عن الدين الإسلامى ويرد عليها أحيانا بما ينقضها ويجلو حقيقتها . ويوفق إلى الرأى الصواب فى معظم أقواله .

بدأ بقوله عن النبى صلى الله عليه وسلم : إنه لا يسمى نفسه المخلص ولا يقول : إنه المسيح المنتظر ، ولكنه بشر يبلغ الناس رسالته الإلهية ، وليس فى نشأة هذا الدين غموض ولا مجال للخبط بالظنون ؛ لأنه انبثق فى ضحوة التاريخ الساطعة وانتشر بين أمم الأرض بقوة الإعصار ، وسر انتشاره ودوامه أنه عقيدة سهلة واضحة متمكنة فيما تثبته للناس من أصول الإيمان ، وهو أكثر من دين شعائر وعبادات ،

لأنه إلى جانب ذلك ، أدب حياة وشريعة سلوك تنظم معيشة الإنسان على مثال لا نظير له فى الحضارة الغربية .

ومن أسباب قوة هـذا الدين أنه عند اتباعه الـكلمة الأخـيرة من وحى الله ، وهو يتقبل الديانات الـكتابية التى سبقته ولـكنه يعلم أتباعه أنها اجتمعت صحيحة خالصة من الحواشى والأوشاب فى آيات القرآن ، ولم ينشئ القرآن كهانة ولا مراسم هيكلية تلجئ المسلم إلى وساطة زمرة من الأحبار والرؤساء ؛ لأن فرائضه المعروفة الواضحة مما يؤديه كل مسلم بينه وبين الله بغير حاجة إلى الوسطاء.

يقول كاتب فصول الإسلام فى الـكتاب : « إن بعض عادات العرف فى البلاد الإسلامية تحسب من دلائل الرجعية عند الغربيين ، ولـكن النبى نفسه رفع شأن المرأة ولم تكن قيودها الثقيلة مما يفرضه القرآن ، وإنما جاءت من توليدات بعض المتأولين فى عصور النكسة والجحود ، وقد أنكر الإسلام وأد البنات ووضع الحدود لتعدد الزوجات بعد أن كان مستباحا فى أيام الجاهلية بغير حدود .

وتكلم المؤلف عن نحل الصوفية فأشار إلى بعض نحلها التى يعترض عليها أهل السنة ثم قال : « إن الصوفية انتعشت واستقامت بهداية الأفكار التى بثها الإمام الغزالى ـ وهو عبقرى دينى ولد بإحـدى قرى فارس سنة ١٠٥٨ ميلادية ـ ويحسبه المسلمون اليوم فى عداد الأولياء القديسين ؛ ويبلغ عـدد المتصوفة بين المسلمين نحـو ثلاثة فى المـائة ينتمون إلى طرق متعددة مختلفة الدرجات » .

ثم وصف الـكاتب أذكار بعض الدراويش المنتسبين إلى الصوفية بصفات منكرة ، يشاركه فى إنكارها جملة المسلمين ، ولـكنه عاد بأكثر التقاليد الصوفيـة إلى العادات المستعارة من غير المسلمين .

واستطرد إلى التبشير بالدين الإسلامى بين غير المسلمين فقال : « إن الإسلام ، إلى زمن متأخر ، لم يكن له جماعات منظمة للتبشير ، لأن هذا الدين الذى جعل المسلم فى غنى عن الوساطة بينه وبين ربه قد جعله كذلك داعيا إلى دينه حيث كان وإن لم تـكن له جمـاعة ينتمى إليها ويتقيد بنظامها لنشر الدعوة ، إلا أن الدلائل تشير إلى عناية حـديثة من جانب المسلمين بأنظمـة التبشير المسيحية ، وقد أصبح الجـامع الأزهر ـ ذلك المعقل الثقافى الذى صمد للتيارات الغربية وحال بين مؤثراتها وبين العالم الإسلامى ـ ينشط الآن لتدريب فئة قليلة من أبنائه كل سنة للعمل فى هـذا الميدان ، ولاحت علامات النشاط لهذا العمل من جانب بعض النحل المتشعبة

فى الإسلام ومنها نحلة الأحمدية التى تبعث الرسل إلى أوربة والشرق الأقصى وأقطار إفريقية الشرقية » .

قال الكاتب : « إن فى القارة الإفريقية اليوم نحو ستين مليون مسلم من نيف ومائتى مليون عدة أبناء القارة وإذا تزاحم المبشرون من المسلمين والمسيحيين كسب التبشير الإسلامى عشرة كلما كسب التبشير المسيحى واحدا من الوثنيين ، ويشيع بين سكان إفريقية الغربية ـ ولا سيما نيجيريا ـ أن الإسلام دين الرجل الأسود ، وأن المسيحية دين الرجل الأبيض ، وأجدر من ذلك بالالتفات أن المسلمين فى الهند وباكستان حيث تزيد عدتهم على عدة إخوانهم فى كل مكان آخر قد تحول أكثرهم عن العقيدة التى تقضى بنبذ بعض الطوائف إلى العقيدة التى تبسط سنة المساواة بين جميع المؤمنين ، وهناك علامات شتى على أن الإسلام يتحرك من سباته الطويل ، ففى كل أمة إسلامية دعوة إلى إحياء الإسلام سياسيا وروحيا وثقافيا بمختلف الأساليب ، وقد أعيد بناء مئات من المساجد فى البلاد التركية بعد مصادرة أتاتورك للتعاليم الدينية وزادت نسبة الطلبة الدينيين فى إيران بمقدار أربعين فى المائة بين سنة ١٩٥١ وسنة ١٩٥٥ ، وتتراءى فى إفريقية الشمالية علامات من هذا القبيل ، ولا يخلو بلد بين بلاد المسلمين اليوم من شعور القلق من جراء الاحتكاك الدائم بالحضارة الغربية . . . وقديما كان المسلمون يقابلون الحضارات المخالفة بقلة الاكتراث حينا وبالنفور حينا وبالانطواء فى جملة الأحيان . . . أما فى الآونة الحاضرة — فالإسلام مجتهد فى التوفيق بينه وبين مستحدثات الحضارة ـ ولا يجمد على القديم المفقود غير العدد النزر من المتعصبين المتشبثين بالتقاليد المهجورة ، وبين الفريقين طائفة ثالثة ترى أن إحياء الإسلام من داخله عمل مستطاع للوقوف حيال الغرب موقف الأنداد الأكفاء ، متعاونين على شرعة التعاون والاستقلال » .

ويعرض المؤلف بعد ذلك للدور المنتظر من الإسلام بين الديمقراطية والشيوعية ، لأنه وسط فى الموقع ووسط فى العقيدة ووسط فى المصلحة بين المعسكرين ، ثم يؤكد قيام الفوارق بين مبادئ الثقافة الإسلامية ومبادئ الديمقراطية ، ولكنه يخلط فى تقديره فيخيل إليه أن المسلم غير بعيد من الشيوعية إذا عز عليه أن يجد فى الديمقراطية رضاه .

ويختم كلمته عن الدعوة الإسلامية بقوله : « لا ريب أن الوجهة التى سيتجه إليها الإسلام سيكون لها أثرها العميق فى مصير العالم الإنسانى ، وتتوقف هذه الوجهة على مقدار

نجاح المسلمين فى التوفيق بين عقيدتهم ومقتضيات الزمن والتاريخ ، ومن ثم يدرك المسلمون أن قضيتهم العظمى هى قضية العقيدة الروحية ويذكرون كلمة النبى حين قال لأصحابه بعد مرجعهم من إحدى الوقائع : إنهم عادوا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ، وهو جهاد الضمير » .

ويلى هذا الفصل عن الدعوة صفحات من ترجمة القرآن الكريم ، يخصصها الناقل للسور والآيات التى تعرف القراء الأوربيين بآداب الكتاب ووصاياه المميزة له بين وصايا الأديان الكتابية ، ويغلب عليه فى جملة ما ينقله أن ينحو بالمقارنة بينها جميعاً منحى الإنصاف ولا يتعمد فيها أن يبتر الشواهد للإيحاء بالمغامز والشبهات .

إلا أننا نرقب كثيراً ونغلو فى الثقة بفهم القوم لحقائق هذا الدين إذا نرقبنا من منصفيهم أن يصبحوا مسلمين متحرجين فى تنزيه العقائد الإسلامية عن المظان التى قد تخفى على أناس من المقلدين بين أتباع هذا الدين ، فلا يزال هذا المؤلف وغيره ممن يحسنون القول فى الإسلام إجمالا يتوهمون أن النعيم الموعود لا يعدو أن يكون ألوانا من لذات الحس ومتعة من متع الطعام والشراب ، ثم يتوهمون أن الإسلام قد انفرد بتصوير النعيم على هذه الصورة بين الأديان الكتابية ، ويتناسون أوصاف الكتب الأخرى من القرون الأولى إلى ما بعد القرون الوسطى لكل متاع موعود فى عالم الجزاء والثواب . وقد يأبون أن يفهموا أن الإجماع منعقد بين العارفين بالكتاب على اختلاف الصفات والموصوفات بين الدنيا والآخرة ، ولكنهم سواء وقفوا بالفهم دون معنى التنزيه الواجب ؛ لأنهم يجهلون أولأنهم يستريحون إلى المعنى القريب المبذول - قد بلغوا طاقتهم من إحسان النية وإحسان المقال .

عباس محمود العقاد

فضيلة الصمت

سأل رجل عمر بن عبدالعزيز قائلا : متى أتكلم ؟ فقال له الخليفة : متى اشتهيت أن تصمت .
قال الرجل : فمتى أصمت ؟ قال عمر : إذا اشتهيت أن تتكلم .

هذا كلام حكيم . فإن الرجل متى أحب أن يتكلم واندفع فى القول جمح إلى بعض الصواب كثيراً من الخطأ ، ولكنه إذا اشتهى أن يصمت ثم تكلم اقتصر على قول مايجب قوله ، فلم يقع فى الخطأ .

تحيّة الضيف العظيم
رئيس جمهوريّة الباكستان

للأستاذ على الجندى

رق مدحى كأنه نشيبُ ومديحُ الأحبابِ عندى نسيب
وكأينْ من الرجال لهم سحرٌ كبا دُونه الغزالُ الربيب
وجمالُ الوجوه . أجملُ منه خُلقٌ طاهرٌ نأته العيوب
ولأيوب ـ صان ربى أيو ب ـ خِلالٌ تصبو إليها القلوب
شغفتنى حُبا على السمع والسمعُ طريق إلى الهوى ملحُوب
تعشق الأذنُ مثلما تعشق العينُ كذا قرر الحكيمُ اللبيب
ثم إنى ملأتُ عينى منه فاستوى فيه مشهدٌ ومغيب
وعرفناه مخبراً فعرفنا مَلكا عُنصراه : حُسن وطيب
قلتُ للشعر : قد وجدتَ مكانا فيه يحلو الإنشادُ والتطريب
فترنم ما شئتَ لا لومَ فيما تتغنى به ولا تثريب
إنما الشعرُ ـ حينَ يَصدُق ـ وحىٌ من سماءٍ عُلوية مجلوب
فأجاب القريضُ فوق مديحى عبقرىٌّ فذُّ الصفات أريب
رمت تقليدَه عقودَ ثنائى فثنانى جلاله المرهوب
المعلى خلائقا والمُعنى بالمعالى ، والقائدُ الموهوب
عزٌّ بأساً ورقّ نفساً وطبعاً فهو سيفٌ عضبٌ وزهر رطيب
وهو بالمجد والسيادة كاس وهو من وصمة العيوب سليب
أحكمته إلى المدى تجرباتٌ عاتياتٌ وضرسته الحروب
ومن الدهر منبرٌ منه تُلقى بالغاتُ العظات والتهذيب
جامع الحُسنيين : عزم المواضى وندى الغيث . والكمالُ ضُروب
فوق عرنينه سماتٌ من النُّبل بها يُعرف الأغر النجيب
وأخو الصبر فى عراك العوادى وإلى الصبر ينتمى أيوب
والمسمى من اسمه مُستفيدٌ وله منه سُهمةٌ ونصيب

ساس شعبيه بالكياسة والحز م فلم يبق فيهما مُستريب
وتولى بالود جيرانه الأدنين فاخضوضر الصفاءُ الجديب

دولة شادها ، نجاحٌ ، لها العزُّ رواقٌ والمكرُمات طنوب
ورآها ، إقبالُ ، فى عالم الحلم بَعين لها تَشف الغيوب
فتغنى بها وغنى لها لحنا سَنجياً كأنه عندليب
فرسا أصلُها وطال لها فز ع على النجم ذيلُه مسحوب
وأتاها فعــزها ورعاها وحمـها ، أيوبُها ، المحبوب
بعد ما عاث فوقها الشُّر وردتُى فسادا والسهروردتُى ذيب (١)
كان إلبا مع الخطوب علينا حين حطت على حمانا الخطوب
لم يَزعه دينٌ ولا عطفته ، بور سعيدُ ، وثغرُها مخضوب
فرماه من حَالق الحكم شعبٌ عربيُّ الهوى مُحبٌّ حبيب
من سُيوف الإسلام للسمح البيضِ سلمِ من أرضه جنابٌ خصيب
ملكَ الدينُ لبَّه وهواه فهو إن يدعه سميع مجيب
ساءَه أن يرى الأخوّة فى الدين وفى الشرق حبلُها مقضوب
ألفت بيننا أواصرُ شتى ليس يَرقى إلى سَناها الغُروب
إخوةٌ ما ودادُنا حين نُبديه مُريبٌ ولا الولاءُ مشوب
إخوةٌ كلنا إلى الشرق يُعزى وإلى دين أحمد منسوب
إخوة فى السلاح . فينا كُلُومٌ من قراعِ العدا وفينا نُدُوب
كم ليالٍ مرت علينا طوالٍ فجرُها عن عُيوننا محجوب
تتزى فى قبضة الظلم . والظلمُ علينا رواقُه مضروب
خيرُنا للغريب يغرفُ منه بيديه وحقُّنا مغصوب
إن بكى النيلُ شجوه فزع السندُ إليه ودمعُه مسكوب
لم نزل نرتمى على النار حتى باخ منها لهيبُها المشبوب
رحل المعتدون عنا وعنكم وطوى رَحلهَ الزمانُ العصيب
غالبُونا على حمانا ـ فلم نُغلبْ ـ ومَنْ غالبَ الهدى مغلوب

---

(١) كان السهروردى رئيسا لوزراء الباكستان وقت العدوان الثلاثى فخذلنا وقد انتقم الله منه فزج به فى السجن بعد ثورة أيوب خان واتهم بالرشوة .

ومضى أشعبُ المطامع مقهو ... رأ وولى بخزيه عرقوب
وحنا الليثُ رأسه فى خُشوع ... وأتانا مما جناه يتـــوب
لا ينالُ الحقوقَ مَن نامَ عنها ... والأبىُّ الكريم ساعٍ دءُوب
والأمانى عرائسٌ مهرُها غا ... لٍ ومِن مهرِها الدمُ المصبوب
كتب اللهُ أن يَعزّ ويرقى ... كلُّ شعبٍ فى النائبات صليب

* * *

يا أخا الموطنِ الطهورِ لك الإجلا ... لُ منا والأهلُ والترحيب
لست ضيفاً على العُروبة لكن ... أنت فيها أخٌ لنا ونسيب
و « جمال » يُضفيك وُدَّ شقيق ... ـ ينقضى الدهرُ ـ وهوغضٌ قشيب
فارسُ السِّلم والنزال المُلقَّى ... راية النصر والمنايا تصوب
رُزق البسطين جسما وعقلا ... فهو فى جنسه عجيبٌ غريب
هِمَّة فى عزيمة فى قضاء ... فى صفاء كما يروق القليب
وهو غَيثٌ لقومه وغِياثٌ ... وهو سيفٌ على العدا ولهيب
ذو فنون فى حكمه وابتكار ... وله فى دَهائه أسلوب
رائدٌ شامتِ العروبةُ منه ... سيفَ عزم غِرارُه مَذروب
وتلافى به الإلهُ حمانا ... بعد أنْ حوَّمت عليه « شعوب »
قد عَزنا به وكُنا نِهابا ... كلُّ طاغ له علينا وثوب
حاش لله أن تضيع بلادٌ ... هُو فيها لكلِّ داءٍ طبيب

* * *

فأبقيا للعُلا . ودُوما على الودّ ... فبالوُدّ شمسُنا لا تغيب
وانصرا السلم علّ من يطلبُ الحر ... بَ إلى الرشد والصواب يثوب
واحذَرا الخصمَ أن يَدِبّ إلينا ... فهو أفعى . والأفاعى دبيب
ذو اقتدار على الأذى وله كيدٌ ... وفخٌّ من حولنا منصوب
بارك الله فى جَمال وأيو ... بَ وحيَّتهما الصَّبا والجنوب

على الجندى
عميد كلية دار العلوم السابق

الكتب

نقد وتعريف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

١ — اللمع :

لأبي نصر السراج الطوسي المتوفى عام ٣٧٨هـ

هذا الكتاب من التراث الصوفي ، قام بتحقيقه الأستاذان : الدكتور عبد الحليم محمود أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين ، والأستاذ طه عبد الباقي سرور .

ذكر المحققان في تقديمهما للكتاب ومؤلفه : « أن مدرسة الجنيد الصوفية في بغداد ، كانت تقابلها هناك في نيسابور مدرسة أبي نصر السراج الطوسي ، وكلا المدرستين اعتصمت بالكتاب والسنة ، واتخذت من سيد المرسلين إماما وقدوة ، وجعلت من أشواق الحب الإلهي ومن إلهامات الروح القرآني ومن مثاليات الخلق المحمدي منهجا في المعرفة ، وطريقا في السلوك ... » .

كما ذكرا أن كتاب اللمع قد رسم المبادئ الصوفية النقية ، وقد استهدف في كل حرف فيه ، غاية قصد إليها ، وحرص عليها ، وقد كان مؤلفه فيه العالم النفساني والحكيم الرباني ، وهو مبصر ببصيرة علوية يتسلل بها إلى خفايا الصدور ، وخفقات القلوب ، كما يتسلل إلى دقائق المعرفة ورقائق الذوق .

أما الكتاب فهو عرض للتصوف والمتصوفين ، والأحوال والمقامات ، وأهل الصفوة ، وآداب المتصوفة ، والسماع والوجد والكرامات ، ثم دفاع عن الشطحات الصوفية.

والكتاب كمعظم الكتب الصوفية ، لا تخلو من اهتزازات في التفكير ، وتكلف في التأويل ، وشطط في المعاني . فللصوفية مستنبطات في علوم مشكلة على فهوم الفقهاء والعلماء . . والعلم المستنبط هو علم الباطن ، وهو وقف على الصوفية . كما أنه أهم من علم الظاهر وهو الشريعة . كما يزعم المؤلف .

وليس المجال مجال تعداد لما تضمنه الكتاب من شطحات لا يقرها الشرع ، ولكن الذي أثار عجبي أن الأستاذين المحققين

يذكران فى مقدمتهما من مناقب المؤلف ، أنه وفد فى رمضان إلى بغداد ، فأفردت له غرفة خاصة فى جامع « الشونيزية » ، وكان الخادم يحضر له رغيفا كل ليلة ، فيضعه فى غرفته ، وفى يوم العيد وكان السراج قد رحل ، وجد الخادم الثلاثين رغيفا دون أن تمس . . !

ولنا وقفة سريعة مع الأستاذين المحققين ، فالذى يعد من حسناتهما ، أنهما قد قدما طبعة جديدة كاملة للكتاب ، حيث كان فى طبعة المستشرق الانجليزى نيكلسون الأوربية قسم مفقود ، وبهذا نشر الكتاب كاملا لأول مرة .

ولكن كنا نود أن يكون لمجهودهما أثر أكبر فى تحقيقهما للكتاب ، فكل ما فى الكتاب تخريج لما تضمنه من أحاديث نبوية ، قد اضطلع بها شيخ الطريقة التيجانية السيد محمد الحافظ التيجانى ، الذى بذل جهدا مشكورا ، غير أنه لم يذكر درجة بعض الأحاديث ، ومنها ما بلغ درجة المنكر ، كحديث على : علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين بابا من العلم لم يعلم ذلك أحداً غيرى .

وكنا ننتظر من الأستاذين أن يعنيا بتحقيق موجز لأعلام الكتاب ، ومناقشة منصفة لما تضمنه من شطحات وألا يقيسا قيمة كتاب صوفى بتزكية بعض المتصوفين له ، فهذا الجانب القلق من الفكر الإسلامى يحتاج إلى كثير من الجهد الذى يمتزج بالإنصاف والنزاهة .

****

٢ — صيد الخاطر :

للإمام ابن الجوزى .

ضبط هذا الكتاب وحققه الشيخ محمد الغزالى : وابن الجوزى ليس فى حاجة إلى تعريف فهو من العلماء القلائل ، الذين أسدوا إلى الفكر الإسلامى زاداً طيبا خالصا من الثقافة العالية . والكتاب كما يقول الشيخ الغزالى فى تقديم له : طراز فريد فى الأدب الدينى . . وبحث نفسى يتسم بصدق الفكرة وحسن البيان ، ويستعرض من قضايا السلوك الإنسانى والتأمل الوجدانى مالا تبلى جدته ، أو ينتهى أمده .

والحق أن ابن الجوزى المتوفى عام ٥١٠ هـ ممن وهب الله لهم القدرة على مخاطبة الجماهير ، وتقصى أمراض المجتمع لعلاجها . والجرأة فى مواقف تستلزمها لتؤازر الحق .

تناول الكتاب ٣٧٣ موضوعا ، دينيا واجتماعيا ونفسيا ، وإنسانيا ، ولم يغلب على ابن الجوزى فى تناوله لهذه الموضوعات الطابع الإنشائى ، بل ناقش وجادل ، وأيد منطقه بالقرآن وصحيح السنة ، والمعتمد من أقوال السلف الصالح . وإن كان الأسلوب الوعظى قد بدأ واضحا .

ولقد تعقب الأفكار الصوفية المنحرفة ، تعقبا عنيفا قاسيا لا هوادة فيه ، وماذا كان يفعل

غير هذا ، وقد سبقه أبو نعيم فى حلية الأولياء والقشيرى فى رسالته ، والشعرانى فى طبقاته ، فأساءوا إلى الإسلام بما قصوه من أحوال الصوفيين ، وانضم إليهم أيضا الطوسى فى لمعه . وهو يذكر لنا أن أحد الصوفيين تزوج وظلت زوجه معه ثلاثين عاماً وهى عذراء لم تفض بكارتها ، وإخوانه يقصون علينا ، أن عطاء السلمى من المتصوفين قضى أربعين عاماً على سريره لم يغادره من شدة خوفه من الله ؟ ؟.

ولنا كلمة مع الشيخ الغزالى محقق هذا الكتاب ، فهو يذكر فى تقديمه له ، وهو تقديم جيد فيه غيرة على التراث الإسلامى المهمل ، يذكر أنه خلال قراءته للكتاب ، شعر بأن النساخين والطباعين قد شوهوا نبذا منه ، وكادت بعض أفكار المؤلف تخفى أو تطمس مع كثرة هذه الأخطاء ، فرأى أن يخدم المعنى الصحيح جهد الطاقة ، واختار لموضوعاته عناوين قريبة منها .

وهذا جهد يشكر عليه الشيخ الغزالى ، إلا أن تحقيق أى كتاب دينى يستلزم :

أولا : تحقيق الأحاديث النبوية .

ثانياً : تحقيق الأعلام .

ثالثاً : مناقشة الأفكار التى تحتاج إلى مناقشة ، ولم يخل كتاب ابن الجوزى منها ، وهذا ما لم يفعله الشيخ الغزالى :

إن تحقيق التراث الإسلامى إحياء لها ، والجهد الذى يتكبده العالم فى تحقيق أى كتاب يجب أن يكون شاقا مضنيا .

****

٣ — دعوة الإسلام :

لفضيلة الشيخ سيد سابق .

هذا كتاب جديد جاء فى أربعة أبواب هى :

مصادر دعوة الإسلام :

الوحى ـ معجزة الإسلام ـ القرآن ـ السنة .

فسر الوحى وأنواعه تفسيراً طيبا ، وذكر أنه جاء ليحل مشكلات أعضلت الناس قديما وحديثا ، منها ما يتعلق بالعقيدة ، ومنها ما يتعلق بالمجتمع والإنسان والحياة .

ثم ذكر أن الوحى (أى القرآن) هو معجزة الإسلام الكبرى ، فالآيات الحسية كانت صالحة يوم أن كان العقل البشرى فى الطور الذى لم يبلغ فيه الرشد بعد ، أما وقد بدأ الإنسان يدخل فى سن الرشد ، وبدأت الحياة العقلية تأخذ طريقها إلى الظهور ، لم تعد الآيات الحسية هى الأدلة الوحيدة على صدق الرسالة .

وعرض فضيلته القرآن كمنهاج للتربية بشتى ألوانها ، والسنة كمصدر ـ يأتى بعد القرآن ـ للتشريع الإسلامى ، وروابط المجتمع فى صورها المتعددة ، تثبت بناءه ، وتدعمه ، وتصونه من عواصف الشر .

حين تعرض المؤلف للقرآن كمعجزة كبرى للإسلام ، كان فضيلته مناقشا منطقيا على مستوى أعلى ، وكنا نود أن يسير إلى النهاية فى بحوثه ، لولا أنه قدم لنا موضوعات تكاد تكون مرتبطة فحسب ، بالعناصر الرئيسية التى اختارها لكتابه ، ومستقلة استقلالا ذاتيا من الداخل . .

والواقع أن مثل هذه الموضوعات مكررة ، إلا أن فضيلة الشيخ سيد سابق ، أضفى عليها لونا من المناقشة الأدبية التى اتسمت بجانب من المنطق والأسلوب الجذاب ، وإن كان القارئ المثقف أصبح فى حاجة إلى فكرة تناقش ، وتقارن بغيرها من الفكر القديمة والحديثة ، التى لم يخل - ولن يخلو - منها عصر من العصور ، أصبح فى حاجة إلى الدعوة الإسلامية تقدم إليه كدراسة تأخذ طابع التعمق والتركيز . .

* * *

٤ — نظرية الإسلام الاقتصادية :

للاستاذ عبد الحميد أحمد أبو سليمان

جاء هذا الكتاب الموجز فى ثلاثة أبواب :

المبادئ ، حيث اعتبر المؤلف أن أهداف البشرية من الاقتصاد ، هى الرفاهية فى عدالة ومساواة وحرية ، وأن عوامل الإنتاج هى الأرض ورأس المال ، وأن الأصل فى ملكيتها يرجع إلى المجتمع ، وناقش ملكية الفرد وأنها حق فى الإسلام ، وأن الريع والفائدة تتنافى والإسلام لأن الكسب للعمل ، وناقش نظام الوراثة وأنه فى الإسلام يحافظ على مبادئ وأصول العدالة فى المجتمع ، وذكر أن توزيع عوامل الإنتاج إذا ما اختلت ، اختل التوازن العادل والذى هو من مبادئ العدالة الاجتماعية الإسلامية .

وفى الباب الثانى ، عرض للوسائل ، فعرض جانبا من النظريات الاقتصادية ، واعتبر أن وسائل التنفيذ هى : القرض الحسن ، والمشاركة برأس المال على الربح والخسارة ، ثم قيمة الأرض للزراعة ، ولكن هذه الوسائل فى المجتمع الحديث هى : الفائدة والشركة المساهمة والتخطيط العلمى والضرائب والتأميم والبنوك ، وأسسها على ضوء فلسفة الإسلام ، وضمان الدولة لرأس المال ووعى الشعب والحكومة .

وفى الباب الثالث عرض للتوزيع ، فتحدث عن أهداف تقييم الجهود وتبادلها ، والقيمة فى ظل الأنظمة الحديثة ، ثم فى فلسفة الإسلام.

بذل المؤلف جهداً مشكوراً فى كتابه هذا - واستطاع أن يجمع نصوصا إسلامية واضحة وهو المتخرج فى كلية التجارة ، وكان حسنا منه أن يجمع النصوص الإسلامية فى موضوعها ويتولى التعليق عليهـــا وربطها بالموضوع إلا أن المؤلف كان عليه أولا ، أن يدرس النصوص التى ساقها فى كتب الفقه ، وهو يعرض لموضوع دقيق له خطورته وأهميته ، وألا يكتفى بتجميعها وحصرها ، ثم الضغط عليها لتساير منهج تفكيره فى هذا البحث . .

وحسن نية المؤلف وإخلاصه للإسلام واضحة فى الكتاب ، وهو يقدم أول إنتاجه، ولازال الطريق أمامه فسيحا .

****

٥ . لماذا أسلمت ؟

الأستاذ الكبير زكى عربى المحامى

محاضرة موجزة مركزة ألقاها الأستاذ الكبير فى جمعية الشبان المسلمين بعيد إعلان إسلامه .

والأستاذ الكبير يلخص الدوافع التى من أجلها أعلن إسلامه فى دافعين ينطويان تحت عنوانين رئيسيين هما : وجدان وعقيدة . ويعزى الدافع الأول إلى البيئة الإسلامية التى عاش فيها : « حى بولاق بالقاهرة » ويعزى الدافع الثانى إلى قوة العقيدة الإسلامية نفسها كما وضح له من دراستها دراسة استيعاب وتعمق .

والحق أن الأستاذ الكبير عرض الإسلام عرضا قيما نم عن دراسة عميقة متزنة . مما لم يدع مجالا ، فى أن إيمانه ، إنما جاء عن عقيدة راسخة ، وفهم دقيق للإسلام كفكرة حية تتجاوب معها العقليات الكبيرة من أمثال الأستاذ زكى عربى المحامى الكبير .

٦ — دراسات فى اللغة العربية :

للمغفور له الشيخ محمد الخضر حسين .

مطبوعات المكتب الإسلامى بدمشق .

هذا الكتاب ... تناول موضوعات شتى :

أولها : القياس فى اللغة وهو دراسة نال بها المؤلف عضوية هيئة كبار العلماء .

وثانيها : حياة اللغة العربية ، كانت محاضرة ألقاها المؤلف عام ١٣٢٧هـ فى كبرى الجمعيات الأدبية بتونس عند ما كان مدرساً بجامع الزيتونة .

وثالثها : الاستشهاد بالحديث فى اللغة ، ناقش المؤلف وجهات نظر القائلين بالاحتجاج بما يروى من الأحاديث والقائلين بغير ذلك .

ورابعها : موضوع علم النحو ، ناقش فيه آراء مؤلف كتاب إحياء النحو لأحد أساتذة الجامعة المصرية .

ثم موضوعات أخرى كتب بحوثها فى مجلة الهداية الإسلامية وقد كان منشئا وجمعية الهداية أيضاً .

تناولت : التضمين فى اللغة ، وتيسير وضع مصطلحات الألوان ، وطرق وضع المصطلحات ، والرد على محاولة تبسيط قواعد النحو والصرف ، ثم رسالة فى الإمتاع بما يتوقف تأنيثه على السماع .

لقد قدم المؤلف لهذه الدراسات بمقدمة جليلة عن فضل اللغة العربية ومسايرتها للعلوم المدنية ، تناولت اللغة : أصلها ، نشأتها ، التأثير المتبادل بينها وبين الفكر ثم تأثير الإسلام فيها .

هذه الدراسات دراسات عميقة ، ولا أظن عالما أو طالب علم أو باحثاً أو محققاً لا يحتاج إليها .

أنباء الثقافة

* يطبع فى هذه الأيام للأستاذ محمد جميل بيهم المؤرخ اللبنانى وأحد مؤسسى كلية المقاصد الإسلامية كتاب جديد عنوانه « فلسفة تاريخ محمد » . . . يصدر الكتاب باللغتين العربية والفرنسية .

* تفتتح بعد أشهر قلائل (الجامعة الإسلامية) التى أنشأتها حكومة المملكة العربية السعودية فى (المدينة المنورة) . . وتقرر أن تقبل الجامعة الإسلامية طلاباً من جميع بلدان العالم العربى والإسلامى . . سينتدب للتدريس فيها أساتذة من هذه البلدان . . بحيث تدرس المواد باللغات العربيـــة والأوروبية والأندونيسية وغيرها . وستجرى الحكومة السعودية منحاً مالية على جميع الطلاب .

* تصدر (دار المعارف) بعد أيام كتاباً عن « جمال الدين الأفغانى » فى سلسلة كتب « نوابغ الفكر العربى » ... وضع الكتاب الشيخ « محمود أبو رية » ... وقد أثبت فى كتابه أن الإمام الأفغانى ينحدر من سلالة عربية فجـده هو الحسين رضى الله عنه ... مستنداً فى ذلك إلى ما كتبه الإمام « محمد عبده » فى سيرة جمال الدين .

* نشر المستشرق الإيطالى « الدكتور مارتينو ماريومورينو » فى مجلة « المشرق » التى تصدر فى روما باللغتين الإيطالية والعربية عدة بحوث عن كتاب (أدبنا وأدباؤنا فى المهجر) الذى ألفه الشاعر المهجرى « جورج صيدح » وتحدث فيه عن أثر الأدباء العرب المغتربين فى المهاجر الأميريكية فى تطور الفكر العربى خلال نصف القرن الأخير .

* يطبع الدكتور « صالح الأشقر » الأستاذ بكلية آداب دمشق كتابه عن « نكبة فلسطين وأثرها فى الشعر العربى الحديث » وقد درس فيه كل ما قاله شعراء العربية فى نكبة فلسطين .

* فى إحصاء نشرته أحد الصحف الألمانية أن عدد المخطوطات القديمة فى دار الكتب المصرية بلغ ٧٢ ألفاً ، بينما لا يزيد عدد المخطوطات الموجودة فى سائر مكتبات العالم عن ٣٨ ألفاً بما فيها مكتبات استانبول وباريس وفيينا ... وهذه المخطوطات جميعها باللغة العربية .

* يزور القاهرة فى الشهر المقبل « الشاعر القروى » الذى عاش فى المهجر أكثر من نصف قرن ، وذلك للإشراف على طبع

ديوانه على نفقة وزارة التربية والتعليم المركزية .

* صدرت مجلة عربية جديدة فى لندن اسمها « الأصوات » . قال محررها وهو المستشرق «دينس ديفين» أن المجلة ستكون ميدانا لأقلام كتاب العرب ومفكرى أوربا المهتمين بالثقافة العالمية القديمة والحديثة . . وأنها ستعنى فى أبحاثها بتطورات الحياة الاجتماعية فى الأقطار العربية والإسلامية ودراسة الكتب القيمة التى تصدر فى أنحاء العالم .

* يؤلف الأستاذ رشيد الخورى الكاتب الفلسطينى المعروف كتابا عن فقيد العربية الأديب الكبير المرحوم « محمد إسعاف النشاشيبى » يدرس فيه حياته ومؤلفاته . . ينتظر أن يصدر الكتاب بعد ستة أشهر .

* كتاب « القومية العربية » الذى ألفه الأمير « مصطفى الشهابى » سيعاد طبعه على نفقة معهد الدراسات العربية العليا . . إذ نفذت طبعته الأولى . . كان الأمير الشهابى قد ألقى فصول الكتاب على طلاب معهد الدراسات العربية فى العام الماضى .

* دعت الجالية الإسلامية فى الأرجنتين بعض كبار المقرئين للسفر فى شهر رمضان الكريم فى مقر الجمعية الإسلامية ببونس إيريس .

* صدر فى المغرب كتابان عن « جامعة القرويين » لمناسبة الاحتفال بمرور ١١ قرنا على إنشائها ، الأول للأستاذ « عبد الهادى التازى » . والثانى للأستاذ « محمد الطبخى » .

* الأستاذ أنور الجندى انتهى من كتابه عن « المعارك الأدبية فى العصر الحديث » الذى تناول فيه ما كان يدور من المعارك بين أدباء العروبة على صفحات « الرسالة » و« الثقافة » .

* سيصدر بعد شهر الجزء الأول من المعجم الوسيط الذى ألفته لجنة من أعضاء مجمع اللغة العربية وضمنته طائفة كبيرة من المصطلحات الحديثة والألفاظ التى أقرها المجمع وهو موضح بالتعريفات العلمية الدقيقة ومحلى بالصور الشارحة للحيوان والنبات والأدوات وسيصدر جزؤه الثانى فى يناير من سنة ١٩٦١ .

* ستجتمع لجنة النشر فى المجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون والعلوم الاجتماعية للنظر من جديد فى مشروع الألف كتاب من حيث الاختيار والإخراج والنشر .

بريد المجلة

إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر

من الأستاذ الأكبر :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ـ وبعد :

فإن كلمتكم بالأمس فى حفل الاتحاد القومى بجامعة القاهرة رفعت شأن العروبة وركزتها على أساس من الإسلام الصحيح والعقيدة القوية والإيمان الصادق وحققتم بذلك فى الأمة الإسلامية وشعوبها قوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

حققتم ذلك دون تفرقة بعنصرية أو طائفية أو جنسية . فسر فى طريقك فالله معك ، ونحن من ورائك صفوفا متراصة ، لخدمة الإنسانية عن طريق الإسلام .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

محمود شلتوت

من الأستاذ الأكبر

إلى فخامة الرئيس محمد أيوب حفظه الله :

رئيس جمهورية باكستان

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ـ وبعد :

فإن التقاء الشعب الباكستانى الممثل فى شخصكم الكريم مع الشعب العربى الممثل فى رئيس الجمهورية العربية المتحدة لمن أقوى صور البشريات فى إعلاء صوت الحق وجمع الكلمة على خدمة المبادئ الإنسانية السامية التى نزل بها الوحى الأمين ، وكان لكل من الشعبين فى تاريخه الطويل أثر فى استخلاص تلك المبادئ من مصادرها الأولى والمحافظة عليها . وإن الأزهر ورجاله الذى وقف نفسه على خدمة تلك المبادئ ليرحب بكم فى تلكم الزيارة وهذا الالتقاء ويدعو الله للجميع بدوام التوفيق فى خدمة الإنسانية والسلام .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

محمود شلتوت

الأستاذ الأكبر يستقبل الواعظ الخاص للرئيس أيزنهاور :

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر بمكتبه الدكتور ادوارد ألسن الواعظ الخاص للرئيس أيزنهاور يرافقه الدكتور تنسى المحامى بأمريكا ، ومستر كرينج مدير جماعة الاتصال بالشرق الأوسط بالقاهرة .

وبعد أن رحب بهم فضيلته قال : يجب أن يعمل القادرون على إنصاف الضعفاء ورد حقوقهم إليهم ، وأن تعمل الولايات المتحدة على إقامة عدالة عالمية بين الشعوب .

فقال الزائر : إن الشعب الأمريكى يفهم الحقائق الإنسانية ويقدرها لا من المدنية المعاصرة ولكن من إيمانه بالله وبالمثل العليا ، والمبادئ الإنسانية السامية .

فقال الأستاذ الأكبر : إننا نرجو أن يجيء الله السبيل لغرس كلمة التوحيد فى نفوس الناس جميعا ، حتى يستلهموا النور والهداية والتوفيق فى حياتهم ومعاشهم ، كما نرجو أن تعمل حكومتكم على مساعدة الشعوب المتطلعة إلى الحرية لتنال حقها من الحرية والرخاء .

فقال الزائر : إن العقائد الدينية تسير بين الشعب الأمريكى فى حرية تامة سواء كانت هذه العقائد يتمتع بها الأقلية أو الأغلبية .

فقال الأستاذ الأكبر : إننا نرجو للشعوب الضعيفة أن تعيش فى حياة من الرحمة والتعاون لتتمتع بأنعم الله فى أرضه فلدينا لاجئو فلسطين . ولدينا ثورة الجزائر لنيل حريتها وهما مشكلتان من المشاكل العالمية الخطورة وأملنا قوى فى أن تعمل أمريكا على رد الحقوق إلى أهلها وعلاج هاتين المشكلتين . كما نريد من أمريكا أن تضع يدها فى أيدينا لإنقاذ هذين الشعبين .

فقال الضيف : إنى لأرجو أن تعلم فضيلتكم بأن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين قد عملت أمريكا على علاجها ، ونحن ننشر هذه الرسالة ونرجو أن يستمر نشرها بين العالم ثم أضاف الزائر بأن من أعظم المبانى الموجودة فى أمريكا مسجد واشنطن الكبير الذى افتتحه الرئيس أيزنهاور عام ١٩٥٧ وإنى ألقى كل عام محاضرة فى معهد الدراسات الإسلامية فى المركز الثقافى الإسلامى بواشنطن ، ومصدر الإشعاع الدينى والروحى فى الولايات المتحدة حتى يفهم العالم حقيقتها .

فقال الأستاذ الأكبر : إن الأزهر يرجو أن يضع الرئيس أيزنهاور يده فى يد الرئيس جمال عبد الناصر لدعم السلام العالمى وتأكيد التحية والوئام بين الشعوب جميعها .

فقال الزائر : إن الساعة التى التقى فيها الرئيسان العظيمان كانت فرصة طيبة لتحسين العلاقات الودية بين الولايات المتحدة والجمهورية العربية المتحدة ولا عجب فهما يتمتعان بالروح العسكرية والسياسية والدينية ، وإن الشعب الأمريكى يهتم اهتماما بالغا بإقامة علاقات ودية بينه وبين جميع الشعوب . ومما هو جدير بالذكر أنه يفهم الروح الشرقية فهما بالغاً ، ويقدرها حق قدرها .

فقال الأستاذ الأكبر : إن هذه من مبادئ

الإسلام السامية ، والتى إن اتخذتها البشرية عنوانا لها سادها السلام والطمأنينة والرفاهية فالإسلام يدعو إلى التراحم والتواد والتعاطف واحترام الحقوق ورد الأمانات إلى اهلها .

هذا ثم شكر الزائر لفضيلته حسن استقباله وإتاحة الفرصة لهذه الزيارة التى تمتع فيها بالحديث مع فضيلة الأستاذ الأكبر عن نواح ثقافية وفلسفية وإنسانية سامية .

فقال الأستاذ الأكبر : إنى ليسرنى ذلك سرورى بهذا اللقاء الكريم ، ثم أضاف أن الأزهر على استعداد لأن يبعث إليكم بجميع مناهجه وخططه الدراسية والثقافية .

ويسعدنى أن تعلموا أن بالأزهر جهازا قويا لنشر الثقافة الإسلامية بين جميع الشعوب فبالأزهر معهد الإعداد والتوجيه والإدارة العامة للثقافة الإسلامية ، ومجلة الأزهر التى تصدر باللغتين العربية والانجليزية .

كما أن مهمة الأزهر هى أن تتمتع جميع الشعوب بحقها فى الحياة من حرية ومساواة ورخاء .

محمد الأزهرى الأمريكى :

اسمه الآن « محمد الأزهرى » . . أمريكى وأشهر عازف فى أمريكا وأوربا . . والذى دعاه بهذا الاسم الجديد هو « فضيلة الشيخ شلتوت » شيخ الأزهر عندما أشهر إسلامه على يديه منذ أيام . وأنت لا تلقى الأمريكى المسلم فى غرفته رقم ٤٤ بفندق هيلتون فى أوقات فراغه إلا مصليا وقت الفريضة ، أو قارئا القرآن .

و « محمد نور الدين » - ليوروس سابقا - أصله من كاليفورنيا ، وقد ورث عن أبويه هوايتى الموسيقى والغناء ، ثم اضطر أن يقلب الهوايتين الى احتراف ليعيش ولمع نجمه فى الأندية الليليه وفى الإذاعة وفى التليفزيون وفى السينما بأمريكا ، وفى برودواى قلب أضواء العالم على الأخص . . وعاش يطوف العالم حتى وصل إلى القاهرة ليقدم فيها فنه فترة وما كاد يستقر فيها أياما حتى ذهب إلى شيخ الأزهر يطلب إشهار إسلامه وتلقينه أصول الدين وتعليمه اللغة العربية ، وحقق له الشيخ الأكبر طلباته ، وأتم إجراءات إشهار إسلامه وعين له مدرسا من الأزهر .

سألت « محمد نور الدين » : كيف اعتنقت الإسلام ؟

فأجاب عن : عقيدة . . وهذه أمنيتى من زمن طويل . . وكنت أترقب الفرصة أن أجىء إلى القاهره لأحققها . . فلما سنحت الفرصة اغتنمتها . إننى أرى فى الإسلام عظمة الدين الحى وجلال الوحدانية . وقد يدهشك أن تعلم أننى لا أشرب الخمر ولا أدخن ولا آكل لحم الخنزير .

وحدثنى عن مشروعاته للمستقبل . . إنه ينوى أن يجعل القاهرة محل إقامته وموطنه

الأصلى ، وأن يتزوج مسلمة منها .. حتى يخدم الإسلام فى قلب الوطن الإسلامى العربى الأكبر .

* * *

لفتة كريمة ... من الرئيس الباكستانى :

فى الحفل الذى أقامه الاتحاد القومى فى ١٩٦٠/١١/٧ تكريما للرئيس الباكستانى أيوب خان ، تحدث الرئيس الباكستانى ، فأفاض فى حديثه ، ومس ببعض عباراته قلوبنا . قال :

« إننا نعتقد أن ديننا هو دين تقدمى ، وأنه دين يشجع استخدام العقل ، وأنه دين يجب أن يساعدنا على أن نساير الزمن فى التقدم ... ولكن هل يمكنكم القول بأن ذلك قد حدث فعلا ، إذا ما فكرنا فى ذلك أو ألقينا نظرة على المجتمع الإسلامى فى سائر أنحاء العالم ، نجد أن هذا المجتمع الإسلامى أكثر المجتمعات تخلفا وفقراً وقد ظل راكداً ...

ألا يدعونا ذلك إلى الاهتمام بالبحث عن هذه الأخطاء ، وما الذى يجب إصلاحه ، وإنى أعتقد أن مهمة كل مسلم مفكر أن يجد السبب ، وأن نجد ما ينبغى أن نفعله لإصلاح هذا الوضع .. »

هذه بعض عبارات الرئيس الباكستانى ، وضع فيها النقط على الحروف . .

ونحن نتساءل والأسى يملأ جوانحنا :

على من تقع اللائمة فى أن يظل المجتمع الإسلامى رمزاً على التخلف والفقر ، رغم أن الإسلام دين تقدمى ؟

ولا أظن أن هناك خلافا فى القول بأن العقلية الدينية الآسنة هى أقوى وأصلب العقبات فى سبيل النهوض للمجتمع الإسلامى ..

هذه العقلية التى لازالت تتمثل فى فئات عديدة فى سائر البلاد الإسلامية ، ولا تحمل فى عقولها فقها أو علما ، وإنما تحمل فى أيديها هراوات غليظة تهدد بها العقليات المتحررة ، هذه العقلية يحتاج الإسلام أولا إلى التخلص منها لكى يثبت أنه دين تقدمى ... ولكن أين هى القوة التى تعمل على إزالتها من الطريق . .

لسنا بسبب ضرب الأمثلة ، ولكن حسبنا أن نعلم أن فى بعض البلاد الإسلامية لازال يعتبر تعليم البنت جريمة ، وأن فى إنشاء مدارس البنات خروجا على الدين . .

وحسبنا أن نعلم أن فى قلب القاهرة عمليات لازالت تعتبر صوت المرأة عورة ، وعملها فى ميدانها فوضى لا يقرها الدين ، وأن فى كشفها عن وجهها عدوانا على الشريعة الإسلامية .

وأن فى قلب القاهرة عقليات ترى أن الصلاة فى الزى الإفرنجى لا تصح ، وأن غطاء الرأس يجب أن يكون للمسلم عمامة ذات ذؤابة مرخاة ، وأن المذياع مزمار للشيطان ، وأن شتى الفنون الجميلة عبث وترف .. !

نحن لا ننكر أن فى البلاد الإسلامية عقليات متحررة تستطيع فى أيام معدودة أن تأتى على العقليات المتزمتة ، ولكن هذه العقليات المتحررة فى بعض البلاد الإسلامية حرة فى تفكيرها وحسب ، ولا تملك من الحرية شروى نقير إذا أرادت أن تعبر عن هذا التفكير ...

هذه لفتة كريمة من الرئيس الباكستانى الذى يحمل للإسلام بين جنبيه إجلالا وتقديراً لعلها تثير خواطر المشفقين على الدين من العقليات المتحررة التى لا ترجو للإسلام سوى المكانة التى تليق به كدين تقدمى . . !

محمد عبد الله السمان

* * *

حول معنى (فصالا)

فى قوله تعالى :

« فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور (٢٢٣) سورة البقرة » .

استمعت إلى إذاعة التفسير قبل التلاوة ، وفيها هذه الآيات . وقد فسر المذيع فصالا . بفطاما . ولم يستسغ ذوق هذا التفسير ، وسبق إلى ذهنى خطأ المذيع فى النقل ، فأسرعت إلى ما لدى من تفاسير ، فوجدت ما قاله المفسرون فى : الجلالين ، والنسفى ، والخطيب الشربينى ، والتفسير الوسط متفقا مع ما قاله المذيع فرجعت إلى متون اللغة فوجدت مختار الصحاح مادة (فصل) يقول : وفصل الرضيع عن أمه ، يفصله بالكسر فصلا ... أى أبعده عنها . وهذا المعنى هو الذى يتفق وسياق الآيات ... وبالتالى نظرت فى البيضاوى ، فوجدته قد تنبه إلى فهم هذا المعنى غير أنه خصه بأن يكون قبل الحولين ، فكأنه توسط بين أقوال المفسرين وبين ما فهمه .

ووجدت جميعهم متفقين على أن الأم مأمورة ندبا بالرضاع ، والأب مأمور فرضا بالإنفاق ، إلا لضرورة تلزم الأم حفظا لحياة الطفل .

فكان عجيبا منهم بعد إجماعهم هذا تفسير الفصال بالفطام . والفطام لا يكون إلا بعد مدة الرضاع الضرورية . فلا معنى إذا للتراضى عليه والتشاور فيه ! . لأنها إن كانت مؤجرة فالأمر لدافع الأجر ، وإن كانت متبرعة فالأمر لها بعد مضى مدة الرضاع ، فعلى أى يكون التراضى والتشاور ؟

يتبين من هذا : أن السياق ، والمعنى العام

للآيات التى منها هـذه الآية بحتمان تفسير الفصال بفصل الولد وإبعاده عن أمه زمن الرضاع ، لا زمن الفطام ... ولهـذا كان اشتراط التراضى والتشاور حرصا على مصلحة الولد أولا ، ومصلحة الوالدين ثانياً .

اقرأ قوله تعـالى : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ، وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف (أى إن كن مطلقات) لا تكلف نفس إلا وسعها. لا تضار والدة بولدها ـ بأن تلزم بإرضاعه دون مقابل وهى غـير زوج لوالده ـ ولا مولود له بولده ـ بأن يكلف بما فوق قدرته ـ وعلى الوارث مثل ذلك ـ مثل ما يجب على الوالد ـ فإن أرادا فصالا ـ أى فصل الولد عن أمه زمن الرضاع ـ شرع أن يكون ذلك ـ عن تراض منهما وتشاور ـ فى هذا الفصل حرصا على المصلحة العامة ـ فلا جناح عليهما ، أى فلا إثم عليهما . إذ الإثم عند عـــدم التراضى لما يترتب عليه من ضرر .

ويؤيد هذا التفسير قوله تعالى بعد ذلك : « وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم ـ أى مراضع غـير الأمهات من وقت الولادة ـ فلا جناح عليكم ـ أى لا إثم إذ هذا حقكم » .

فتفسير فصالا بفطاما خطأ واضح ، وتفسير البيضاوى بأنه قبـل العامين غير سديد ، والصواب ما ذكرناه ، والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده . وما أردت غير السعى وراء الحقيقة والوصول إلى الصواب .

محمد رضوان أحمد

عضو نقابة الصحفيين بالقاهرة

* * *

الصواب لفظ لوبيا :

ما زال الكثير من الكتاب يستعملون كلمة « ليبيا » بدلا من « لوبيا » عندما يتعرضون لذكر هـذا القطر العربى وهم فى هذا الاستعمال إما مدفوعون بحكم العـادة وانتشار هذا الخطأ تمشياً مع ما جرى به القول من أن الخطأ المشهور خير من الصواب المهجور ، وإما أنهم فى استعمالهم هذا يعتقدون صحة هذه الكلمة . وعلى كل فإن الأدلة العلمية المتعددة تدفعنا إلى تخطئة كلمة « ليبيا » وتحتم علينا تصحيحها بكلمة « لوبيا » وضرورة الأخذ بهذه الكلمة الصحيحة . وقد سبق التعرض لهـذه التسمية ووجوب استعمال الاسم الصحيح لهذا البلد العربى فى كتاب « المجمل فى تاريخ لوبيا » (١) .

فنحن إذا رجعنا إلى المصادر العربية القديمة التى تعرضت لهذه الكلمة نجدها تؤيد

---

(١) مصطفى بعيو : المجمل فى تاريخ لوبيا . الإسكندرية سنة ١٩٤٧ .

صحة كلمة « لوبيا » بدل « ليبيا » فهذا ابن عبد الحكم(١) فى كتابه يذكرها لنا بالواو بدل الياء فيقول لنا « ... وكان البربر بفلسطين وكان ملكهم جالوت فلما قتله داود عليه السلام خرج البربر متوجهين إلى المغرب حتى انتهوا إلى لوبية ومراقية ... » وهذا ابن دسته يذكرها لنا بالواو بدل الياء فى كتابه الأعلاق النفيسة (٢) فيقول « ثم يصير فى عمل لوبية وهى كورة تجرى مجرى كور الإسكندرية ... » وهكذا فعل كل من المقريزى فى خططه والسيوطى فى كتابه « حسن المحاضرة » .

وأما شيخ العروبة المرحوم أحمد زكى باشا المعروف بتضلعه فى اللغة وفقهها وفى التاريخ الإسلامى وحوادثه فقد كتب لنا بخصوص هذه الكلمة فى قاموسه (٣) الذى أخرجه لنا ما يأتى « لوبيا اسم الصحراء تفصل ديار مصر وإيالة طرابلس الغرب وتسمى عند الإفرنج « Lybie » وصحة اسمها بالعربية لوبيا كما وردت فى كتب الجغرافية العربية وفى طبقات الأطبـــاء وغيره لا بالياء كما نقله المترجمون مراعاة للفظ الفرنساويين بها مع أن الصواب فى تعريب حرف الياء اليونانية y هو الواو كما هو فى أصل اللغة اليونانية وبها سمى النبات المعروف باللوبيا » .

هذا وقد تعرض المجمع اللغوى بالقاهرة لهذه الكلمة واعتمدها فى معجمه الجغرافى على أنها « لوبيا » وقد ساهم فى وضع هذا المعجم الأساتذة الأعلام الشيخ السكندرى والأب أنستاس الكرملى والدكتور ليتمان إلى جانب من عاونهم من الخبراء المصريين المشهور لهم بالدقة العلمية وطول الباع فى البحث الصحيح وقد استجاب لهذا التصحيح الكثير من المؤلفين المدققين وكان فى مقدمتهم الأستاذ الباحثة سليم حسن فى موسوعته التاريخية التى أخرجها عن تاريخ مصر القديمة فى أجزاء متعددة وغيره من الباحثين والعلماء.

والغريب أن هذه الكلمه بقدر ماصادفت من تعثر فى اللغة العربية قد لاقت الكثير من التحريف والتبديل فى اللغات الأوربية فقد اختلف رسمها باختلاف هذه اللغات ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد . بل كان رسمها أحيانا يختلف باختلاف الكتاب فى اللغة الواحدة ، وإذا كان هناك ما يبرر قبول اختلاف رسمها باختلاف اللغات الأوربية حسب نطق أهلها فإن اختلاف رسمها فى اللغة الواحدة ، أمر يدعو إلى العجب والتساءل

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها « ليون سنة ١٩٢٠ » ص ١٧ .

(٢) ابن دسته : الأعلاق النفيسة « ليدن سنة ١٨٩١ » المجلد السابع ص ٣٤٢ .

(٣) أحمد زكى : قاموس الجغرافية القديمة بالعربى والفرنساوى المطبعة الأميرية غرة ١٨٩٩، ص ٣٣ .

فبعض المؤلفين من الانجليز يكتبونها (Lybia) [١] والبعض الآخر يكتبها (Libya) [٢] وقد تختلف كتابة هذه الكلمة فى كتب متعددة تضمها مجموعة واحدة تتناول موضوعاً واحداً من أطرافه المتشعبة كما هى الحال فى مجموعة .

(Handbook on Cylenaica) التى أشرف على إصدارها رجال الإدارة البريطانية لبرقة بالاشتراك مع بعض الأساتذة الإخصائيين وذلك فيما بين ١٩٤٤ - ١٩٤٧ .

وكذلك اختلف المؤلفون الإيطاليون فى طريقة كتابتها ، فبعضهم يكتبها Libya كما هى الحال فى المجلة الإيطالية Rivista Della Tripolitania [١] التى كانت تصدرها وزارة المستعمرات الإيطالية ، أما دائرة المعارف الإيطالية ، فقد رسمتها Libia كما هو فى الجزء الحادى والعشرون منها .

وأما المؤلفون الفرنسيون فقد تعود بعضهم كتابتها Libya كما فى كتاب الأستاذ ديبوا جان [٢] .

هذه عجالة قصيرة توضح لنا ضرورة الأخذ بكلمة « لوبيا » وفى ذلك تصحيح لاسم هذا البلد العربى كما ترينا مدى ما تعرض له اسم هذا البلد من أختلاف فى طريقة كتابته باختلاف اللغات الأوربية بل باختلاف الأفراد أنفسهم .

مصطفى بعبو الطرابلسى

---

١ ــ من أمثلة ذلك :

R. S. Plavfair: Travels in the bootsteps of Bluce, London 1877 .

A. J. Cachia: Lybia under the Selgnd ottoman occpation Tlipoli 1945

٢ ــ من أمثلة ذلك :

David Randall: Libyan Notes, London 1901 .

---

٢ ــ العدد الثالث . السنة الثالثة (روما ــ ميلانو سنة ١٩٢٧) .

(2) DEPOIS Jean : La Colouisation Italienne en Lybia .